

الكتاب: سراب وحباب
المؤلف: جعفر جواد الخليلي
الجزء:
الوفاء: معاصر
المجموعة: الأخلاق
تحقيق:
الطبعة: الثالثة
سنة الطبع: ١٤٢٠ - ٢٠٠٠ م
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
ملاحظات:

(١)

سرّاب وحبّاب

شعر

جعفر جواد الخليلي

قدم له

الدكتور محمد حسن زلزلة

الطبعة الثالثة

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(١)

(١)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(۲)

جميع حقوق الطبع محفوظة ومسجلة

اسم الكتاب: سراب وحباب

المؤلف: جعفر جواد الخليلي

المحقق:

الناشر:

الطباعة والايخراج الفني: أبو نور الكاظمي

المطبعة:

الطبعة الأولى:

الكمية:

صورة إلى أخي
لك عن منظري نظير حكاة * وإذا اشتقت أن تراني تراه
زره يوما هزتك فيه رؤاه * وتذكرت عهدنا في صباه

صورة إلى صديق
لك مرأى إذا اشتق لمرآي غدا
إن تداعت لك ذكراتي محيا وصدى
زره ما هزك عطف لي يوما ويذا
فعسى يجدي ويغني لحظة أو أمدًا
وترحم فأنا مثلك أشكو للصدى

نبذة من حياة الشاعر (رحمه الله)
هو الدكتور جواد جعفر الخليلي، حفيد آية الله الحاج الميرزا حسين
الخليلي، نجل الحاج الميرزا خليل، أحد المراجع في القرن التاسع الهجري.
ولادته: ولد في مدينة النجف الأشرف في ٢٤ / ٦ / ١٩١٤ م.
أسرته: أسرة عريقة في النجف الأشرف مشهورة بالفقه والأصول والطب
ولها آثار باقية، ومنها: مدرسة الخليلي العلمية في النجف الأشرف.
نشأته: نشأ في مدينة النجف الأشرف.
دراسته: دراسة علمية وأدبية في الطب والحقوق وعلم النفس.
مسكنه وإقامته: العراق، ثم انتقل إلى إيران وأقام بها سنين عديدة، ومنها
هاجر مع أهله وأولاده إلى كندا، وأقام في مدينة. اوتاوا.
أعماله الإدارية: تقلد مناصب في الشؤون الطبية خلال اثني عشرة سنة.
كما شغل منصب القضاء في طهران لثلاث وعشرين سنة، وبعدها مارس المحاماة.
هوايته: الشعر، والمطالعة، والكتابة، والبحث والتأليف.
له: ديوان شعر باللغة العربية، وله دائرة معارف الام والطفل، وتقع في خمسة
أجزاء.
كما كتب في علم النفس والتنويم المغناطيسي وتحضير الأرواح.
وله: الحكومة العالمية المثلى ثلاثة أجزاء طبعت في بيروت.
وله: موسوعة المحاكمات في عشرة أجزاء:

جزء ان في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
وجزاء ان في حياة الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام). والجزء الخامس
والسادس والسابع عن أبي بكر، وعمر، وعثمان.
والجزء الثامن من الموسوعة يحتوي على ذكر الناكثين، والمارقين،
والقاسطين.

والجزء التاسع والعاشر من الموسوعة حوار حول العلل والأسباب التي
أدت إلى انقسام الأمة الإسلامية وتدهورها، مع محاكمة المسبيين.
أولاده: الدكتور باسم: طبيب وجراح، الدكتور عاصم: أستاذ جامعة في
الهندسة الكهربائية، سالم: مهندس في الهندسة المعمارية، حسين: مهندس
كمبيوتر، علي: طبيب، حسن: بكالوريوس في الإدارة والحسابات. وله ثلاث
بنات حاملات شهادات عالية ومتزوجات.

زوجته: علوية هاشمية حسينية من خيرة السلالات، ولها اليد الطولى في
تربية أولادها وبناتها.

وفاته ومدفنه: انتقل إلى الرفيق الأعلى في مدينة اوتاوا بكندا، وكانت
وفاته في يوم الخميس ١٧ محرم الحرام عام ١٤١٩ هـ - ١٤ / ٥ / ١٩٩٨ م، ونقل
جثمانه إلى مدينة مونتريال، ودفن فيها. تغمده الله برحمته الواسعة، وحشره مع
الرسول وأهل بيته الطاهرين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

iii

الإهداء:
إلى شقيقة روعي أم أولادي التي
صاحبتني في مسيرتي الطويلة
هذي خواطر من فكري أنست بها * صارت صحائف للسلوى بأوقاتي
قصائدي جئت أهديها لملهمتي * رفيقة العمر من أصغت لآهاتي
من قدمت لي أولادي هديتها * أهل يفى حقها شعري وأبياتي!
تكفل الورد في تلوين مخملها * وطرزت نسجه سرب الفراشات
يا من حملت بعيني صنو صحبتها * هل تقبلين - على بعد - تحياتي؟

تعود معرفتي بالفقيد الراحل - الخلل الخليلي - إلى نصف قرن من الزمن، فقد كنا زميلين على مقاعد الدراسة المسائية في كلية الحقوق العراقية، حيث كانت القاعات تكتظ بالمئات من المنتسبين إليها، ومعظمهم ممن يتبوا آنذاك مراكز وظيفية في دوائر الدولة صباحاً، وممن يرغب في استكمال معارفهم مساءً.

وفرضت ظروف العمل الوظيفي والوقت القصير الذي يفصل بين المحاضرات، أن تضيق فرص التعرف الوثيق مع بعضنا البعض، اللهم إلا في نطاق شلل محدودة العدد، يجمعها الوشحاء البلدي، أو الميل السياسي، أو التقارب العمري، أو الهوايات الشخصية المتقاربة الانتماء.

ولم أكن أعرف آنذاك الكثير عن فقيدنا الغالي، وإن كنت على صلة بالعديد من أفراد أسرته الكريمة، وبينهم نوابغ ورواد أدب وقصص وفلسفة. ومنذ التخرج افترت بنا السبل، فقد تم اختياري لبعثة رسمية في الخارج، ثم تلاقفني العمل الوظيفي والنشاط السياسي والدبلوماسي بعد عودتي، ولم أكن متتبعا لمسيرة عمل الخليلي، اللهم إلا ما سمعت عن شدة

الرحال إلى إيران لإشغال منصب قضائي.
وتمر السنون ليكتب لنا اللقاء الشخصي بعد ربع قرن، وفي كندا بالذات،
فقد جاءها الخليلي مهاجرا ليلتحق بأسرته في اوتاوا، وجئتها رئيسا للبعثة
الدبلوماسية العراقية.. ويا للمفارقات!! وسرعان ما استعدنا صلاتنا القديمة،
وتبادلنا الزيارات، واكتشفت بعض اهتمامات ونشاطات الفقيد، وكان يخصني
بقراءة بعض أشعاره وبحوثه. وحين انتقلت إلى الجامعة العربية في القاهرة
استمر تواصلنا الكتابي، وكنت عوناً له في تدوين متن مسودة كتابه عن
الحكومة العالمية المثلى هناك.

واستمرت هذه الاتصالات المتقطعة حتى قررت الاستقالة من مركزي
في الجامعة، وآثرت الاستجابة لإلحاح أولادي بالقدوم إلى اوتاوا لإجراء
فحوص طبية، وكان لنا لقاء جديد مع الخليلي وأسرته النبيلة، واستعدنا من
جديد ذكرياتنا وعاودنا زيارتنا المتبادلة.

وطيلة هذه المدة بقي الخليلي - كما عهدته - أخا وانياً، وصديقاً حميماً،
وزميلاً نبيلاً، يتدفق لطفاً وتواضعاً وخجلاً وحياءاً، يتسم حديثه بالرفق، وتشعر
وهو يحدثك بحرارة عاطفته، كأن صوته همس يطرق الأذن على استحياء.
وشيئاً فشيئاً تراكمت لدي المعرفة بشخصية الفقيد، وعلى رأسها:

نزعتة الإنسانية المفرطة. التي تتغلغل في أعماق أعماقه، وتكاد تغطي على
تصرفاته وسلوكياته، فالعلاقات الإنسانية الحميمة - ولا سيما ما كان منها
مرتبطاً بزمالكات الطفولة والدراسة والصدقة الوثيقة - بلغت موضع القداسة
لديه، وكان حريصاً على الوفاء بمتطلباتها، ويتوقع من الآخرين وفاء مماثلاً،

وكم كانت خيبة أمله شديدة عندما تفاجئه الأيام بخلاف ذلك!
إن طيبة قلب الخليلي، وسماحة خلقه، وصدقه، ونزاهة ضميره ويده
ولسانه، وترفعه عن الدنيا، وزهده في صغريات الحياة التي يسيل لها لعاب
الآخرين، ورفضه الرشوة واستغلال النفوذ، تجعله أقرب إلى النساك والزهاد
والمتصوفة في صفاته الخلقية، لقد كان يصفح عمن أساء إليه، ويدعو الله تعالى
أن يمنحه الغفران والهداية. وكان متمسكا بتطبيق مبدأ العدالة في حياته
اليومية بين أفراد أسرته، فقد كان يرفض المحاباة والتميز الذي يراد أن يتمتع
به رب الأسرة على حساب باقي أفرادها، ويصر على ضرورة الالتزام بمساواة
الجميع في المعاملة.

لقد كان تواقا إلى أن يرى بلده وهو آخذ بأسباب التقدم والنهوض
والرقي، وليصل إلى مستوى الشعوب الأكثر تقدما، وكان ذلك مدعاة لحث
أبنائه على الالتحاق بالجامعات الفرنسية، ليستزيدوا من مناهل العلم
والمعرفة، واقتباس خير ما ينفعهم وينفع وطنهم ومجتمعهم. وكان شديد
الحرص على حفاظ أبنائه على جوهر عقيدتهم، وعدم زعزعة جذور إيمانهم
التي وحدها توفر لهم المناعة ضد شرور الآخرين.
ورغم شعوره في أحيان كثيرة - ولا سيما في أخريات أيامه - بما يشابه
اليأس من إمكانية الإصلاح ووقف الانهيار والتردي في مجتمعه، فإنه لم يفقد
الأمل من إمكانية انتشاره من هوة التخلف التي انزلق إليها، وإمكانية الجيل
الجديد في الإسهام في تجنب هذه النهاية المظلمة، ومعالجة الخلل الذي أصاب
علاقات المجتمع بنظامه وبين أفراده.

لقد اكتشفت عمق الرابطة الروحية التي تشد الخليلي إلى أسرته، ولئن كان النتاج البحثي والشعري الرفيع هو موضع مباهاة الخليلي، فإنني واثق بأن ما هو أكبر وأهم من ذلك، ما تركه بعده من ذرية طاهرة، كان للوالدين الكريمين الفضل في تنشئتها وتوجيهها، وتشربها بالمبادئ الإسلامية والخلق الإنساني النبيل، وحفزها إلى طريق الرقي العلمي، فالكوكبة الكريمة من أولاده: أبناءه الستة، وبناته الثلاث، وأنسابؤه وأصهاره، وكلهم من حملة الشهادات العليا والتخصصات النادرة، سيظلون موضع فخر آل الخليلي، مثلما ستبقى آثاره الفكرية في الذاكرة ما بقيت للكلمة قيمة ومعنى.

إن محبة الخليلي لأولاده لا يعدله إلا حبه الصادق لصديقة عمره ورفيقة دربه: زوجته العلوية الفاضلة نجاة الحسيني التي عاش معها حياته حتى الثمالة، وكانت حبه الأول والأخير الذي ألهمه رؤاه وأحلامه، لقد كانت شريكة حياته، وساعده الأيمن في تربية أولاده، ولولاها لما توفرت له الأجواء لإكمال بحوثه، وهي من هيأت له الأمان النفسي في محرابه وصومعته الفكرية، فلا غرو أن من أجلها تولدت القصائد، وإليها وحدها يهدى الديوان الشعري.

لقد رغبت إلي عائلة الفقيد أن أكتب هذه المقدمة، ولم أتردد عن القبول، فأنا لا أملك أن أرد لها طلبا وهي أعز أمانة للراحل لدي، ولا أكتفم أنني اكتشفت بعد قبولي المهمة كم كانت مسؤوليتي جسيمة! فقد تركت لوحدني أستقرئ النصوص في غيبة صاحبها، وليس ثمة مرجع أعود إليه للتعرف على الكثير مما غمض لدي منها، وما يقصده الشاعر في بعض منظوماته، نظرا لخبفاء المعنى، وتفاوت الآراء بشأن المقصود. وقد آثرت الاقتصار في مهمتي على

النص الشعري دون المقدمات النثرية، لشعوري بأن الأفكار الواردة فيها لا يجدر المساس بها، لأنها ملك صاحبها ومسؤوليته وحده.

أيها الراحل العزيز: معذرة إن لم أكن من المودعين لك وأنت في رحلتك الأخيرة إلى مثواك الأبدي، ولا أعرف إن كنت قد استشفيت الغيب وتنبأت بقرب مغادرتك هذه الدنيا الفانية، فجئت إلى مكتبي لتزورني وأنا أعتزم التوجه إلى تكساس، لتجعلها منك زيارة الوداع الأخير، ولتخلف وراءك زمالة ومودة قديمة.. وأبيت - كعهديك - إلا أن تنسل بصمت إلى مقرك الأبدي. وحين جاءني خبر نعيك عبر الهاتف وعبر المسافات البعيدة وبعد أسبوع من لقائك، لم أكن لأصدق أذني بأنها كانت الخاتمة.

لقد أذهلني الخبر، خبر رحيلك المفاجئ!! فقد تركتك قبل أيام قلائل وأنت تنضح بالحيوية والنشاط، والابتسامة لا تكاد تفارق وجهك، أهي تأشيرة الراحة الروحية التي ظللت نفسك وقلبك، والسلام الكبير الذي يسود العلاقة بينك وبين خالقك الأعظم؟

وعادت بي الذاكرة إلى أوقات كنت تقدم إلينا فيها النصائح المخلصة: من التخلي عن مراجعة الأطباء والمستشفيات واستخدام الأدوية الكيماوية، واللجوء كبديل إلى أسلوب العلاج الطبيعي والاستعانة بالأعشاب الطبيعية والطبية، والالتزام بالحمية، وتنظيم مواعيد تناول الغذاء، وأهمية الاغتسال اليومي بالماء البارد صباحاً، وممارسة الألعاب الرياضية. ورغم الاعتراف بأهمية تأثير هذه النصائح على نوعية الحياة، فإنها لم تستطع في النهاية تأخير القضاء ودفع القدر عنك، فلكل أجل كتاب، فعند الله تعالى وحده نحتسبك أيها

الفقيد العزيز .
لقد توقف قلبك الكبير، واستسلمت للموت، فهو وحده الحقيقة الأبدية في
هذا الكون، ولا يبقى إلا وجهه الكريم ولئن غاب شخصك عن العيون، فإنك
ستعيش حيا في أبنائك وأنسبائك وتراثك الفكري.
لقد تعب الفارس فلم يواصل الرحلة، وحمل الشاعر ريشته وربابته
وقوافيه إلى الدار الأخرى.. لتلتفقه أحضان امنا الأرض الحنون، ولتصعد
روحه الطاهرة إلى رحاب الله تعالى.
يا أيتها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعي إلى ربك راضية مرضية (٢٨)
فادخلي في عبادي (٢٩) وادخلي جنتي (٣٠) صدق الله العظيم
اوتوا / كندا الدكتور عبد الحسن زلزلة

موسم الرحيل

(١٩)

الدكتور عبد الحسن زلزلة
بسم الله الرحمن الرحيم
إلى روح الصديق والزميل جواد جعفر الخليلي، في الذكرى الأولى لرحيله
بين صخب الدنيا.. وصمت الرحيل * ما غنمنا.. سوى خواء الطبول
ان بين الميلاد.. والموكب الصامت * للموت.. رحلة المستحيل
ما حصدنا منها سوى أمنيات * باهتات.. سوى بقايا طول
ما كسبنا سوى خداع سراب * ما ربحنا منها.. سوى التعليل
شاخ قبل الأوان عصر هوانا * والذبات آذنت بالأفول
يبحث المرء عن طفولة حلم * ليغذي بها.. الخيال الطفولي
للفراشات كم وهبنا جناحا * وهو سمعنا طراد الخيول
واستفقنا على حطام أمان * وخيالات.. شاعر.. ضليل

يا خليلي.. يا صاحبي.. يا خليلي * حان في حقلنا.. قطاف النخيل
(الفسيل) الذي زرعت.. تنامي * آن أن تجتلي شموخ الفسيل
(النخيلات) باسقات طوال * وارفات.. بكل ظل ظليل
و (عذوق) التمور، ننتظر الصاعدة *، يرقى، بحبله المفتول
والعصافير، تلقط الحب.. * من كفيك، نشوى بحرثك المأمول

فيم عجلت، طامعا بالرحيل * حاضنا، وحشة الطريق الطويل
هل مللت الدنيا؟ وحولك * أشبالك، سرب القطا، ورفقة جيل
وهوى العمر، من شريكة عمر * قاسمتك الحياة، عش خليل
أيها الواهب الحياة نجوما * فلذات الأكباد، نبت الخميل

موسم الحزن والأسى والعيول * ها أنا.. قادم.. أجر ذيولي
انني سامع.. صدى طرقات * الموت، تهوى على جداري الثقيل
ها أنا جاهز.. أهيب أفاني * أغد المسير.. للمجهول
ولركب المستضعفين.. سأنضم، * أجر الخطى، بجسمي النحيل

أقفر الدرب.. يا لدربي الطويل * كيف أجتازه.. بزادي القليل
وبدرب الإيمان، تستوحش * القلة، من عابري قفار السبيل
قوسه الدرب.. وحشة الناس فيه * حين تدمى الأشواك رجل دخيل
أن هذي الدنيا.. ممر عبور * فاصل بين عالمي تأهيل
علمتنا الأيام.. أن ليس غير * الموت، فيها، حقيقة لجهول
مؤمن أن سيعقب الموت بعث * يعلن الحشر.. (صور) إسرائيل
أنسك يا (عراق).. أنسى * الأرض، والماء، واصطفاف النخيل
دلفت في مياحه.. وهواه * (أذؤب) من عصابة التضليل
دنست أرضه عتاة طغاة * دمرته.. جحافل.. للمغول
ينقضي (سيافهم).. عن ضحاياه * وعن أي خائن وعميل
لا نقل كيف، فالتساؤل جرم * لست في حاجة إلى التفصيل
ربما يؤخذ البرئ.. بذنب * ويدان القاضي.. بجرم القتل

خانك القلب وكيف يجرأ قلب * أن يجافي مودعا لخليل

فيم.. أخلفت.. صاح.. موعدا * لقيانا، وما كنت عنه بالمشغول
أولم نقطع المسار سويا * مذ برمنا.. بمرشد ودليل
وتعاهدت.. أن أظل وإياك * ندامى حب، وود أصيل
واستعدنا مما مضى ذكريات * خطوات، في رحلة (الألف ميل)
قد نشأنا معاً، نعب على الألفة *، والود، منبع السلسبيل
واحدا.. بعد واحد.. خطفتنا * يد، أقدارها، بيوم مهول
فرقت بيننا، (أبايل) عصر * وذرتنا، كعصفها.. المأكول
ومضى الراحلون دون وداع * خلفوها.. كرامة.. للتنزيل
كيف أرثيك.. كنت أغلب ظني * أن تقول الرثاء.. عند رحيلي

يا خليلي.. يا صاحبي.. يا خليلي * معدن اللطف، والسماح، النبيل
رقة الطبع.. في كريم السجايا * عزة النفس، والعطاء الجزيل
أفتديه (تواضعا) ليس فيه * ذلة الطالبين، لطف خجول
تتحاشى أن تجرح الخصم، بالقول * بإيماءة، بقال.. وقيل
تتقي فتنة الغرور رقيقا * بكروش ملئ.. لعقل هزيل
لائذا في الكتاب.. صومعة * الصوفي، سواك محكم التنزيل
تلك (سجادة) الصلاة، تناديك، * يضج المحراب بالتهليل
يا (طمأنينة) النفوس الحيارى * لا تمل الشفاه.. من ترتيل

لا تسلني.. بأي أرض نزولي * غرباء المنفى.. حليفي الدهول
مستمر ترحالهم.. من مكان * لمكان.. من موطن.. لقبيل
فظتهم أوطانهم.. أنكرتهم * كيف ينهى نزيف جرح خضيل
أشتهي مرقدًا بوادي سلام * فيه يثوى حطام جسمي الهزيل

قر عينا.. تنبت الغراس يدها * كيف يرضى عن غرسه بالرحيل

مر عام، مضى، وذكرك حي * منه إطلالة، على كل جيل
أطبقت هذه العيون.. على طيفك *، تخشى انفلات حلم ميل
تتمناك بسمة في شفاه الدهر *، تفتت عن نضيدات.. لولي
وسحابا ترا.. تجيء مع الفجر * مع الشمس، والنسيم العليل
واشتياقا، تدعوك.. رائحة * التربة، إذ مسها نزول هطول
قد نهنا شوقا إليك.. وفي * القلب وجيب، والقلب خير دليل

حل فصل الربيع، والتأم الجمع * فهيا نحبي ربيع الفصول
بشرت في قدومك البكر، زحات * غيوم، شذى نسيم عليل
ساءلت عنك، هائمات الفرا * شات، نشاوى بلابل بحقول
والصبايا يحملن ملأى جرار * وشفاه خلقن.. للتقبيل

يتهاوى على يدك الخزائن * ووريقات زنبق.. معلول
أيها العاشق الطبيعة، والبحر * ورفات ياسمين خجول
يضحك الزهر، ينفث العطر * إيدانا، بميلاد كرنفال الخميل
وقلوب العشاق، تنبض بالحب * جميل يحب كل جميل
جنة الكون.. أبدعتها يد * الله، على الأرض، مالها من مثيل
انها بانتظار لقياك، في الحقل * فهلا يطل وجه (الخليلي)؟

جئتني زائرا.. كأن وداعا * صامتا.. قد خصصته.. لزميل
بسمة طاف ظلها.. بمحياك.. * ووجه عليه لمح ذبول
همسك الصارخ، الندي صداه * والشفاه الظمأى، لري غليل
قد عهدناك.. أن تلوح باليمنى * سلاما، لزائر، ومقيل

هذا الديوان

يمثل هذا الديوان الشعري إضافة جديدة إلى النتاج الفكري والبحثي للصديق الراحل الأستاذ جواد جعفر الخليلي. ولعل الشاعر قد أراد أن يختصر بعنوانه خلاصة فلسفته ونظرتة إلى الدنيا حين وصفها: بأنها مجرد سراب وهباب، فكل ما في هذه الحياة سراب يحسبه الظمان في صحرائه ماء، وما هو بالماء، وليست مباحج الحياة إلا فقاعات تطفو على وجه الماء والشراب. ويصدر هذا الديوان بعد نشر مؤلفه الضخم الموسوعي: "الحكومة العالمية المثلى"، بأجزائه الثلاثة، ويحتل الديوان الجزء الأول من مجموعة أشعار الخليلي، وبه تكتمل حلقتان من نتاجه المطبوع. أما غير المطبوع - كما يروي المؤلف نفسه - فهي ستة عشر جزءاً: تحتل خمسة منها دائرة معارف الام والطفل، وجزء آخر في العلوم النفسية، وعشرة أجزاء هي موسوعة المحاكمات الإسلامية. وهذا الانتاج الغزير والمتنوع يعكس مدى غزارة المعرفة التي يمتلكها المؤلف، وما وفرته ملكته الذهنية، وجهوده الفكرية، ومقتضياته ومطالعاته الشمولية، مقرونة بخلاصة تجاربه وخبراته الطويلة العلمية والعملية، ونأمل أن تجد هذه الآثار طريقها إلى النشر لينتفع منها الباحثون والقراء. لقد عاش الخليلي معظم حياته رومانسياً حالماً في تطلعاته وبناء عالمه المثالي وديناه الفاضلة، يحلم بخلاص الإنسانية من أسر العبودية، ويحلم بتخفيف

المظالم الاجتماعية عن البشر. لقد تقصى أسباب شقاء الحياة، وشخصها بأنها نتيجة انصراف الناس عن منابع الحقيقة للسعادة، ودفعه طموحه إلى التثبيث بمتابعة خطوات من سبقه من مفكرين وحكماء وفلاسفة، وما ابتدعه في كتاباتهم نظرياً لتحقيق تلك الأمنيات، وجاءت الرسائل السماوية على لسان الرسل لتطرح الحلول والمعالجات العملية.

وبعد أن تقصى الباحث أصول الحياة الإنسانية والعقائد والأديان والمذاهب، انتهى إلى أن الإسلام - كدين وشريعة متكاملة - هو وحده الذي يمثل أعظم الرسائل الإسلامية، وأنه هو الأصلح من بينها جميعاً ليكون الدستور المثالي لمثل هذه الحكومة المثلى، فما هو السبيل العملي لتجسيد هذه الفكرة؟ لقد وضع الخليلي مجموعة من الشروط والآليات التي تيسر تحقيق هذا الهدف وضمان بقائه، وهي شروط تكاد تكون مستحيلة عند التطبيق في ضوء الواقع العملي الراهن، في عالم بالغ التعقيد، متعدد القوميات والكيانات، والسلطات والأيديولوجيات، والأهواء والمصالح.

ولعل إدراكه لهذه المهمة المستحيلة، جعله يسترجع ما يستقر في عقيدة المؤمنين بالتبشير بمنقذ أو مصلح منتظر يأتي في آخر الزمن ليملا الأرض عدلاً، وتم على يده إحياء الشريعة الإسلامية، وإقامة عالم يسوده السلام والعدالة والمساواة والحرية والرخاء لجميع البشر.

هكذا ينطفئ الحلم الدنيوي العابر الغامض والمثالي، وتتبرد آثاره، وينهار معه العالم الخاص الذي رسمه الخليلي لنفسه ولقرائه، بعد أن أثار الكثير من الأوهام والتمنيات والانتقادات والاتهامات الظالمة غير المبررة. ويظل البحث عن الحقيقة ومعالجة أزمة الإنسان المعاصر وتناقضات

الحياة الإنسانية وخفاياها، هو هاجس الخليلي الذي لا يفارقه حتى وهو ينتقل إلى ميدان الشعر، فيتناوله في العربية من قصائده، وهو يمعن في نقد المجتمعات وسلوكياتها المنحرفة، وتكاد تشعر أنه يقترب من آفاق فلسفة التصوف وهو يبحث عن راحة للطمأنينة تذوب فيها عوامل القلق المتراكمة في مسيرة الحياة. وحين يدرك في نهاية المطاف عجزه عن توفير الحلول البشرية لمشروعه، فإنه يلتمس الراحة النفسية في مناجاته الروحية، والاعتراف من نبع الإيمان العميق في داخله بسبحاته الخاشعة، ودعوته الصادقة الضارعة. لقد ولد الخليلي في بيئة نجفية محافظة، وأمضى شطرا هاما من حياته فيها. إن النجف الأشرف - بحكم موقعها الجغرافي الحالي - ليست إلا مدينة رملية مالحة جرداء، ترقد في أحضان الصحراء حيث لا عشب ولا شجر ولا ماء، فهي تتصل غربا بصحراء الحجاز، وتفصلها عن الريف العراقي على ضفاف الفرات مساحات شاسعة.

وقد تركت جغرافية الموقع أثرها على نفسية المجتمع النجفي عموما، وعلى شعرائه خصوصا، حيث يلذ لهم الهروب منها إلى الشواطئ البعيدة والبساتين المطلة على أرض الكوفة وشاطئ الفرات، ترويحاً للنفس، وابتعاداً عن الجو الصحراوي الخانق، حيث يطيب للشعراء الاستمتاع بالرياض وشقائق النعمان. ويبدع شاعرنا في تصوير الطبيعة والبحث عن خفاياها، حتى تكاد تشم عبير الأزهار في قوافيه، ورائحة المطر والشجر في قصائده، وتسمع تغريد الطيور وخرير المياه في موسيقى أشعاره، فلا غرو أن تكون قصيدة "زهرة" هي أولى منظومات الخليلي في صباه، لتعكس عشقه للطبيعة وهيامه الشديد بها. وهو يتحول على الشواطئ البعيدة، ويمتع حواسه بمفاتها، فهي تملك عليه كل حواسه

ووجدانه وروحه.

ورغم صفة التزم والانعلاق التي تسود المجتمع النجفي المحافظ والتقليدي، فقد استطاع أن يخلق في عمقه حركة نابضة بالحياة، فقد استطاع أن يجذب إليه الوافدين من مختلف القوميات والثقافات والحضارات كوافدين يؤمون مدارس العلمية والفقهية والدينية الشهيرة والعريقة، وذلك من مختلف البقاع الإسلامية. وبحكم أن اللغة العربية الفصحى كانت هي المرجع الرئيس لهذه الدراسات، فقد استطاعت أن تصهر الوافدين في بوتقتها، وتستمر في احتفاظها بنصاعتها ونقائها، وتحمل رسالة الإسلام والعروبة مع موفديها وخريجها إلى بقاع الدنيا الواسعة حولها.

إن الشعر هو الهواء الذي يتنفسه المجتمع النجفي، وهو الدم الذي يجري في شرايينه ليحدد حيويته، ويغذي قلبه ورثته. وتعتبر المحافل والمنتديات واللقاءات - الدورية منها، والموسمية، والعارضة - هي الساحات التي يتنافس فيها الشعراء، سواء منهم البارزون، أو الناشئون، حيث تحتدم المسابقات الأدبية التي تتناول معظم جوانب الحياة وأغراضها بين المتبارين. ولكننا نكاد نفتقد وجود الشاعر الخليلي الناشئ ضمن هذه الحلقات، ترى ما هو السر الذي يكمن وراء هذه الظاهرة؟ أهى تركيبته النفسية وطبيعته الشخصية؟ ربما، فنحن نعرف الخليلي شخصا خجولا بالغ الحياء، متواضعا، عزوفا عن الأضواء، يؤثر العزلة في صومعته، ولا يعرض بضاعته إلا للأقربين من خلصائه. ولعل آية ذلك أنه اكتفى بالانضمام إلى شلة أدبية تلتف حول الكاتب والروائي المعروف الأستاذ جعفر الخليلي صاحب الهاتف. أم هل يكون السبب في ذلك التوجه وجود اهتمامات أخرى للفقيه هي أثر

إلى نفسه، كشؤون الطب الشعبي والصيدلة والدواء العشبي، وهي أمور نبغ فيها العديد من آل الخليلي؟

أم هل يكون قد شغله الاهتمام بتتبع المراجع التراثية والفلسفية والتاريخية والفقهيّة بما يتناسق مع تطلعه الشعري؟ فنحن نعرف أن مدرسة الخليلي التي أنشأها جد الشاعر - وهو أحد أبرز المراجع الدينية التقليدية في النجف - كانت تجذب إليها العديد من الدارسين، وتوفر لهم مختلف المراجع والكتب التي تحتاجها الدراسة الدينية فيها، وأنها قد كانت سببا في شغف الشاعر الخليلي بالفقه، وألف فيه كتابا مطبوعا. ولكن الخليلي لم يشأ الاستمرار في دراسته، واستبدلها بما هو أقرب إلى نفسه من الميول والهوايات.

لقد كان المجتمع النجفي دائما في قلب المعارك الاستقلالية والجهادية، وله فضل الريادة فيها، لقد خاض علماؤه وأبناؤه ومناضلوه حروب التحرير في العشرينات، وكان شعراؤه لسان الثورة وملهمي المشاركين فيها بإيقاظ الحس الوطني والإسلامي كجزء من إيمانهم الفطري بمبادئ الحرية والعدالة الاجتماعية. ولعل مما يثير الدهشة أن لا تجد الشاعر الخليلي الذي عايش حركات التحرر هذه وانتفاضاتها بكل آثارها البالغة في جميع جوانب الحياة. قد انفعل بأحداثها شعريا، بل خلا ديوانه الشعري من أية إشارة إليها. ترى هل مرد ذلك ما عرف عن الخليلي من كره للحرب وللعنف وإراقة الدماء، وميله نحو الوداعة والتسامح والتوجه السلمي المسالم؟

إن المعين الشعري الثر الغزير الانتاج، يجعل صاحبه معرضا لاحتمالات تسرب بعض عناصر الضعف إليه، وبالتالي تيسير تصيد الأخطاء فيه. لقد ترك الشاعر الخليلي لقلمه تسجيل كل ما يرد إلى ذهنه من خواطر، معتمدا على أسلوبه المبسط والتلقائية والعفوية، والابتعاد عن التكلف في مفرداته

ومعانيه، ففاض ديوانه بمختلف أغراض الشعر المعروفة إلا أقلها. وكنا نتمنى أن يسلسل الشاعر تأريخ نظم قصائده، وأماكن استيحاءها، ليعين الباحث على التعرف على تطور تجربته الشعرية.

ويبدو الشعر الوجداني في الديوان أقرب ما يكون إلى الشعر الغزلي العذري، الذي يمتزج فيه الخيال بالعاطفة وهو يعرض في حبكة شعرية وسرد قصصي بديع.

ويتميز هذا الشعر بأنه بعيد عن أدب المجون، أو ما يחדش هيبة المجتمع، وقيمه وتقاليد السائدة. ورغم هذا فيخشى أن يساء فهم بعض المقاطع من بعض القراء بسبب عدم معرفتهم بشخصية الشاعر أو ظروفه أو محيطه.

أما الشعر الإخواني ففيه الكثير من الدعابة والظرف إلى جانب أغراضه الإنسانية المعروفة. وتحتوي قصيدة " إذا ما كبا المهر "، - وهي نموذج لأدب المداعبات - ألفاظا ووصفات طبية ودوائية وغذائية يتعذر على غير المختصين إدراك معانيها.

أما قصيدة " ملحته في مآدبة " فتمثل مناظرة شعرية لطيفة، ونقاشا ممتعا بين صنوف الطعام وأكليه، فهي الأخرى تتضمن مفاهيم ومصطلحات تستلزم الشرح والتوضيح.

ولعل ما يميز هذا الديوان هو أنه يقدم لنا نمطا فريدا من النشاطات والفعاليات الاجتماعية تعكس تقاليد يكاد يلفها النسيان، وقد جاء تسجيلها شحذا للذاكرة الإنسانية، واستجابة لمقولة متداولة لكي لا ننسى.

اوتوا

الدكتور محمد حسن زلزلة

مقدمة المؤلف

(٣١)

بسم الله وعونه

مقدمة المؤلف

أقدم مجموعة من أشعاري، وأبدؤها بما خالجتني من عواطف لجمال الطبيعة، وفي مقدمتها روح الغزل في الموارد الجنسية، وما تخللها نفسيا لآثار الطبيعة التي كنت مشغوبا بها كل الشغف: من هدوء الفجر، وبسمته قبيل طلوع الشمس، أخص منها عند مجرى نهر دجلة والفرات، وريح الصبا الرقيقة التي تلاعب غصون الأشجار، وتغريد البابل، وانسياب الماء ورقراقه، وما تحمله لمثلي الذي حتم على نفسه أن ينهض كل صباح، ويتجول هنا وهناك بين الشواطئ والجداول، ويمتع عينيه وشمه وسمعه وباقي حواسه، وتلك حقيقة تتمثل لا في الغزل وحسب، بل في وصف ما حوته الطبيعة من جمال وجلال. ومنها ما أنشدته في زهرة الروضة التي يأتي شرحها، ومقدمتها:

زهرة الروضة مثلي أنت تهوين السكون * وتحبين من العيش غديرا وعيون
ومن الصبح ابتسامات لدى الفجر تكون * جئت ألقاك لعلي ما أفاقيه يهون
وتركت الناس طرا في سبات نائمين * كلما استنهضت فردا خلت وافاه المنون
اغتنمها من مسره * ودع النوم وضره
وتأمل في حياة * كره من بعد كره
أفلا تنظر حتى الطير * يشدو عاف وكره
ويلي الغزل ووصف الطبيعة خواطر وأفكار على مرور الزمان، لكل منها
مجمل ومفصل عما صادفته من مكاره ومحاسن الحياة، وما خالجتني من عبرها،
وما أرى أن يسير عليه الفرد والمجتمع من أمور اجتماعية وسياسية واقتصادية
وسلوك.

وهكذا قسمت شعري لأدوار حياتي، وما خالجنى من خير وشر، وما أرجو أن أقدمه لبني جنسي من تصورات وحوالج، مما أحسبها درسا فرديا واجتماعيا، وواجبا إنسانيا أرى بيانه مقتضبا ومفصلا، وما يجب أن يحمله الفرد والمجتمع لبني نوعه من العواطف والحب والعفو والإحسان، عوض ما أشعر به اليوم في أواخر سني هذه الحياة، كم وكم قاسى البشر من بني نوعه من الظلم والإجحاف، والغضب والإتلاف، والتعدي والتجاوز!! تلك الأنانيات الفردية والجماعية، وذلك الغضب والتعدي الفردي والجماعي لإشباع نهمه، ناسيا قول الشاعر:

ملك كسرى تغني عنه كسرة* وعن البحر اكتفاء بالوشل
وناسيا حقائق جاء بها الأنبياء والحكماء لإرشاد الكل إلى جادة الصواب والعدالة، وحتى متى ولا يفيق هذا الإنسان من غفلته، ويعود له صوابه، ويصغي إلى أقوال الأنبياء والحكماء، ويقتنع بما يجلب له ولغيره الحياة السعيدة ولمن يصنع مشيرات الرعب والتدمير: من أسلحة فتاكة توصل إليها إن قامت حرب لا ينجو منها كلا الخصمين، والدمار عام، ويرى بأمر عينيه مصير الحياة، والموت أكبر العبر، والتقوى أبلغ الحكم، فأين العقل والضمير والوجدان ومقام هذه الأنانيات وهذا الإجحاف باسم "العدالة"؟! وإلى متى تبقى نواة الموبقات في التربية المدرسية والمحيط باسم "الحرية" بين طلبة المدرسة من طلاب وطالبات ومعلمين في الأمور المادية والمعنوية، واستعمال المشروبات الكحولية، واستعمال المواد المخدرة والدخانيات والأشربة والأطعمة التي ثبت ضررها، وإباحة حمل الأسلحة وبيعها وشرائها تلك المواد المخربة؟! وإلى متى استباحة الاتصالات الجنسية وما ينشأ عنها من مواليد غير شرعيين، أخص ما بين طلاب المدارس؟! وأشد خطرا إباحة الأعمال الجنسية بين الإناث والذكور، بل بين الجنسين الذكور والإناث دون رعاية أصول دينية أو اجتماعية خصوصا في هذا اليوم الذي بدأ مرض الإيدز بالانتشار وما يحمله من

أخطار على المجتمع البشري؟! وإلى متى تسمح الشركات والأفراد - بل قل: الدول المتاجرة - بأخطر الأسلحة وأخطرها من المواد الذرية والمواد الكيماوية والحيوية؟! فأين الدول العظمى وجامعة الأمم المنادية بحقوق البشر؟! وأين العقول المربية والحكماء لصد التعديات الفردية والجماعية والشركات العظمى التابعة للدول العظمى القائمة بأشد المظالم لتحصيل موارد اقتصادية، وإثارة الفتن والحروب والصراع في شتى أنحاء المعمورة؟! هذه الموارد وأمثالها تدعو المفكر الحكيم أن يهيب بالعالم المتحضر الذي جاء بمعاجز الابتكارات المادية، وضل ضلالا في الموارد المعنوية المهمة، تلك التي تخلق الفتن والمجازر منذ العصور القديمة إلى اليوم. ولكن - مع كل الأسف - اليوم والعالم يبلغ ذروة الابتكارات والوسائل الحربية، تلك التي غص بها الشرق والغرب، وكل على قدم الاستعداد للفتك بعدوه، وكل يعلم أن اليوم غير أمس إذا وقعت حرب فليس هناك من رابح لها، إذ الدمار والخسارة تشمل الجبهتين. هذه الحقائق أصبحت واضحة ومرعبة كل الرعب للخصوم، وهذه دعت ذوي الرأي والحكمة إلى التفكير لإنقاذ البشرية من التورط المهلك العام.

تلك دعوتي اليوم - رغم بلوغي من العمر عتيا، ورغم ما يخالجني من حب محاسن الطبيعة، ومرح روح الشباب - إلى أن أثبت ما خالجني شعرا، وما سأشرحه من الخوارج بقصائد، وما كتبته في موسوعي "الحكومة العالمية المثلى" في ثلاثة أجزاء، وكلني أمل أن أكون من أولئك الذين خدموا البشرية وأندروها، وكانوا سدا رادعا لوقف الخطر المحقق المدهم، والركون إلى العدالة والاعتدال، ونشر الأصلاح بين المسيطرين، والتقارب والتفاهم بين الدول، لا لأغراض دولية خاصة، بل لإنقاذ البشرية من محنتها.

وداع وتمجيد
لسيادة الأخ الدكتور السيد محمد حسن زلزلة يوم كان سفيراً للجمهورية
العراقية في - اوتاوا - عاصمة كندا التي غادرها بعد انتهاء أمد السفارة:
تهيم رجال بالكمال وتغرم * وأخرى حشاها بالجمال مضرم
وثالثة هامت بأحساب فتية * وأمجادها فيما تهم وتحجم
ورابعة حنت لطيب كرامة * فباتت تغنى في فتاها وتنظم
وخامسة تهفو إلى العلم والحجى * وأخرى هوت من في الكريهة يحلم
ومالك قلبي من تجمعن كلها * له فهو عندي كالملاك وأعظم
أبا ليث حقا قد نطقت فكيف بي * إذا بالنوى الحادي حدى يترنم
أبو النخبة المثلى فدو من أعزة * لهم بين أحضان الفضيلة مجثم
أيا شبل طه خير من حج أو سعى * ولبي ومن فيه الرسالة تختم
كفاك من المجد الأثيل سلالة * لهم صلوات الله فرض محتم
وأنتم هداة الدين أنتم سراته * ومهبط وحي الله فيكم ومنكم
سموك أخلاقا وبيتا ونشأة * وعلما ووجها بالصباحة يبسم
فوجهك يجلو المدلهمات إن بدت * وقولك يجلو الغامضات ويحسم
بعادك حرمان ويأس ولهفة * وهم وأوهام وضعف واشئم
وقربك إيمان سلام وصفوة * وعلم وإخلاص وفضل ومغرم
أحبك لا ترجو بوصلك مغنما * سوى المكرمات الصالحات وتوسم
واعداك من شطو عن الدين والحجى * مذاهبهم فيها ضلال ومندم

أشم عبير الأهل فيكم وألتقي * بلقياكم أهلا ببغداد تنعم
واستعرض الذكرى فراتا ودجلة * وعهدا تقضى فيكم يتجسم
رعى الله أياما مضت وأعزة * تناؤا بذاك الحي لو عاد منهم
لك الله من خل وفي أرى به * الأحبة والأهلين جمعا تلملوا
رعاك إله الخلق ما دمت بيننا * وما نئت أو نئنا بما فيه تسلم
وإن حكمت يوما على البعد والنوى * فروحي وقلبي لا يشيطان عنكم
فمرآك في عيني وذكرك في فمي * ومثواك في قلبي أجل وأكرم
ولي شرف القربى إليكم بأنني * لآل رسول الله فرع مساهم
فخذها كذكرى من جواد وضيعة * إليك عساها أن تدوم تقدم
وأرسلت له في مطلع الرسالة
ذكرتك عند الفجر والشمس لم تزل * بمخدعها تجري إلى حيث تشرق
وعند الضحى والظهر والعصر والعشى * تداعيك في كل الخواطر يطرق
كأنك مازجت الحشاشة روحها * فما عن فيها خاطر فيك يألُق
محياك بساما على شاشاة الحشا * تحييك نفسي حين يزهو ويعبق

أترجو الهوى قائما في هواك * وإن حل يوما قرينا سباك
تكيل له الويل لا تحجم * أعدلا توخيت أم تظلم؟
أليس العواطف حس كمين * ذكورا إناثا بهذا تدين
هواك لها جائز يجبر * وإن هي تهواك مستنكر
أحسبها دمية هامدة * وتلك أحاسيسها شاهدة

أهذا جزاء فتاة تجود * فتهديك قلب الحبيب الودود
وما تركت فيه من جارحه * خلت منك من ساعة بارحة

العودة إلى الصفاء
فقال رياض لشد الوثاق * وتجديد عهد على الاتفاق
وقد راعه ما أتت من حجج * على ما تحدى وما فيه لج
لك العذر ما هاج بي أو خلج * وجرت كمن ساء فيما نهج
وشد عليها عناقا وقبله * وراح حنانا يقبل طفله
وزاد على ما مضى من وداد * وسارت حكايتهم في البلاد

أيضا جواب لرسالة الدكتور السيد محمد حسن زلزلة
الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية وزيرا وسفيرا في مصر وإيران
وكندا وغيرها:

أبا ليث يا خير الأحبة أجمع * ويا نسل طه من به نتشفع
كتابك وافاني وفي القلب لهفة * ونفسي على منثاكم تتوجع
وكنت قطعت الدرب من بعد ستة * لأشهر مرت من فراقك أسرع
على جمبجوت دونها الصوت سرعة * تقل مئات خمسة ثم تزمع
تغذت بنا صباحا وكان غذاؤنا * بأحشائها حتى العشية مربع
سمت تقطع الأجواء فوق غيومها * وفيها لنا مأوى نقر ونرتع

سرت تقطع الأجواء من ري فارس * للندن تتلوها نيويورك موضع
وتوصلنا أخرى اتاوا لنتقي * بأهل لهم في القلب ما دمت مهجع
هناك تلاقينا وللقلب لهفة * تجلى بدمع الشوق يجريه مدمع
وفي الدار جالت للأحاديث جولة * فكانت تداعيتها بكم تتجمع
بليث لوئي رنده نغم قبلهم أب * بعد أم كالسواطع تسطع
اما جد يا لهفي أيرجع شملنا * بكم مثلما كنا بكم نتمتع
يسر فؤادي بالحديث إليكم * وعيني لكم تربو وأذناي تسمع
رعى الله ذاك العهد لو عاد بيننا * وعدنا لذاك الصفو يا ليت يرجع
عليكم سلام الله يترى ورحمة * ودمت بخير شامل يتوسع

الباب الأول
غزل وعواطف

(٤١)

حديث الهوى العذري

في الساعة الرابعة بعد ظهر ١٤ / ١٠ / ١٩٧٢ م دق جرس التليفون (الهاتف) وأنا في الطابق الثالث من داري المشكلة من ثلاثة طوابق، وكنت منشغلا بالمطالعة، فنهضت ورفعت السماعة وقلت: نعم، وإذا بصوت فتاة أجهل صوتها، فقلت لها: من تريدين؟ فأجابت: أريدك أنت، فتعجبت وقلت: ومن أنت؟ فأجابت: الحقيقة أنا فتاة تلميذة تعبت من المطالعة، فقلت في نفسي: أتكلم هاتفيا وبأرقام أجهل صاحبها عسى أن أحضى بمن يخفف من أتعابي، ومن حسن الحظ أدركت بك بعض الهدف، وعساني أحضى بالباقي.

فتعجبت من هذه الصراحة وسألتها: وهل بإمكانك أن تقدرني سني؟ فقالت: أحسب أنك في سن الخامسة والثلاثين من العمر (١)، فقلت لها: لقد تحديث مشاعري في السن فحسبت أن سني عمري أقل من ذلك، وأني في أدوار الشباب الأولى، فاعتذرت.

ثم عطفت قائلا لها: وما تريدين مني الآن؟ فأجابت: إني أشعر بنفسي مرهقة، وأرجو منك ما يهدئ تعبي، فقلت: وماذا تريدين أن أعمله من أمر ينهه عنك أتعابك؟ فأجابت: لو قرأت لي أبياتا من الشعر، فقلت لها: سمعا وطاعة.

(١) والحقيقة أنني من مواليد ١٩١٤ لأول تموز، أي قد تجاوزت الثمانية والخمسين حينذاك.

وقد كنت - في الواقع - أحذر أن يصل ذلك إلى أسمع من أخشى لومه أو عتابه ممن يشاركنا الهاتف، ولكنني تجرأت فاستكملت الحديث معها قائلاً: سأقرأ لك أبياتاً فاصغي، وقرأت لها رباعية للخيام كنت أنشدتها بالعربية، وهي:
روحي الفدا لمعاشر أهلا بصحبته انسجم * سيهون إجلالا له أني أطأطئ للقدم
إن شئت تعرف يا أخي على اليقين جهنما * فجهنم الدنيا معاشرة المخالف إن لزم
فاستحسنت الأبيات كثيراً، وقد قرأتها بتأن محاولاً أن تدرك المعنى بوضوح، وقالت: ما أجملها من أبيات! ورجائي أن تتلوها علي بشكل نشيد أو غناء، فأجبتها: أن صوتي لا يساعطني، فقالت: إذا زدني بأبيات أخرى، فقلت لها: تفضلي بالإصغاء، وتلوت عليها رباعية أخرى للخيام كنت ترجمتها هي الأخرى بالعربية، وهي:

منية النفس تعالي وارحمي القلب المعنى * وبحسن القد حلي مشكلا يا (خود) عنا
وأسفينا بكؤوس من بنيات الكروم * قبلما الكاسات من طينتا للشرب تجنى
فبهرت بها وقالت: أحسنت وأجملت، ويا لها من أبيات رقيقة وكأنك،
أحضرتها قبل هذا لمثل هذه المناسبة. وأردفت: أرجو منك أن تعطيني أرقام،
هاتفك فمثلك لا يترك، فقلت: كيف تطلبين ذلك وقد تلفنت بها؟! فقالت: يشهد الله
أنني ضربت الأرقام عفواً، ولا أذكرها، وإذا وضعت السماعة فبهيات أن أتوصل
للحديث معك، فقلت لها: وأنا آسف أيضاً غير أن الحديث معي في الدار فيه
محذور، فقالت: وما هو المحذور؟ فقلت: أخشى من لوم أختي الكبرى إذا ما
وجدتني أتغازل مع فتاة مثلك، قالت: وأنت تخشاهن لهذه الدرجة؟!
ثم إنني استمهلتهن قليلاً لأن هناك من يطلبني، وذهبت حذار أن أجد
- حقيقة - من ينصت إلي حديثي، وردعا للخطر وإثبات حسن الظن أشرت إلي
من في الطابق الأول أن تكلمها باعتبارها أختي الكبرى، فعدت وإذا بالهاتف قد

غلق. ولم تمض سوى (١٥ - ٢٠) دقيقة حتى عاد جرس الهاتف يدق، فرفعته فإذا هي الفتاة نفسها، فأظهرت لها استغرابي الشديد على إطباقها للسماعة، وعلى كيفية إعادتها وهي التي طلبت مني أرقام هاتفي، فقالت: يعلم الله أعدت الهاتف وأخذت الأرقام وأنا أقول: عسى أن أصيب أخذها، والحمد لله على تحقيق ذلك، غير أنني أريد أن أعتب على أختك على ما خاطبتني بلومها القارس المؤلم، فماذا بدر مني من سوء الأدب؟!

فأجبتها: هو هذا الذي كنت أحذر منه عليك وعلى بالوقت نفسه. ثم استأنفت الحديث قائلاً: ماذا تأمرين بعد هذا؟ فقالت: مع شديد أسفي على فراقك بعد هذا أود أن تختم حديثنا هذا بأبيات أخرى من الشعر، وعندها أستودعك الله أسفة إلى الأبد كي أرحمك من مثل لوم هذه الأخت القاسية التي أشبعني بالكلمات الغاضبة، فأظهرت أسفي وقلت لها: إليك الأبيات الخاتمة:
قلت إن جئتني وهبتك روعي * أو تطيلي الجفا فإني أموت
بكلا الحاليتين ذقت حمامي * يا خليلي فانظر بماذا بليت؟
فأبدت إعجاباً بالغ الحد بأبيات الشعر المناسبة للحديث واستودعنتني، وأنا أشد منها ولعا لمثل هذه المداعبات.

وحيث إن البون شاسع بين سني وسنها، وأحسب أنها التي قدرت سني حياتي بخمس وثلاثين سنة، ستفاجأ لو شاهدت شعري المائل للبياض، وتجاعيد الكهولة تحتل وجهي، ولابتعدت عني أكثر وأكثر، وكان ذلك أقسى شيء لنفسي، وكان ذلك مدعاة لنظم قصيدة مطولة وضعت عنوانها " بين شيخ وفتاة " وتغزلت ما شئت بالفتاة وأطريت محاسنها الجذابة غيابا هاتفيا وبالمراسلة حتى تشوقت كثيرا للقائها والتحدث معها من قريب.
و حين الاجتماع ألم بها الاستغراب والعتاب أقصاه وهي تقول: وأنت بهذا

السن تغازل فتاة مثلي يا جدي؟! وحيث كنت متأهبا للرد فأجبتها: نعم، أنا جدك بالسن، ولكن مثيلك وعدلك بالروح والعواطف والأدب، بل أنا خير من ذلك الشاب الطائش المغرور الذي متى أنهى دوافع شهوته وكبريائه، عاد زالا عن الهوى العذري إلى كبريائه ورعونته، غير مجد بروح الأدب وسمو النفس، وكلما قابلتني بالصد والكبرياء قابلتها بالعطف واللين، وأوضحت لها قيمة الحكمة ومقام الأدب عند أمثالي، وروح التجربة خير ممن تميلين إليه من شاب أرعن، كلا، إن إدراك حقيقة أمثالي لا يمكن أن تجديها عند شاب طائش قليل التجربة الذي متى أنهى غرائزه النفسية فرغ وعاد عديم الروح والحركة النفسية.

واستمر بيننا الحوار حتى عادت تتقارب، ودنت وأيدتني، وألقت نفسها إلي تعانقني وتقول: الحق معك، ولا أريد غيرك، وأرجو أن أكون بلغت المراد، وهاهي القصيدة:

هو

أحاديثك لي ورد * ومن فيك حلا الورد
وخداك مع الثغر * ورود جارها ورد
فورذ زانه ورد * ومنه الورد والند
هنيئا للذي وافاه * منك الوعد والعهد
وويل لمعناك * إذا ما هذه الصد

قوام زانه الدل * وأنفاس بها الفل
وطرف جمع الأضداد * فيه الظلم والعدل
وثغر فيه للرشفة * ما يصبو له الكل
وحراس محياك * بها العقرب والصل

جحيم مناك * وفرودي هو الوصل

هو

على طاولة اللعب * وعند الأخذ والذبح
إذا ما قذفت كفاك * بالطاية في صوب
ترى القلب يباريها * كأن اللعب بالقلب
وأنفاسي بين الحين * والأطلاق من حبي
ومرآك وذكراك * بين الطرف واللب

هو

لنا في روعة النهدي * وعند الخفر والورد
هناء لا يساويه * هناء العيش في الخلد
وعند الضم والإطباق * بالخصر وبالخد
عناق وحد الجسمين * بل روحين في فرد
دعي الدنيا وما فيها * فهذا منتهى قصدي

هو

إلهي مبدع الحب * بقلب الواله الصب
وقد أدرك بالنظرة * ما يهواه في خطب
يعاني من جمال الخلق * ما عانى بلا ذنب
خلقت الحسن لو زدت * له عطفًا من القلب
لكان العدل بالوصل * وما عانيت من كرب

هو
دعي الإعراض خلي الصد * فالعاشق يستجدي
فإن الله لا يرضيه * عنف القول في الرد
رعاك الله من قال: * جزاء الحب بالصد؟!
وهل جاز تشفيك * بمن أولاك بالود؟!
تعالى فالهوى سعد * يوافينا لدى الورد

هي
لعمري لست أهوى * غير من يصمد للصعب
ملحا راسخا كالطود * في الجد وفي الكسب
ولا يرضى بما يأتيه * عفوا فارغ اللب
فإن اللذة القصوى * توافيك لدى النصب
غرام لا أرى فيه * عذابا ليس بالعذب

عناء يخلق الندرة * والعزة في الندرة
وهل يبلغ للذروة * إلا من وهى صبره
فهذا الدر والماس * من ذا جاهل أمره
وهذا الماء مبذول * فإن قل على قدره
أتهوانا وتأبى الجهد * فينا إنها غدره

هو
تعالى واغنىمى اللذات * لا تخشين من بأس
فما يدريك بعد اليوم * من يصبح أو يمسي
تعالى نتعاطاها * من الأفواه لا الكأس
رحيحا ينزع الآلام * والرجس من النفس
فمن قال: سمو الحب * بالتعذيب في نحس

هو
تعالى نترك الدنيا * وما أضحك أو أبكى
تعالى نزع الأحزان * والترديد والشكا
تعالى نتعاطاها * أحاديثا لنا تحكى
فما أسعد من لبي * وما أتعس من أنكى
زكاة النفس في هذا * أثاب الله من زكى

هو
أليست ألف شهر لا * توازي ليلة القدر
أليست ليلة العرس * زهت فضلا مدى العمر
أفي ذلك مجهود * سوى الإخلاص في الأمر؟
وفي الإخلاص في الجد * وفي الإحسان والبر
تعالى نفذ الصبر * فرحماك على هجري

(تراه وقد خطه الشيب)
أأنت الواله الحيران * في الحب مع الشيب؟!
أصبنا فيك هذا الوجد * عيبا أيما عيب
أجنبناك ولا ندري * فغفرانك يا ربي
تروم الوصل ممن هي * في بحبوحة الخصب
وهل يحلو لمثلي أن * ترى مثلك في جنبي

هي
شبابي لا أرى إلاه * إذا أعشق أو أهوى
ربيع العمر ماء البشر * والفتنة والبلوى
أناجيه متى شئت * وما أطيبها نجوى
خفوقان إلى العيش * بروحينا إلى رضوى
حرام لست أبغيك * فما لي فيك من سلوى

هو
وما شأنك من عمري * وما شأنك من شعري
أليست سطوة الأعصاب * فيها فيصل الأمر
أليس القلب والروح * هما المبنى لمن يدري
وما كنت بها يوما * ضعيف النفس والصدر
فعهد الله عندي * كل ما تبغينه يجري

هو
تحري رقة الطبع * وصدق الوتر والشفع
وطرفا ينفث العزم * على الطاعة والسمع
وثغرا قد خبا فيه * لسان آمن اللذع
وفي الصدر جنان فاض * بالإخلاص والطوع
ونفس بعدت عنها * مهاوي أرعن الطبع (١)
* * *

هو
توخي فيه أشواقا يضم الإلف للإلف
ويوفيك لدى الإحسان للواحد بالألف
ومن شيمته الصفح إذا بالغت في الخلف
ويلفي فيك (فينوسا) هي السعد لدى الحيف
فهل تلفين في غيري في السراء من كهف
* * *

هو
ألسنا في ربيع العمر كالطائش نرتاد
أليست لذة النائم عند الفجر تزداد
أليس المرء بالأيام يسمو فيه أعداد
دعي الأرعن واختاري حكيمًا لك ينقاد
له النشوة والصحوة والبهجة ميعاد
* * *

(١) يقصد به الشباب.

هو
لعمري أنت ما تبغين في السر وفي الجهر
لعمري أنت ما ترجين في مهواك من نصر
فقد مرت سدى أيامنا الأولى ولا ندري
أبشري فلك البشرى أنا المفديك في عمري
شعورا وأحاسيسا تشيع الزهو في صدري

هو
تعالى لا تبيعها رخيصة درة العمر
فما عهد كأيامك إن أسرفت في الهجر
فمن حنكه الدهر عفا الفحم إلى الدر
ربيع العمر قد يذوي سريعا بيد الدهر
تعالى أنا أحرى من جهول قاصر الفكر

هي
أرى فيك حديث الروح للنفس وللعقل
أرى فيك حماس الحب يغوي عادة مثلي
فإن تصمت فكم قد نبض الخفاق من أجلي
ودعني أنا لا أخشى افتراء الناس بالجهل
وهبني لك لن أخشى انتقادات على فعلي

هو
تقاطيعي يمحوها جمال النفس والمذهب
فكم من ناكر أمرا تولاه متى جرب
دعي الناس وما قالوا فمن يصغي لهم يتعب
نواياهم لهم شتى وكل وله مأرب
فما أندر من أوعى وما أكثر من خرب

هي
وما قولك فرق السن بين اثنين في العد
فتاة تنفث الوجد وشيخ للهوى بيدي
فعمشرون وستون لعمرى منتهى الحد
سأبقى في المدى أحسب عشرين فلا تجدي
فبون شاسع بيني وما بينك يا جدي

هو
بلى جدك في السن وعدل لك في الحس
أنا قيس إذا جد الهوى العذري في قيس
وما المرء سوى الإحساس والقدرة بالنفس
فكم في الأب والابن ترى عكسا من الجنس
شباب هرم واه وشيخ زاهي العرس

هي
أرى فيك مدى الإخلاص والإحساس والحكمة
أرى عزمًا وإيمانًا وأشواقًا أتت جمه
فإن نحن بذلنا لك ما تبغيه من نعمه
أبقى صادق الوعد وفيما نافذ الذمة؟
أبقى الشوق أم يذوي لظى جذوته العتمه؟

هي
أبقى لي بساما رؤوفا واسع الصدر
أبقى لي صباياتك أم تطوى على غدر
ألقي فيك ما أهواه في إلفي من بر
فيا ليتك قد أدركت ما قد ضمه فكري
وأدركت الذي تخفيه في نفسك من أمري

هو
لك القدرة والشوكة والنهي مع الأمر
على العين على القلب على الرأس على الصدر
ضحايك أسارك بحكم اللحظ والثغر
فهل من بعد هذا العهد والميثاق من أسر
فكيلي لي من فعلك ما كلت من الشعر

هي
سما في نظري خلقك رغم السن والشيب
فأصبحت بلا نقص بعيني لا ولا عيب
تقاطيعك في السيماء والشعر بلا ريب
فتى حنكه الدهر سليم اللب والقلب
أراه صادق الإحساس ما زل عن الدرب
* * *

هي
لقد أدركت يا صاح بديع اللفظ والمنطق
ولم تبق لنا عذرا وقد يعذر من يشفق
لقد أعيتني ردا بما جئت فلا تحنق
فما أبغي سوى ألف رقيق في الهوى شيق
له روح كروح الصب إذ يهوى وإذ يعشق
* * *

هو
لك الروح مع الجسم لك النفس وما أملك
وهل يملك مخلوق فكاك الأسر من ذلك
هنائي بين كفيك وما ألقاه في وصلك
هي الدنيا أصبناها بلقياك ومن بذلك
هنيئا لك يا نفس ونعماك على خلك
* * *

هي
لك الكل وما شئت فغفرانك من نقدي
بذلنا لك ما تبغي وما ترجوه من عهد
أصبنا فيك مهوانا وما ولى فلا يجدي
فخذ ما رمت من عيني ومن ثغري ومن نهدي
على سنة رب الكون.. عذري الهوى.. في صدري

هو
فيا روعة لقياك لمثلي ساعة الوعد
لقاء الثغر للثغر لقاء الصدر للنهد
لعمري حق أن يزري لماك العذب بالشهد
ويزري النهد بالرمان والليمون والورد
بشرع الله.. ها نحن حبيبان.. على العهد

هوى مراهق

ومن غريب ما قال ونوادر الحب والهيام أن يهيم بصغيرة في السادسة من سنيها، وحقا كانت مكتملة الحسن والملاحة والظرافة والصباحة، ذات نسب مسدد، وحسب ممجد، فبدت لعينه ملاكا سماويا، ونورا إلهيا، تضئ زوايا قلبه الموحش بغياهب الظلام، وتنير في روحه بوارق الهيام والغرام. في بحبوحة الشباب الثائر وطيش من مراكب الهوى في سن مغامر، وقد أسدل على نفسه قدسية الزهد والورع، فكبت هواها عن الشهوات، ومنعها من تقحم الهفوات في اللذات، واليوم وقد تصدت له غير عامدة، وملكته غير جاهدة، وهو في ديار تكبلها جوامع الشرع الحنيف عن الانحراف والانجراف، وتوقضها مجالس الأدب الظريف للجمال والكمال، فلم يجد بدا عن تعبير ينهه عن كمين العواقر، ويفرج عن ضميره بما هو جائز، فانبرى في شعره متمثلا ولنوازه حاملا شكوى بيثها مخففة، وعروض يثيرها ملطفة، فقال بقصيدة منها:

علقت بها لم تبلغ الست من عمر * وأوهبتها الخفاق ذا النهي والأمر
وهمت بها شوقا ووجدا ولوعة * فبان بياض الشيب في حالك الشعر
أيا أخت ليلي رحمة بمتيم * فهذا أخو مجنون بالوجد والقهر
صغيرة لا تدرين بالوجد والأسى * فعذرا عسى أن تدركيه على الهجر

أسيدتي من لي إذا وحشة الدجى * دهنتي ومر الصافنات من العمر
أعللها كم ذا أعلل هائما * وكيف أسليها وقد خانني صبري
زيارة حلم منك في غمرة الكرى * وطيف خيال منك لي ليلة القدر
أيا بنت كسرى والرسول محمد (١) * عليه صلاة الله دوما إلى الحشر
أمر على الوكر الذي تألفينه * ولولا الحيا والخوف أدلفت للوكر

(١) والحقيقة: أنها تنتمي من أبيها إلى أشرف العوائل العلوية، ومن أمها وهي حفيدة ملك
الفرس طبق ما تزوج سيدنا الحسين بن علي حفيد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من بنت كسرى في
عهد
عمر بن الخطاب، وقد جرى بها مع أسرى بلاد فارس، وأنجبت له الإمام علي بن الحسين
زين العابدين (عليه السلام).

ملحمة غرامية

وهذه ملحمة غرامية أخرى بين سلمى ورياض، يشهد فيها قارئها حقائق نفسية، وعواطف أنسية، وخصائص جنسية في أجلى مظاهرها بين فتى وفتاة في عنفوان شبابهما، وفيها أرق الوصف للخوالج البشرية، والمباهج الطبيعية، وتقاليد عائلية، تتداخلها نوازع مثيرة، تتقابل فيها تلك التقاليد بالعواطف الجنسية، فيتوسل بها الفتى على أثر القهر الأبوي والكبت النفسي إلى مخرج وحل لتلك اللواعج، والحاجة أم الاختراع والابتكار، وإذا به لم يتوصل لحيلة إلا بالمشورة من صديق حكيم وخل حميم، فيدير هذا له تديره، ويسره سرا يوصيه بعمله جازما، وحفظه كاتما، وهو تمارضه وإضرابه عن الطعام، وتظاهره بالحزن العميق والانعزال عن كل قريب، وإهمال نفسه في غرفته، والتناهي في وحشته، حتى يستشير المشاعر وتلين الخواطر، وأن تقوم سلمى وأمها بدورهما لعرض قضية الشرف والمس بكرامة الفتاة، وتجاوز الفتى عليها، وخداعها بالزواج من عائلة الفتى الشامخين بأنوفهم، والمتعصبين في سلوكهم، والمعتدين بأحسابهم وأنسابهم، وتهديدهم إن أبوا وامتنعوا من الزواج بإقامة الدعوى في المحاكم الجزائية، لرد الحيف، وطلب الحكم العادل بالسجن، والغرامة على المعتدي الأثيم، الناكث للعهود، والكاذب بالوعود، وردع العائلة الجائرة المتبختر الماكرة. فكان تدييرا قاهرا، وتصميما ماهرا، انزوى على أثرها الشاب، وبدا عليلا،

وظهر للجميع ضعيفا هزيلا، وقامت الفتاة وأمها بدورهما لظليمتهما معلنتين، ولحقهما طالبتين، فلم يجدا من عائلة الفتى سوى الإعراض، وإذا جدا لم يجدا سوى الزجر والإهانة، ينسبون العفة لفتاهم، وينكرون على الفتاة وأمها دعواهما، ويوسمونهما بالوقاحة والرذيلة.

فقدما دعواهما للمحكمة مخاصمتين، ومضت الأيام، ودعت المحكمة الفتى العليل الهزيل، وحاكمته وهو لا يطيق الوقوف والكلام بقفص الاتهام، فكاد يخر صريعا لضعفه، وارتج عليه، وتوسل لرئيس المحكمة على المهلة وتجديد الدعوى، بعد أن نطقت الفتاة متظلمة، وشرحت ما أثار النفوس الحاضرة والجموع الثائرة، ببيان فصيح، وحماس لقلب قريح، هزت به القضاة الناصتين والجموع الصامتة.

بيد أنه أعطى الحاكم رأيه بالتجديد، وانفضت الجلسة، وإذا الهمهمة تعم القاعة، وأهل الفتى تخونهم الشجاعة، فيطلبون محاميا للدفاع عن فتاهم، وإذا يجتمع المحامي بالفتى يعود مقهورا، ويشير على موكله بالمصالحة والزواج، وبدونها يخونهم العلاج، فتشاوروا وتباينوا في الآراء، بين مدعن لرأي المحامي، وطلب الصفح والمصالحة والوئام، وإجابة ما يرومون من زواج لقطع الخصام، وبين من يحسب ذلك عارا وذلة، والدفاع عن شرفهم ما استطاعوا إليه سبيلا. ودارت الآراء بينهم سجلا حتى قروا على سيد الأحكام، وخصم النزاع والخصام، بصلح يعافي ابنهم الحبيب، فقد أقر ابنهم لمحاميه، لينال وبال أمره إن كان مسيئا، وحقه إن كان ذا حق، فأعلنوا لذوي الفتاة قرارهم، ووعدوهم للتقارب بالزواج، ونبذ العدا والاحتجاج، فدبت الحياة السعيدة في العاشقين، وأدبرت الأيام المريرة، وانقلبت الأتراح أفراحا، وغياهب المساء صباحا، زفت سلمى

لرياض، والتقى الحبيبان بعد أيام مريرة مرت كأحلام مزعجة، وضمهما بيت واحد هو بيت الزوجية، واستمرت الأيام الحلوة وهما أليفان لا يتفارقان، أنيسان في طبائعهما متوافقان، وزادهما الله برابطة البنوة، وشد أواصرهما برابطة قوية، وزاد في حنانيهما حنانه، ومرت سنون ثلاث أيامها مشرقة سعيدة، وساعاتها بحلو الآمال رغيدة العيش.

عاد رياض يوماً من الأيام بعد العمل اليومي - وعلى خلاف عادته - وجد الدار موحشة صامتة، ولم يجد في استقباله كالعادة سلمى، فقد حملت طفلها وذهبت لزيارة صديقة لها بعد أن تركت ناسية وعلى خلاف عاداتها سجل مذكراتها التي تحتفظ به بعيداً عن العيون حتى عن رياض، وفي هذه المرة بعد أن سجلت فيه آخر ذكرياتها نست إعادته إلى مكانه، فقد أشغلتها قرب الموعد المضروب، وخوف الخلف، فأسرعت بطفلها تاركة السجل على طاولة المكتب. صاح رياض منادياً سلمى ولم يسمع جواباً، فجاء يفتش الغرف حتى جلب نظره السجل، وحين تصفحه وجد دفتر مذكرات زوجته الحبيبة، ولشد ما غرق في لجاج مذكراتها وهو مبتدئ بأول تعارفهم، وما أشد دهشته حينما وجدها تسجل تأريخ تعلقها به قبل أمد طويل من أول ملاحظتهما، وهذا ما هز مشاعره لاستقصاء الحقيقة بلهفة، وإذا بها تراقبه من بعيد، وتعد العدة بما لديها من قدرة فكرية وتدير لفرصة مناسبة تنصب شباكها لصيده، وحبالها لقيده، وهي تراقبه مراقبة الصياد لاقتناص صيده، وذلك اليوم المشهود، وكانت قد برزت بأنعم وأجل ملابسها، وسارت تتابع خطاه من بعيد بعد أن تابعته مرات، وعرفت انه من هواة الطبيعة ومباهجها، والسبل التي يسلكها، حتى إذا حل في روضة أنيقة بحشائشها السندسية، وأشجارها المياسة، وظلها الظليل، وهوائها العليل، بمياهها الجارية،

وطيورها الصادحة الزاهية، هناك وجدها بعيدا عن كل رقيب، هناك مالت إلى منعطف هادئ وارف، ووقفت تنظره وكأنها غارقة في عميق أفكار، متصنعة ما يثير شبابه، ويسلب لبابه وهي تدري أنه لابد وأن يعبر الطريق في سيره على مقربة من فسحتها المختارة، فأدارت عن ذلك وجهها تارة، ومبدية أخرى، على حد قول الشاعر الجاهلي:

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي * بناظرة من وحش وجرة مطفل
وقد فاح شذا طيبها، وبدت وكأنها وحيدة تناشد نفسها أبياتا بصوتها
الرخيم الهادئ، وتثير حراكا كي تجلب صيدها إلى الفخ المنصوب، فهفا رياض
لمصدر الحركة والنشيد، وتقدم بأقدام هادئة، وكأنه يحسب أنه يقوم بكل ذلك
والفتاة في غفلة حالمة، وما أن وجد في جمال قوامها الرشيق، وبدا له طرفها
الكحيل، وخذها الأسيل، هفا إليها مجذوبا، ولوصلها مخطوبا، وقف برهة ذاهلا،
ومد بصره بقلق لأطرافها من العالي إلى الداني، وإذا بها وحيدة، فلعب به الهوى،
وسلب منه كل قدرة وملكة، واندفع بخفة من ورائها يطوقها بذراعيه، ويقبلها
قبلات حارة في العارضين، فبدت ممتعضة، والتفتت إليه متنكرة كوحش الطبي،
فطبق آنذاك قبلاته على الثغر والعينين، والجيد والخدين، وأشفعها بكلمات الحب
المبرح تتعالى أنفاسهما، وبدت تحاول الفرار والاستغاثة، وهو يتوسل إليها ناشدا،
ويتضرع واجدا، قابضا على معصمها بيد، ومطوقا خصرها أخرى، فعلمت بنجاح
كيدها، ووقوع صيدها في الفخ، فتظاهرت الاضطراب، وناشدته الركون إلى
الهدوء والسكينة، وألقت عليه بضع أسئلة ليجيبها، ولم تكن جاهلة إلا بالقليل منها،
فقد كانت عرفت حسبه ونسبه وعلمه وأدبه، فأجابها بالحقيقة، وأظهر لها كيف
ملك قلبه، وسلبت لبه، وعاهدها على الإخلاص في المودة، ووعدها بما

يرضيها، ليكون لها الخطيب المنشود، والحبیب الودود، بلهجة صادقة،
وعبارات شائقة، ونفس واثقة، فبادلته بود وصفاء، بعد أن أقسم يمين الولاء بكل
مقدس في الأرض والسماء، آنذاك جدد العناق، وشد على جيدها وخصرها
أطواقا، وبادلته بمثلها، ونزعا كل حشمة، فلا رقيب يخشى، ولا سر يفشى،
وأطلقت الكبت المضني، فبادلها بلهفة وهيام، ولوعة وضرام، وتماديا سويغات
مرت ساحرة، أدركا فيها نعمة الوصال ونشوته، ونعمة الحب في ذروته.
هناك عاودته الذكريات وقال: أكانت كل تلك ألحوبة مصطنعة ومكيدة
أجرتها معه؟! فاستشاط غيظا، وأبى أن يكون صيدا لفخها، وأسيرا لوجدتها،
وتلممت عليه خواطر مثيرة، وللاتنقام مشيرة، وكأن لحظاتها القاسية دهورا
مريرة متمادية.

وما أن طرقت الباب، وأقبلت بوجهها الناعم المليح، وبطفلها الباسم
الصبيح، حتى أدركت آلامه، فحيته بدلال وقالت: إن عز عليك الفراق فقد أسعفتك
بالوصال، بيد أنه سرعان ما أفاض بمكنوناته وخصامه، وما شرحته في مذكراتها
بتمامه، فهونت عليه الخطب، واعترفت بصدر رحب: أنها لا تنكر ما ذكر، وسردت
له حقائق فيها العبر، وأنها كانت تبحث عن حبیب تهبه الفؤاد، ويكون شريك
حياتها دون العباد، فألفت فيه بغيتها، ووضعت فيه ثقته، فكان المرام، وألقت إليه
بالرمام، أمينة مطيعة، ومخلصة متواضعة، لا ترى غيره في حياتها حبيبا أو سلوة
وأمینا سواه يكون لها قدوة، واستعطفته متسائلة: أوجدتني منذ واصلتك ناكلة،
وبعظفي لك خاملة، أتؤاخذني على بحثي عنك، وودادي لك، وهل داهمك قبلها
وبعدها شك؟! وهذا سامر ثمرتنا اليانعة، وأنا في حبك مخلصة طائعة، فماذا
ترجوه بعد مني وممن تهوى، أغير أن أكون ذات روح مرحة، فماذا أخذت علي يا
حبيبي؟

فصغى، وتأمل ووعى، وأعطائها الحق فيما ادعت، وعاوده حنانه القديم،
وعاد لها ذلك الحميم، وقبلها واعتذر، وطلب غفرانها عما بدر، فكانت لحظات
أحلام مضية، تولت عند اليقظة متوارية، فكانت تلك عبرة من العبر، وجولة لهما
في الظفر.

اتجه رياض إلى سفوح الجبل للترويح عن النفس
تخطى السفوح وزار الربى * وهبت بجنيه ريح الصبا
فتى سار لا يعرف المشكلات * لمسراه ذاك وسر الحياة
كليت إذا جاع طاوي الحشا * تمطى وسار إلى حيث شا
يحفزه الجوع للاقتناص * ويدفعه طبعه لا مناص
إلى أن يروي غليلا ظماه * بقنص ويسقي الحشا من دماه
وبعد زئير وكد وجهه * يعود قرير عيون وسهد
وكالنخل حط على خد ورد * للثم الزهور على غير وعد
ونال من الفل والياسمين * ومن نرجس كل شهد كمين
دعاها الكمين من النازعات * غرائز مكبوتة دافعات
جمال الطبيعة يثير فيه العواطف

وأنشد ذاك الفتى صادحا * بصوت رخيم بدا واضحا
يخفف ما عن في جانبيه * يناشد سلمى فتصغي إليه
كطير يغرد فوق الغصون * دعى إلفه عن هوى لا مجون
أته الطبيعة بالمبهجات * مفاتن فيهن روح الحياة
عبير الورود وريح الصبا * ندي ورقراق ماء الربى

وشدو الطيور ونفح الزهور * ودل لغصن وزهو لهور
فطرف وسمع وشم وذكري * أثارت بأحشائه نيران كرى (١)
يحن لمعشوقته الخيالية
يحرقه الوجد عند اللقا * بسلمى وما يرعويه تقى
هيام الهوى وجنون الشباب * أهاباه حتى تناسى الصواب
كجوعان قد حل في مطعم * حوى ما يلد لكل فم
كمن كاد من لهفة يصرع * وعيناه في إثرها تتبع
تبدو له سلمى فتفتنه
هناك تبدت وفي شرعها * فنون الهوى هن من طبعها
لتبقيه حرصا إلى جنبها * وتدنيه شوقا إلى قربها
بسهم اللحاظ وبرق الثنايا * رمته فكان صريع الصبايا
كثعبان إن شاء صيدا سقاه * بأنيابه السم ثم اجتناه
أرته محيا وطرفا وقدأ * لبدر وهور وبان تبدى
ونهدان لاحا على صدرها * فهام إلى الورد من ثغرها
وألقت حبال الهوى تحتويه * وتجذبه دون درء يقيه
وأوحت له روحها كي تسود * على روحه حيث شاءت تجود

(١) النوم.

ينجذب لصوبها
فأقبل والوجد يذكيه نارا * بروح تفانت بحب العذارى
وحانت له الساعة الدانية * لتخفيف ماجن في الخايبة
وما كنه الصدر بين الضلوع * وخزنه الجفن ثر الدموع
بوجه بسيم ولحن حميم * وسير يحاكيه عذب النسيم
تستثيره
فصدت وعادت بفخ ودل * لتدنيه حرصا إليها كطفل
يعانقها
تمد يديها له في اشتياق * وطوقها ما أحلى العناق
يداعبها
وداعبها فوق تلك المروج * وحولهما كائنات تموج
أسكرا دهاه إلى ما فعل * أم الوعي جافاه فيما عمل
أصحو خيال خطأ أم صواب * أيبقى النعيم فهل من حساب؟
السجال بين رياض وسلمى
هنالك في الخلوة الساحرة * ووسط طبيعتها الناضرة
بعيدا عن اللوم واللائم * وفي كنف المبدع العاصم
بظل ظليل لغصن رطيب * حذار عذول وخوف رقيب

سجالا تمادى لكر وفر * وضم وفك ولثم وخفر (١)
لشعر وخصر وثغر وصدر * وزند وبطن وظهر ونحر
رياض يشرح حالها
وكان رياض بدا شارحا * لعشق تولاهما فادحا
أمطنا كالانا عن الحب سرا * فجاء دواء شفاء ونصرا
أرتنا الطبيعة سر الهناء * بأحضانها فوق عشب وماء
فكنا كطيرين فوق الغصون * وبين السواقي وعند العيون
بيشان حبا وعشقا بود * بشدو وعدو ووصل وصد
نسينا الحياة وآثامها * وكل الأمانى وأحلامها
فنحن ببجوحة المبهجات * بلغنا لعمرى صفاء الحياة
فلا لذة فوق ما نحن فيه * ولا عيش خير لنا نبتغيه
فما للطيور وتعريدها * وما كان يعنيه ترديدها
ولا الأقحوان ولا الياسمين * ولا الريم والنحل مهما تبين
ولا للصبيا حيث هبت تثير * عواطفنا ما حوت من عبير
فطرفي وسمعي وذوقي وشمي * ولمسي وفكري وسعدي وهمي
روتنا بأكؤسها الصافية * وبلت شفاها لنا ظاميه
بلغت وسلمى كالانا المنى * فما فوق هذا لنا من هناء
فلا عيش أصفى مضى أو يعود * كهذا الذي وثقته العهود

(١) منع.

الفرقة بعد الوصال
وهل دام عيش فترجو الدوام * سواء حلال السرى أو حرام
مضت كل هاتيك بعد الوصال * وعادت بأشباحها للزوال
وعاد الرجاء بعود الضياء * وعدت أمني فؤادي اللقاء
وأصبح ما مر في الذكريات * تعاودني ما تداعت شتات
فطوراً أحن لشدو الهزار * وأخرى لئرجس أو جلنار
يشنف سمعي صوت رخيم * كأنغام عود ومر النسيم
وإن بان للطرف غصن رطيب * وأبصرت في قفص عندليب
تعاودني ذكريات الربا * وعهد لسلمي زها أو خبا
وسلماي مثلي في وجدها * ومثلي حافظة عهدها
يريدان القران
تعاهد خلان عهد القران * وعش يقاوم كيد الزمان
ممانعة أهل رياض
ونحن كلانا نريد الوصال * وأهلي رأوه بعيد المنال
تفاوت أحسابنا ظاهر * يدين له حظنا العاثر
جواب رياض وشكواه
فقلت الكمال وقلت الجمال * وقلت الحقيقة والامثال
بفكر سديد ونفس أبيه * وقلب مرید وعلم ونيه
فسلمى لها الحسب الأمد * إذا كنت في نسبي أحسد

ومن سن هذا بشرع ودين * وحكم وعقل ورأي رصين
فغاض أبي ما به أحلم * وأمي فاضت بما تكتن
فكان هواي وما أعشق * فداء لأهوائهم يطلق
وكل يشير لعيش حبيب * ويحسب فيما أرى من نصيب
وشتان ما بيننا في الهوى * فكل بواد له ما نوى
أحن لسلمي ولا أهجع * وما هزني دونها مطمع
كأن الحياة وما تبدع * محاسن في شخصها تجمع
فلا أبتغي عن سواها بديل * فما في فؤادي سواها جميل
محاسن لا نقص فيها أرى * وكل حديث هو المفترى
الام ترفض

فعاودني خاطر من رجاء * أسائل أومي بسري خفاء
عساها ترى وجدي القاهر * فأومي حنان لها ظاهر
عساها تحن لهذا الكئيب * وتدني حبيبا للقيا حبيب
هناك ألفتيتها تصمد * وفي نفسها صخب مغمد
وفاض لسان بما يزيد * ولحن بأنفاسها يشهد
شكاية رياض من أمه

فلاينت قسرا بما يستدل * وسرت رجاء فخاب الأمل
أبت وأبي القلب أن يستجيب * وكيف يجيب لنبد الحبيب
وإحلال من شط عن طبعه * وضم بديل إلى ربه
شكنتي إلى الأهل والأصدقاء * وقالت تردى مع الأدنياء

الأب يرفض
فجئت أبي عله يقنع * وفي صحبتي من به أشفع
فألفيته عدني في الرجال * وأخرى كطفل جفاه الكمال
معي لم يزل عهده في صباي * ويحسبني طائشا في هواي
عتاب رياض من أبيه
فإن جئت فيما يرى سامعا * وأحجمت عن رغبتني طائعا
رضاه وإلا عتا واستشاط * فتى يستحق العصا والسياط
تمنيات رياض
وياليتني تبت عن زلتي * وعدت بريئا إلى صفوتي
ويا ليته طاف في محنتي * وما عاب صبا على كبوة
أحقا بحبي زلت الطريق * وأعماني الشوق عما يليق
فإن كان هذا فيا ذلتي * وإن كان عكسا فوا لهفتي
هيام سلمى
وسلمى أسرت إلى أمها * بحب رياض لها يومها
وما قد جنى من لمى ثغرها * ومس يديه حمى صدرها
ولاطف حيننا على الدرتين * وقبل نحري والوجنتين
وطوق حصري حنانا إليه * فألفيت دنياي في ساعديه
فهمت وذاب بحر الهيام * وبادلته حبه والغرام
تفادى إلي وفاديته * وقال سقيم فداويته

وعاهدني الوصل مر القرون * بأني له وهو لي لا يخون
أني على العهد حتى المنون * فيا أم هذا حجا أم جنون؟
جواب الام بعد التأمل

فطاف على الام أسرارها * وعادت لها فيه أطوارها
وساءلت البنت عن خلها * وكيف تنهى إلى وصلها
وعابت على ذلك مما صدر * فمهوى الهوى موحش ذو خطر
وغاصت إلى الغور أم الفتاة * عساها تحل بها المعضلات
تداعى لها شبح الماضيات * وما مر منها عليها وفات
وما عن للغير منها أثر * فعادت بخير وأخرى بشر
وظافت خبايا لأهل الفتى * عساها ترى منهم منصتا
وعادت إلى ابنتها حائرة * ومن أهله قد ترى بادرة
فإن كان حقا على عهده * فقد ينفع الوجد في قصده
ويذكيه للوصل منهم مثير * فنلقى بشيرا لهم أم نذير
إعلام رياض لسلمى عن وفائه رغم رد أهله له
وحتام والشوق يذكي الفؤاد * وساعاته قاهرات شداد
فأدلى لسلمى رياض الخبر * وسر إليها بما قد صدر
وأكد عهدا رعاه القدر * على حبه ما توالى الخطر
شكى أبويه لها في حنق * وأدلى لها ما به من قلق
وقال يرومان نقض العهود * وسن حدود وفرض قيود

مشاورة رياض لخله الحكيم
فشاورت في ذاك خلا حكيم * فقال حديثك أمر جسيم
فإياك تنكث عهدا سبق * فبالنكث تهضم للغير حق
فإن أنت عاهدت لا تنكثن * وإن أنت أقسمت لا تحنثن
أبوك وأمك حق لهم * عليك وعهد فصن عهدهم
وصن عهد ود بدا محسنا * إليك بخير وزده ثنا
وصن كل عهد تعهدته * فأنت الظلوم إذا خنته
فقلت لقد زدني محنة * إلى نكباتي فزد منة
ففي صون وعدي وعهدي لسلمي * تحديث أبا وعاندت أما
وإن سرت عكسا أخون الحبيب * فهل حيلة أو علاج يطيب
الدواء

فقال: لكل عليل دواء * إذا طابق الداء صح الشفاء
سأشفيك إن جئتني طائعا * بمستحضر صغته ناجعا
فقلت وإني طوع البنان * أغثني بما قد تجود اليدان
فقال تمارض وكن طائعا * لأهلك واسترضهم سامعا
وسلمى تقيم الشكاوى عليك * بما مسها ضرر من يديك
تطالب حكما لها بالشرف * وإيفاء عهد لها قد سلف
فردعا بسجن ومال وهتك * وحرصا عليك لما منه تشكي
هناك وصدا لحكم تهان * به سمعة الأهل ترجو القران
وبالصلح تدرك رأيا سديد * وعهدا جديدا وعصرا سعيد
حنانا من الأهل والأقرباء * ووصل الحبيب بعهد الوفاء

الوصية بالكتمان
وما مر سر فكن كاتما * ترى ما تروم به قائما
وإن شاع ضيعت فيه الأمل * وأصبحت في مأزق دون حل
فأدلى رياض لسلمى الخبر * وسلمى إلى أمها ما أسر
فكان لجرهما بلسما * وكل تولاه مستسلما
طلب الصلح قبل الشكوى
وقد أجمعوا قبل شكواهم * لأهل الفتى شرح دعواهم
عساه يكرس فيه الختام * ويصلح عقد به الإنسجام
تعارض رياض
فعاف رياض شهى الطعام * وضل ضجيجا يقل الكلام
ومد لحاه إلى وجنتيه * فبان شحوب على مقلتيه
تعارض حتى بدا كالسقيم * وحن إليه أبوه الحميم
وجاءت له أمه باكيه * فديتك يا منيتي الغالية
فخاطبها طالبا صفحها * وبان مطيعا لها نصحها
وقال: إذا ما دهاني الحمام * فإني أكون شهيد الغرام
عليها تجنيت قهرا وزورا * خداعا بعهد فكان شرورا
تأثر الام
فهاجت على الأم أحزانها * ودل على ذاك تحنانها
أصاب الفتى أمه في الصميم * فعادت إليه بعطف قديم

عفاك الإله من النائبات * وأبقاك ذخرا لنا في الحياة
وساءلت الأم ما تشتكي * فقال أرى قلقا مربكي
أرى قد سئمت دوام المقام * لذيذ الطعام وطيب المنام
إنذار سلمى وأمها لأهل رياض
أحست على الباب صوتا قرع * فخفت وفي النفس يطغى الجزع
رأت أم سلمى وسلمى هناك * عليهن ما يبعث الارتباك
ولما حللن بدار رياض * أجاد اللسان بما قد أفاض
وقلن نذيرات شكوى الشرف * بما مس من عرضنا أو تلف
أتينا بشكوى إليكم عسى * نرى ما يرد علينا الأسي
وإلا هناك يد عادله * ترد الظلوم لما زاوله
فهادنت الام كيما تحول * من اللغو عن ابنها ما يجول
وراحت تفند ما يدعون * فليس فتاها بأهل مجون
وجالت أحاديثهم صاحبه * وزاد التأزم في العاقبة
فعادا وما أدركا من منال * وأهل رياض بقليل وقال
وهل غير شكوى ودعوى تثير * عواطف من رد وخز الضمير؟!
بعد رد الإنذار
هنالك من بعد فك الخصام * نرى أم سلمى كسلمى تضام
وتذهل أم الفتى خائفه * عواقب موقفها رادفه
أطاف رياض بما قد دهم * وهل زاده ما به من سقم
وما شأن دعوى وشكوى الفتاة * وما سوف تتلوه من بينات

طلب المصالحة خوفا
ودام حوار تلاه خصام * وعاد حوارا لأهل الغلام
فمن قائل إنها مشكله * فهذا فتانا به معضله
سقيم ونخشى عليه الردى * بهذا الصدام لهذا المدى
فما الخير إلا بصلح يقام * نسير إليه بترك الخصام
الغرور يغويهم
وعاد الغرور فأغواهم * فهذا خضوع لشكواهم
فليس من الحزم خوف الغريم * وتسليم مطلبهم للخصوم
إحضار رياض للمحكمة
وظلوا حيارى إلى أن أتى * كتاب حضور لجلب الفتى
ليدحض دعوى أقيمت عليه * وما خلفته أذى من يديه
فكيف وما في رياض رفق * لدفع الخصومة جاءت بحق
طلب المحامي وتردده
وقد لجأوا لاختيار الوكيل * ينوب عن المستهام العليل
فأدلى فتاهم له بالحقيقة * لعل إلى الحل يلقي طريقه
وقال: فتاكم أضل الطريق * وأغوى فتاة بما لا يليق
فهزوا أحاسيس ذاك الوكيل * وقالوا: بمثلك يشفى الغليل
فقال: نواصل فيها الدفاع * وننظر بالحل يوم النزاع
وقد حلت الساعة الحاسمه * وبانت نفوس لهم واجمه

إدلاء الفتاة بشكوى تهز عواطفهم
أطلت على الحشد تلك الفتاة * لتعلن أسرار هذه الشكاية
فتاة تصدى لها الواجمون * بطرف وسمع إلى ما يكون
فهزت عواطف ذاك الجنان * بصوت رخيم يثير الحنان
وصف الفتاة

شمائل بانت بها ساحره * بألحاظ فتاكة ثأثره
تصول عليهم بقدر جميل * وخذ أسيل وطرف كحيل
وقول تجيد بإعداده * وتبطل أفكار أضداده
وتشرح ماثلة ذاكره * بما مر في الساعة الغابرة
جلب عواطف القضاة

قضاة الرعية خير الحماة * وكهف الشكاية لصد الغواة
لفرض العقوبة بالجائر * وغيث الضعيف على القاهر
إليكم دعاواي والبيئات * وفيكم رجائي في المعضلات
وصفها للطبيعة

تخذت إلى الروض لي مذهبا * عساني أريح فؤادا كبا
سويغات خلافة ساحره * تفرج عن أنفوس حائره
بها بنت لبنى تفيض السنا * بأنوارها خير ما يجتنى
بماء يداعب كف النسيم * ثناياه والبرق فيها عميم
وخضراء ناشرة فرعها * خمائل من سندس طلعتها
خدود الشقائق والجلنار * وثغر لفل أماط الخمار
مسيل الجداول فوق الصخور * وشدو الهزار وزهو الطيور

ودل الغصون بريح الصبا * وبان يمس بها مطربا
عبير ونفح ودل وميس * صداح وشدو ونجوى بهمس
لزهر وورد وغصن رطيب * هزار ومجرى نسيم بطيب
دعنتي أجوب بها مولعه * وأقطع من ربعها مقطعه
تصف تعرض رياض لها
وما أن تحسست طيب الرياض * إذا بي صيد بكفي رياض
أتيت لها حرة كالطيور * وعدت بأسر وفخ حصور
هناك لمحتشد من شجر * وزاوية ظلها مستقر
على مخمل أخضر داكن * وصفو مخلى من الساكن
تطوقني أذرع حاضنه * وهمسا يقول بها: فاتنه
إلى أين يا منية العاشقين * أخلد وفي الخلد حور وعين؟
تنهد مضطربا باسما * وقبلني غاصبا عازما
بنحري وصدري وعيني وخدي * وعاد لثغري يعب بشهدي
كأن جنون الهوى خامره * وطيش الشباب سبى خاطره
فدافعت عن حرمي حائرة * وبني حيرة قد بدت ظاهرة
فحن وأرعى فجانبته * وجاء يعيد فعاتبته
وألويت أبغي هروبا فحال * ودارت على ذاك فيها سجال
وأمسك عطفًا على معصمي * وقال: حنانا فذاك دمي
أهذا جزاء المحب الكتوم؟! * فقد ذبت وجدا وما بي كلوم
وأقسم لي ما به من مجون * ويرجو قرانا يقر العيون
وعاهد بالوصل حتى المنون * وهيئات يوما لحبي يخون

انعطافها

فأحسست صدقا بإظهاره * وحباً كميناً بأطواره
فأدرك أنني أريد المزيد * لكشف الحقيقة أو لا أريد
توسل بي ضارعا كالوليد * بعيدا عن القسر فيما يريد
وأقسم بالطرف والمبسم * وبالخذ والصدر والمعصم
وبالذاريات وبالأنجم * وبالحب والبارئ الأعظم
بأنى على الحب باق أمين * ومالي إلاك في العالمين
كففت عن الذب والمهرب * وساءلت عن أمه والأب
ومسعاها في البيت والمكتب * ومنواه في القصد والمأرب
فألفيته جد في مطلبي * وجد بما رمت بالأنسب
فكان له النسب الأرفع * وفضل لأمثاله أطمع
هنالك أدركت فيه الجمال * وقد زانه أصله في الكمال
محيا له يسحر الناظرين * وألفاظه الدر للسامعين
فتى جاء في عنفوان الشباب * يريد فتاة بتلك الرحاب
سما وأرض ورحب الفضاء * نسيم عليل وعشب وماء
تجمعن لا عاذل أو رقيب * سوى الله ذاك الرؤوف الحبيب
هيامها به

فهمت وهام وجد الهوى * وجد الصراع وزاد الغوى
فللعشب من أرضها كالحرير * خمائل كانت بنحمل وثير
وسائد كان لها مهجعا * وأرض أجلنا بها مرتعا

فطوق جيدي بطوق حديد * وعاد يطوق خصري العنيد
وبادلته الطوق طوقا أشد * وكنا كروح تحل جسد
وأسعفته مذ شكى لي الظما * لأسقيه ريا رحيق اللمى
فبادلني شهبه واستثار * لهيبا بأحشاي تذكيه نار
وشتان ما بيننا في العمل * أريا بنار لبئس البدل
أمطنا كلانا الحيا والنجل * وكابوس كبت أرانا العلل
فلا حرص للسر والكبرياء * وما ظل من حشمة أو إباء
كأنا شريكين منذ البداء * وعضوين للجسم حلا سواء
فثغر لثغر ونحر يحول * وللخد والعين منها فضول
وكف لشعر وخصر تطول * وللصدر فالنهد منها عدول
تعدت سويعاتها خاطفه * فلا ذكريات لنا سالفه
ولا ما يشين لحس الضمير * ولا ما يخاف له أو يصير
أتينا بما تشتهي الأنفس * نشاوى بما حفل المجلس
الوداع

ومرت لحيظاتها سرعا * حذار الوداع وما لوعا
وعاد لنا وجعه المعبس * أصفر اليدين جنى المفلس
كأن رياضنا نسي عهده * وحل الذي كان قد شده
بخلف ونصب أتى واحتيال * أحثنا فكذبا أتى لا محال
فما نال مني لا يجبر * سوى بوصول به أظفر
فجرم كبير لعرض أسير * وقلب كسير ودمع غزير
إذا خانني لست من يغفر * وإن جار فهو به يغدر

تبكي فتشير ضجة
وضاقت بعبرتها مكظمه * فهبت بقاعتها همهمه
فنبه للصمت بالمقرعة * رئيس القضاة يريد الدعه
وقال ليدلي لنا المتهم * برد يفند فيه التهم
المتهم في القفص
فقام رياض بركن القفص * نحيلاً أناخت عليه الغصص
وما أن أراد المقالة غص * وقال: أمهلوني لإحدى الفرص
فما بي قدرة للكلام * أكاد أطيح لفرط السقام
تأجيل المحكمة
فأجل قاضيهما الاحتكام * لحين يفيق ويقوى الغلام
والا ينوب محامي الدفاع * يدافع عما بدا من نزاع
وعادوا جميعاً لمأواهم * وأهل رياض ببلواهم
فتوى المحامي للمصالحة
يخوضون في مر نجواهم * وحل المحامي فافتاهم
أحال الفضيحة تستقبح * وقد باح عن كنهها المسرح
فسيد أحكامها لو تعون * هو الصلح لا مثلما تدعون
فهذا جزاء الفتى إن أساء * وإلا فبالوصل كان الدواء

القبول بالصلح
فقالوا: صدقت بما ترشد * وصلاح الخصوم هو السيد
ولما أحس الفتى قصدهم * وما آل من أمره عندهم
وعادوا عن القسر والكبرياء * إلى نهج حل يزيل العناء
هنالك في فرصة خاطفة * أبان إلى الخل ما صادفه
فقال الحكيم: تولى الكدر * وأينع عهد لهم وازدهر
الوساطة ثم العقد والزفاف
وقام وسيطا لرفع الخصام * وحل فوصل به الإلتام
وحل الصفاء وزال الكدر * بعقد قران أراح الفكر
وشمس تزف لبدر السما * حكمت ليلة القدر قدرا سما
فيا ليلة الوصل بعد الضنى * تساميت من ليلة في الهنا
وأمسى رياض قرير العيون * بسلمى فسلماه تلك الحنون
ومرت شهور وحالت سنون * ثلاث يزيدان فيها فتون
وليدهم
وزادهم سامر بشره * وليدا لأعينهم قره
وضلا قريرين عينا وسمعا * سعيدين قلبا لطيفين طبعا
خاطرات سلمى
وفي بعض أيامها الآتية * قضى الدهر أن تكشف الخافية
وكان لسلمى بها ذكريات * تسجل في دفتر الخاطرات

وألقته سهوا على المكتب * فلم تك تخشى افتضاح الخبي
وسارت كعادتها لاهية * تزور صديقتها عالية
وجاء رياض إلى داره * ليلحظ غيبة سماره
وحانت له نظرة خاطفه * إلى ذكريات بدت سالفه
غضب وصخب لرياض
وقد هاله ما احتوى من سير * وكيف أعدت شباك القدر
وبانت أفانينها الماكره * وكيف تصدت له ساحره
وكان الذي مر في الغابر * لذاك الهوى الكيد للعابر
صنيعتها في الهوى داهيه * كفخ جنتني به جانیه
ما ذكرته في خاطراتها
تقول حصلت به بغيتي * وأدركت في وصله جنتي
قصدت القنيصة في فرصة * وتابعته وهو في غفلة
بتلك الجنيئة في مشيتي * تظاهرت أني في وحدتي
وألقيت في روعه وحشتي * سويعة ألوي على دفتي خصلتي
فكان الذي رمت في قبضتي * وبات صريعا على عتبتني
وأسقيته الشهد في قبلتي * وكأسا تحساه في لهفة
فطوعا أبنت له لوعتي * لعل يحقق لي منيتي
ما ساوره ونواه
أقرت بهذا بخط صريح * وعادت إلى غير هذا تبيح
فأغضبني هكذا استهان * فأين الرجولة هذا هوان

أتحسبني أنا طفلا غرر * أتحسبني آلة للسمر
فأحسست إذ ذك أني مضام * وحفزني الغيظ للانتقام
وهاجت عواطف لا تكبت * أمكر كهذا له أصمت
فلاح بوجهي عبوس الغضب * وصدري تسعر فيه لهب
أوصلا وبالوصل استحقر * فسحقا لمن في الهوى يمكر
فما أطيب النار لي باحترام * وويلي لفرد قسا لو أضام
وصرت أهيج ودام الأسي * لإخمادها لم أجد ملمسا
تذكرت في ذاك مكر النساء * وكم قد أطاحت به أنفسا
عودة سلمى

وعادت وفي حضاها سامر * لتلقى الذي غيظه تائر
فقال بوجه علاه الوداد * ولفظ رزين يبين السداد
وقد صدني ثغرها الباسم * ولطف تغمدي دائم
وفي وجهها بشرة تألق * وأنفاسها بالشذى تعبق
تبدت وفي لفظها تبدع * فجادت وكلها مسمع
تقول: فديتك يا منيتي * أراك كئيبا على غيبتني
يحدثها مغضبا

فقلت كئيبا ورب العباد * لأمر دهاني وهد الفؤاد
لأنك في حكمك الجائر * فيا حيف صنفقتي الخاسره
وهل تستطيعين إنكارها * وقد كشف السفر أسرارها

أبي تستخفين في الغابر * وأحللت صيدي كالطائر؟!
أردتي المحب كصيد يصاد * وأعلنت حبي بين العباد
أأنت المهيمنة القادره * على أسر مثلي في بادره؟
تيقظت من غفلة غابره * وهيهات أن ترح الواتره
ردها الجميل

أجابت وعطف لها زاجر * صدقت وذا بيننا سامر
فأنت اختياري وأنت الحبيب * لأعطيك قلبي وروحي تطيب
وغيرك لا أبتغي في الوري * فهلا تصدقني يا ترى!
أتغضب من نحلة إذ سعت * لشهد وجادت بما قد وعت
أمن غاص سبحا لقعر البحار * إذا فاز بالدر تصليه عار؟!
فبالجهد والسعي نلقى الظفر * وبالعقل والفكر يسمو البشر
وكنت بودي إليك الصدوق * ومن كان غيرك لي لا يروق
أردتك كيما تكون النصيب * لروحي طيبا لقلبي حبيب
أشوقي لحبي وقصدي وجهدي * كذاك وفائي بوعدتي وعهدي
تراها ككيد وختل وغدر * فهل كان ذاك ولوعا بمكر؟!
وما المكر والكيد إلا الرذيله * على الظلم مبناه دسا وحيله
لأي الظلامات أصبحت نائر * أليس هنالك بسمات سامر؟!
وماذا عساه يكون الولاء * وترجو لعيشك من أصفياء؟!
أعفوا ولهوا قصدتك قصدا * أكانت فتاتك صخرًا وصلدا؟!
أترجو الهنا قائما في هواك * وإن حل يوما قرينا سباك؟!
تكيل له الذنب لا تحجم * أعدلا توخيت أم تظلم؟!!

أليس العواطف حسا كمين * وكل البرايا بهذا تدين؟!
هواك لها جائز يجبر * وإن هي تهواك تستنكر
أتحسبها دمية هامده * وتلك أحاسيسها شاهده؟!
أهذا جزاء فتاة تجود * فتهديك قلب الحبيب الودود؟!
وما كان في جسمها جارحه * خلت منك من ساعة بارحه
العودة إلى الصفاء

فعاد رياض لشد الوثاق * وتجديد عهد على الإتفاق
وقد راعه ما أتت من حجج * على ما تحدى وما فيه لج
لك العذر إن هاج بي أو خلع * وجرت كمن ساء فيما نهج
وأطرها بحميم القبل * وعن عثرات الهوى لا تسل
وزاد على ما مضى من وداد * وسارت حكائيتهم في البلاد
محاورة غرامية

نظرة مني ومنها * أضرمت في القلب نارا
وتبادلنا ابتساما * فحديثنا فحوارا
ثم لا تسأل من أين * وما صار ودارا
كلما أعطيك ما تدرك * معنى واعتبارا
ان تكن أهلا بلغت الغاية * القصوى اختبارا
قلت نهديك أجابت: * طبن ختما وخفارا
وعلى خديك قالت: * جمرة تذكرك نارا
ولماك العذب قالت: * فيه ترياق الحيارى

قلت: ألاحظك قالت: * ويح من يبغى الفرارا
قلت: والقلب أجابت: * جلمدي لا يجارى
وأحاديثك قالت * لك: خذ منها قرارا
لو تعريت أجابت: * منظر عز مزارا
قلت: يا للسحر قالت: * نلت من موسى انتصارا
قلت: والمبسم قالت: * ضعه للمبسم جارا
وأطبق الثغر على الثغر * ودعنا نتواري
واغمض العينين كي * نبقى إلى الوجد أسارى
وأحطني بذراعيك * القويين كرارا
خير ما نرجوه في الدارين * سرا وجهارا
فيه قد ظل بنو الدنيا * سبايا وسكارى
وله يعمل للأخرى * يهود ونصارى

غزل ومعاشقات خيالية
انتخبت معشوقات مختلفة وبأسماء شتى، وأخذت أتغزل فيهن، فأذكر أدناه
تغزلي بنوال:
أنوال هلا تذكرين فإنني لا زلت ذاكر * عهدا تقضى وانطوى عهدا تشع له الخواطر
أيقض مضجعك الهيام كمضجعي ما حل بادر * في كل بادرة تداعت فيه للماضي
أواصر
أفتذكرين حديثنا الشهدي ما أحلاه غابر * عند اللقاء وفي الوداع وفي المجالس
والمعابر
بين الطرائف واللطائف والنوادر * من كل ما يحلو ويحمد عند شاعرة وشاعر
ما كنت أنسى في العناق وما وجدت به مآثر * صدران التقيا وغير الثوب ما كانت
ستائر
حقان سلبي وحامل موجب آو وناشر * ما بينها أصبحت مرتعش البواطن والظواهر
يا ليت شعري هل تعود لنا بزوراء المحاضر * وبماء دجلة نرتوي ما بين مسحور
وساخر
وأبتك الحب المبرح بعد كتمانني مجاهر * كنا كذا وكذا تكون وذاك في الأحباب
سائر

ومن قصيدة موضوعة في قصة موضوعة خيالية قالها في معشوقة خيالية
سماها (نوال) ولسوف تصدر القصة في كتيب مستقل ونذكر من القصة الأبيات
التالية: -

أنوال هلا تذكرين * فإنني لا زلت ذاكر
عهدا تقضى وانطوى * عهدا تسر له الخواطر
أيقض مضجعتك الهيام * كمضجعي ما حل بادر
في كل بادرة تداعت * فيه للماضي أواصر
أفتذكرين حديثنا * الشهدي ما أحلاه غابر
عند اللقاء وفي الوداع * وفي المجالس والمعابر
بين الطرائف واللطائف * والظرائف والنوادر
من كل ما يحلو ويحمد * عند شاعرة وشاعر

ما كنت أنسى في العناق * وما وجدت به مآثر
صدران يلتقيا غير الثوب * ما كانت ستائر
ما بينها أصبحت * مرتعش البواطن والظواهر

يا ليت شعري هل تعود لنا بزوراء المحاضر
وبماء دجلة نرتوي ما بين مسحور وساحر
وأحبك الحب المبرح بعد كتمانني مجاهر
كنا كذا وكذا نكون وذلك في الأحباب سائر

غزل في فتاة سوداء:
سوداء كالمسك مثل المسك نكهتها * يهفو فؤادي لها بالشم والنظر
ما إن تبدت وأبدت عن مباسمها * رأيت فيها نضيدا صف بالورد
وللعيون سواد قد أحاط بها * من البياض شديد البرق كالشرر
في حالك الوجه مثل الليل حاط به * شعر تلوى انعطافا زين بالضفر
نصيحة الشيطان:

لقد كحلت عيني وقطرت بأذاني * إكسيرا به أدرك ما يخفى لجلال
بها ألفيت شيطانا ونجواه لشيطان * على هيكل إنسان وقد جد باحساس
يناقيه لفنان يرى خيرا لفنان * وقد زين للمغرور أم الخبث للحاس

دع الناس ولا تفشي بأسرارك للناس * وداوي النفس إن عانت بك الأخطاء بالكاس
فإبليس وما يضم من شر وأنجاس * لخير من بني آدم هذا الظالم القاس

نضال (١)
أنضال ما أحلاك في فكري وأجمل في جناني!
سنة الوصال لدي تقرب من دقائق أو ثواني
إن مر طيفك في الخيال غمرت في نعم الجنان
طوراً أذوب من الهواجس في البعاد بما أعاني
وتشع نفسي مرة أخرى بأودية الأمانى

جوذي بوصلك فالهوى فيه يذوب الصب وجدا
لحظاته هي كالسنين تمر بل أشهى وأندى
الانتظار أشد للقلب المتيم إن تحدى
من كل ما يرضني الفؤاد وما تعنى فيه جهدا
لو نؤت أدنى ما أنوء به لما عانيت جهدا

ما الروضة الغناء ما الوادي وما الثغر المنضد
ما الراح ما نشواته ما قر صاحبه وعربد
ما الريم ما لحظاته ما قيل في الصب المسهد
إلا صفات من سناك تعج في الأبواب بالصد
وتذوب في كأس الوصال فلا تكاد ترى وتشهد

(١) وصف في عالم المرأة الذي تمثله نضال.

طورا على الأقدام أجتاز الفيافي والهضاب
متجولا في كل صوب دون وعي أو صواب
وأجوب طورا في العوالم في نعيم أو عذاب
لا أبتغي إلاك حتى في القيامة والحساب
وسواك عندي لا يلوح سوى وميض من سراب

في كل طارئة تدب لخاطري فتحل وكرا
وبكل بادرة تمر من الكمين لحيث تجرى
بسناك في العتمات يهتديان ما خلجا ومرا
وعلى هواك نصوغ ما تبغينه سرا وجهرا
أنت المليكة في الحياة تدللي نهيا وأمرا

شوقا لوصلك في المعاد أقام قوم في المعابد
وسعى سواهم قصد وصلك للشراء وللمساند
وأشاد غيرهم العلا وهوى سواهم في المفاسد
ذهبوا مذاهب في الهوى ما بين زنديق وزاهد
وأتيت أنشد فيك ما يبقى على الإخلاص شاهد

أنضال ما صدح الهزار مغردا يشدو فأبهر
ما الزهر أن بسمت وفاحت عن شذا مسك وعنبر
ما الخمرة الصهباء بالألباب إذ تعثو وتسخر

إن لم يمازجها خيالك فهي لا تطري وتذكر
ولو أن وصلك في الجحيم لطاب منقلبا ومهجر

نبكي الشباب الغض مهما ساءنا عهد ولوع
ويهيينا أمر المشيب وإن زها زمنا وأينع
إذ تبسمين إلى الشباب وذاك ما نهوى ونطمع
وتقطبين على المشيب وفيه ما نخشى ونجزع
نرضى ونسخط كيفما تهوين بل أمضى وأطوع

كم في الحدائق والمروج على الشواطئ والسواحل
عند البحيرة والغدير وفي المشاهد والمحافل
في الفجر أو عند الأصيل وكل آونة تماثل
كم قد هويت محاسنا حاككتك يا أم الفضائل
لولاك ما رقت لنا لولاك كان الكل باطل

ما أخطأ الإغريق إذ نصبوا مثالك في المعابد
فبدا إلى النظر أبدع ما بدت هيفاء ناهد
واستوهبوا منه السعادة حين أعيتهم شدائد
يا كعبة الآمال كم ضحى للقياك مجاهد
أالكل مثلي لارتشاف لماك ضمآن مكابد؟

الأمومة والطفولة (١)
سألتنى مرة ليلى إلى من تبسمين في الخواطر؟
ولمن أنت تناجين وماذا تعشقين من مناظر؟
أنت ما بالك للعزلة دوما تركنين دون سامر؟
فتململت حياء قلت: ذكرى لو تعين مر خاطر

أنت يا باسم يا أنسى أناجيك بسري
ما رأت عيني محياك وما أدركت أمري
يا جميلا بخيالي ورقيقا عند شعري
يا رعى الله فؤادي وأثاب الله صبري

أنت يا من جاور القلب بأحشائي كميننا يا جنيني
من لبان الروح والجسم تغذى كل حين بعد حين (٢)
لك فيها خير مأوى مسرحا خلوا أميننا من شؤوني
وتقي نفسك نفسي فهي في درع متين وحصين

كم تمثلتك قبلا في الدمى إذ كنت طفله
ليتها تشعر من حبي لها أية علة
ضمها للصدر شوق بحنان وتجله

(١) اسم الجنين: باسم، وهو أول أولاد الشاعر، قالها عن لسان زوجته: أم باسم.
(٢) يجوز حذف إحدى تائي "تغذى" مثل "تنزل" أي تنزل.

وابتسامات لصب قد أذاب الوجد جله

يا ترى هل يسعد المرء بطيف وخيال ويعنى؟
وعلى الآمال يبني ممكنا أو من محال أي مبني
أفيهوى وهو لا يعلم من ذاك جمالا صيغ معنى؟
حيث لا صوت ولا مرأى لنجوى أو دلال قد تسنى

لك أفدي كلما أملك في هذا الوجود
وعلى سعدك قد أوقفت ما بي من جهود
منك لا أرجو ثوابا لا ولا أبغي عهود
إنما الرحمن والناس على قولي شهود

أمل المستقبل الآتي قريبا أو بعيد
بك تحلو لي ذكراه فأهوى يا حبيبي للمزيد
ليتها تصدق أحلامي بحبي ولطفلي بوليدي
إن في ذاك لعمرى منية القلب الكئيب فهو عيدي

الباب الثاني
المداعبات والإخوانيات

كبوة المهر

[١]

إن عرنتي كبوة المهر * فروحي بشبابي صامدة
وهوى نفسي في أوج التسامي * والتمادي خالدة
وإذا عضو جفاني * كل أعضائي ضلت جاهدة
أترى البتر جزاء * العضو إن شل بضعف طارده؟
أم علاجا سيعيد * الضعف للقوة فيما كابده؟
لي بالضم وبالقبلة * والرشف خطات ماجدة
كم بخديها وبالنهدين * والعينين جاءت وافدة
كم بوصل وبغنج وبدل * قد سبتني عامدة
كم سقتني برضاب * وشفقت أدواء نفسي الفاسدة
وأعادت لي أماني * وأنستني هموما حاشدة
كم لها من بسمه قد أبهجت * قلبي وضلت تالدة
لي بالجلسة والخلسة إياها * عهدود شاهدة

[٢]

ذو الحس طورا بالسلامة يسعد * ويشل أخرى بالسقام ويحمد
يصحو بها طورا فيجهد واعيا * أو يستجيب إلى الرقاد فيرقد

حيا تجاذبه السعادة والشقا * حتى تفارقه الحياة فيهمد
وتراه أخرى قد أصيب بعاطب * أرداه في عضو وشل المقصد
بالسمع بالأطراف ذرفا ناظرا * بالعقل أو ما لا يطيب ويحمد
وأشدها كمدا وأبلغ غصة * إن دب في بطل الغريزة مفسد
فأحال فارسها إلى مستضعف * يأبى النهوض كزاهد يتهدد
فأتى بمتعته لعشاق الهوى * كخنوع كهان طواهم معبد
أتراه أفرط في السجال بكرة * فوهت عزائمه بها والمنجد؟
أو نكسة الشيب الممضة في الفتى * في كل جارحة علتة تهدد؟
أو نابه داء عضال هذه * وبدا مسجى في حياة تكمد؟
في كل حس طاقة لفضيلة * ورذيلة يجزى عليها المرشد
فبما سيجري من أحال صحاحها * رهن السقام وما يعاني المجهد
بالسقم بالإعياء فيما بيدل * المغوار فيه محطما لا يصمد
أتراه فيها مذنبا فيما جرى * أم قد رماه إلى الوقعة أوغد؟
أترى الوصال وما به من لذة * كم فيه من متع تعد وتشهد
ضما وتقبيلا ورشفا كلما * يتبادل الخلان لحنا ينشد
وتداعيا وتجازيا وتطاحنا * في لهفة الأحرار لا تنقيد
وبكل جارحة تعج مشاعر * تتبادل الروحان ما تنورد
أتراه إن خانته جارحة بها * فالقطع بعد الجلد فيه يسدد؟
أنا لا أرى في الحكم عدلا إن بدا * ضعف له فيما يسئل ويغمد
وأرى وقد أولى بكل مودة * إن خانته جزء بها لا يضحده
أبدلته غمدا يريد ولوجه * قهرا لغمد طبعه لا يجهد
لترية فوزا وانتصارا عندها * لا بالنعال فلا يحد ويجلد

ما ذنبه إن جاء يطلب مأرباً * فيخونه عضو وآخر يصمد
أباً أياد قد حكمت بصفه * نعلا فديت فذاك حكم مضهد
أتراه حقاً يستحق جزاءه * فيما حكمت أم المقصر تقصد؟
ذاك الذي ملك الزمام بأمره * فأتاه مثل العبد طوعاً ويرعد
حتى إذا اشتد التطاحن وانجلي * عنها الغبار أتاه ما لا يحمد
أعياه حملاً لا يطيق ثقاله * فهوى وكان بها يجوب ويحصد
فارفع نعالك عن مطيع قد هوى * لا طاعة من سادة لا تنجد
وارحم له هذا الخشوع وقل له: * عش بعد طيشك هانئاً لا تسهد
وإذا أردت العون بعد مرارة * فإليك رأياً من (جواد) تسعد
فارفع نعالك عن بئس خانه * حظ الشباب وغره ما يفسد
فأتى بها جشعاً هوى من طيشه * ولمتعة قد ظنها تستحمد
جهلاً ويا للجهل ممن خانه * علم الحقيقة والحساب المنجد
وقضى على حكم البراءة وانبرى * بالكد والإفراط لا يتردد
فارفع نعالك إنه مستضعف * غرته أحكام الغريزة مجهد
أباً أياد فديت هل تبقى على * عهد الشباب ولا لشيب موعده؟
أباً أياد حذار يوماً أن ترى * حكماً حكمت به إليك يسدد
فارفع نعالك فالزمان يفت في * عضد الشباب وطيشه يتبدد
هذا كتاب الله خير مؤيد * النكس بالتعمير داء يولد
وانصح شباباً مفراطاً بفعالها * إن خانه الإفراط فيما ينشد
أو نابه المرض العضال فصدّه * عما يشاد به الشباب ويحمد
وارحمه من صفع وقطع إن قضى * حكم المشيب فذاك حكم أسود

[٣]

إن الوقاية والعلاج كليهما * أسس تقر به الحياة وتنجع
ولكل داء يعتريك وقاية * من زلة أردت عليه وتوقع
والالتقاء من العوارض والردى * خير لعمرك من علاج يشفع
فخذ الوقاية في الحياة ذريعة * تدفع بها نكد الحياة وتمنع
والاعتدال يقيك شرا يخلف * الإفراط والتفريط شرا يصقع
فالاعتدال به الوقاية والحمي * روحا وجسما حسبما تتوقع
فاحذر قنوط القوم أو إفراطهم * شرين واعمل بالتوسط تبدع
واحفظ لسانك والجنان من الهوى * بل كل أرجاس الغريزة ترفع
وحذار أوباء الحياة وفتكها * بالروح والأبدان فتكا تصرع
فالفتك بالأبدان يصلبها الأسي * كم فاتك بالروح عمدا يجزع
ومن المصائب إن كبا مهر الفتى * كبوا يخرب بروحه ويلوع
وأشدها عهد الشباب إذا كبا * أتعس بها من كبوة كم تهلع
أما المشيب فذاك نكس قائم * في كل جارحة وعضو مفرع
ومتى بدت رغم الحماية والوقا * كبواتها فإليك نهجا يشرع
العلاج المعنوي

أطلق لمبسمك العنان وكن بها * ذرب اللسان وسر بروح تنفع
وأحسن مداعبة الحسان وجد بها * من كل جارحة بنهج يقنع
وأسرع بروحك والجنان ببهجة * تلقي بها مرح الشباب وتجمع
واترك مسaire الظنون وبأسها * بل ثق بأنك بالغ ما تطمع

وارشف رحيق الثغر والنهدين * وارو النفس مما تنزع
ضما وتقببلا وخفرا صرعة * تصرع بها طورا وأخرى تصرع
وتلاحما وتجاذبا وتعانقا * تخفض بها آنا وأخرى ترفع
تغنيك عن كبو لمهرك بل عسى * ألقيت مهرك مستثارا يسرع
العلاج المادي

ما مر كان دواءها معنى * ويتلوها علاج في التجارب ينفع
أكلا وشربا زقه ممتاثلا * تهب النعوض وصوله تسترجع
من لحمها ولبابها وعطورها * خضارها وثمارها تستجمع
وأجلها وقعا وأبلغ دافع * لبلوغ ذاك المهر ما يستنجع
من خير أطعمة حوت ما يبعث الإنعاض * للعضو السقيم ويسرع
خذ سقنقورا متبرا عارما * سيعيد للعضو الحياة ويرجع
أو خاويار لحم عصفور * ويبيض للدجاج بشبة تتمتع
وإليك في التمساح لحما حاملا * روح النشاط وما به تستنفع
ومن الأتان (١) حليبها شربا به * روح لمهرك ما به تتمتع
ويليه عرض للتوابل شارحا * مما يزيد الشهوتين ويجمع
الزنجيل وجوز بري فلفل * أو دار (٢) فلفل دارسين يتبع
بسباسة وقرنفل سعد و * عود الصين خردل للمدنف يجرع
وكبابة جدوار خولنجانة * أو خصية من ثعلب نتجرع

(١) الأتان: أنثى الحمام.
(٢) يقول العراقيون للفلفل البارد، فلفل دارا.

وسقاقل والحبة السوداء * كندر فوق بيض يوضع
وختامها بابنونج تتلو الحذور * ويا لها من صفوة كم تنفع!
بصل وثوم لفت كراث يلي * كلم يلي جزر وفجل يقطع
وبذورها كجذورها بالطبع بل * أقوى وأقدر في النضال وأطوع
تحشى بها تلك اللحوم وطيبها * تحشى التوابل حينما تستطبع
يتلوه فصل في العطور ونفعها * أكلا طلا شربا وشما يمتع
مسك وعنبر زعفران بعدها * عود وقداح وهيل مقمع
شربا مع العسل النقي وأكلها * فردا وجمعا أو طلاء ينجع
أو مضغها فطلاؤها أو بالمذاب * من الزيوت وفي سواها تشفع
وإليك خير وقاية قبل الضنى * وعلاج يقوى الباه فيه ويبرع
أكلا يزيدك لذة بمذاقه * ويزيد روحك نشوة تتوسع
أكرم بها من صفوة محبوبة * أكرم بها من زمرة لا تخدع
تعطيك دوما ما فقدت من القوى * بذلا تعيد إليك ما قد تدفع
هو لب جوز فستق و صنوبر * لوز وفندق نارجيل يقطع
وبذور كتان وسمسم فستق * شامي بلوط حلى تستتبع
مخلوطة بالتين أو عسل مصفى * أو تمور مثل حلوى تصنع
تذكي بها خير العطور فتعتلي * ذوقا وشما نزع ما تردع
ومحرك قد عد من أقطابها * عسل حلا بنقيع حمص يترع
مرت بنا زمر تشد الجسم * والأعصاب مما قد حباها المبدع
هي قد ألت طبها الفوسفور بوهمين * أو نطفا لبعث غرائز تستجمع
طورا تشد بفرطها وإذا خلت * فترت وحل النكس ثم تصدع

جمعت بزرقه أو أتت في جرعة * أو قرص أو ما مر منها مقطع
وختامها إن عز عندك جمعها * خذ منبعا يعطيك ما يستمتع
شيخ يعود إلى صباه كمرجع * طالع (١) كي تحظى بما تتوقع

(١) أي اقرأ " كتاب عودة الشيخ إلى صباه " .

العنكبوت

دنوت لبيت العنكبوت فخلته * من العيش في صفو قليل التململ
فيا لك من عيش هنئ حصلته * فمثلك عيش لم يدنس بأنمل
فأكل زنبورا وإن شئت نحلة * وإن لم أطفها بملح ولففل
وأحسب بيتي بالجمال مزر كشأ * فذلك خير من حرير ومحمل
إلى القمة العليا أروح وإن أشأ * فأنزل حتى للحضيض وأسفل
بسقف وسرداب ورف ومخزن * وكأس ومصباح وقفل ومنخل
زوايا بيوت الناس بين مظلة * وبين ثناي الباب أو ركن محمل
وفي كل دار مقفر أو جنينة * خرائب تعفى أو مجامع محفل
ترى لي بيتا قد أجدت بصنعه * وفيه شباكي مثلما فيه معقلي

رفرف النسـر
رفرف النسـر للفراخ حنـانا * أي عطف يهز قلبا لنسـر
طاف رحب الفضاء بيغي طعاما * لـبنيه ما طار أو دب يسري
رقة للـبنين ينقض عدوا * غارزا مخلبا بأحشاء طير
جاب أحشاءه وكل حشاه * أمل في حشا مروع أسـر
أيرى النسـر أنه قد تحدى * الحد أو حق فيه إيلاء عذر
ليس في عرفه افتراس ضعيف * منكرا فالـحياة بالعرف تجري
أبنيل المنى تهلل نصرا؟ * ذا مباح أـتاه من دون قسر
لمن الحق قد تحيرت قل لي: * لسـليب أم سالب ليت شعري؟
كل فرد يروم فيها حياة * ذا بسلم وذا بإفناء غير

حقائق وعبر

همد القادح والمادح عن * قدح وملح وكلام
وسجى الفاتن والمفتون * عن شوق وزهو وهيام
وبدا الغالب والمغلوب * شئين بلا حول وحام
وارتوى القداح من * نظرتة نكهته والابتسام
وأبى البلبل عن صدح * وشدو وأفانين الغرام
وانتهى السالب والمسلوب في * رقدتهم دون خصام

أين سهاد الليالي * في النوادي الصاخبات الماجنه؟!
أين عشاق الغواني * الباسمات الناعمات الفاتنه؟!
أين أرباب الحجا والعلم * والتقوى تناءت بائنه؟!
أين سمار الليالي السود * ضجت بليال صافنه؟!
أين من أجج نيران الحروب * القاصمات الطاحنه؟!
هل صحا القاهر والمقهور * من طيف تولى آونه؟!
نزع الكل أرادوا أو أبوا * من ضاعن أو ضاعنه
ليتني أدركت في حلي * وترحالي الرموز الكائنة!
يا لها من عبر أعيت * ذوي اللب وضلت كامنه!

أثوى الحق مع الأقوى * وللأقوى مفاتيح الصعاب؟
أثوى الضدين ذا الخير * وذا الشر مضوا دون حساب؟
أثوى الظالم والمظلوم * قد ولوا إلى غير مآب؟
أتساوى البر والفاجر * قدرا بثواب وعقاب؟
أترى العالم وما فيه نوا * ميس سيمضي كسحاب؟
أهي عشوائية حلت وولت * وتبدت كسراب؟

أهو شك أم يقين أهي أشباح بدت دون صواب؟
أهو نقص بأحاسيسي وجهل بذهابي ومآبي؟
أهي حد لرؤى النفس تبدت كظلام حد ما بي؟
أأحبائي وأبنائي ومن حولي خيال برحابي
ولأعمالي وأفكاري مبني لیت أدركت جوابي
إن أكن تهت فقد تاه بها غيرك من شيب وشاب

أترى الأحياء ما فيها عقول وخفايا جئن عفوا؟
أترى الكون وما فيه نواميس تجلت دون جدي؟
ما أرى شكا يقينا حلما أم جاء صحوا؟
وأنا الجاهل في أسرار نفسي كيف لي أصدر فتوى؟!
أترى الدقة والتنظيم في الذرة في الخلق لغوا
وعقول الناس في الإحساس والتميز كالأوهام تطوى؟!

هذه الأفلاك في العالم والعلم خلت شكلا ومحوى

أين ذاك الوجد والجد غرور النفس حب الذات ولت
كيف دكت بحصون العقل والوجدان فرطت أضلت
أتراها أنقضت حقا وشاءت نهج حق فاستزلت
أم تمادت بهواها وإذا عادت أعادت ما استحلت؟

في صنوف الجهل قد تهت إلى شك لوهم لعناد
حيث فيها رغبة أو رهبة أو عبثا دون سداد
وفرجت الحق والباطل فرجا فاقتدا فيها قيادي
وجفوت العقل جهلا أو هوى نفسي وضيعت رشادي
حرت في الضدين من أهواء تحتل سويداء فؤادي

لي بالآثار ما يهدي لدى البحث إلى الحق مصيري
أثر البصمة للأطراف تهدينا إلى صوب المسير
وشذى القداح يهدينا إلى أزهارها عند العبير
مثلما البعرة تهدينا لدى البحث إلى ركن البعير
وهوى القلب هو الأجدر بالآثار من حل قرير
كل عضو يحمل القدرة للوصل بإحراز جدير

من هدى النملة والنحلة تدييرا إلى عيش منظم

وهب الأحياء أهدافا نواميس بها تحيي وتسلم
ملاً العالم أسراراً ونظماً وقوانين وصمم
وأنا العاجز عن إدراك نفسي كل شيء لي مبهم
أترى جهلي في أسرارها نقص له ينسب أو ذم
وله في كل شيء حكمة تجعله أسمى وأعظم

أترى الأجدر عشوائية العيش أو العيش المدبر؟
مهملاً أحيى حياة البهم أم أرعى حساباً بي أجدر؟
أترى العقل هو الأحرى أم الأهواء في السيرة أطهر؟
أترى الحق مع الأقوى أم الفتوى على العدل تقرر؟
أترى الخلقة جاءت عبثاً أم هي عن قصد ومصدر؟
أترى القاصد فيها صمداً فرداً عنى فيها ودبر
أم تبدت عرضاً ثم انتقت مما حوت خيراً أم الشر؟
ما هو الأجدر والأعدل والأهني لنا من كل ما مر؟

أهو الأصلح للفرد سلوكاً لا يرى فيه رقيباً؟
كيفما شاء تحدى الغير للنفس شروراً وخطوباً
أم يرى فيها على أعماله غيباً لما جاء حسيباً؟
جانب الظلم وبالحق رعى العدل أتى الخلق حيباً

جدت الأنفس للأهداف تطوي سبلاً شتى وتجهد

مرة يحدو بها العلم وأخرى دون تدبير ومقصد
تارة تسلك خيطا وبأخرى واضح النهج ممهد
وكلا الدربين ضمت قدوة تقتاد جمعا فيه قد جد
ليت شعري من هو الخائب بالوصل ومن بالوصل يسعد؟
أذوو العشوا (١) أم ذوو العلم بها تهنا وترغد؟
* * *

أنت يا فاطر هذا الكون يا جامع أوصاف الكمال
صمد سرمد بر مبدع دان له كل محال
اهد هذا البشر التائه في الغي وأنواع الضلال
داعيا بالعلم والحكمة والتقوى إلى نهج المعالي
واهدني للهدف الأسمى الذي يرضيك من نهجي وحالي
وسلام الروح والجسم لنوعي ولنفسي ولآلي
وإلى الطاعة مفتونا بآلائك للخير مآلي
وأغثني منك زدني بيقين فيه تمتاز خصالي
لأرى الحق هو الأفضل في فكري وقولي وفعالي
* * *

(١) حذفت همزة "العشواء" لغرض انسجام الوزن.

من رباعیات الخیام المترجمة
هكذا الكوز والهالها كان مثلي (١)
وبصدع المحبوب قد تاه قبلي
ويد فوق جیده تلك تبدو
يد خل قد عانقت جيد خل

ليس في كفك غير الصفر من هذا الوجود (٢)
وازدیاد الصفر أو نقصانه صفرا يعود
فكان الكون أحلام وما فيه خیال

(١)
این کوزه چو من عاشق زاری بوده است
در بند خم زلف نگاری بوده است
این دسته که بر گردن او میبینی
دستی است که بر گردن یاری بوده است

(٢)
چون نیست زهرچه هست جز باد بدست
چون نیست زهرچه نیست نقصان وشکست
انکار زهرچه هست در عالم نیست
پندار زهرچه نیست در عالم هست

وعلى الأحلام كم عمر بذلنا وجهود!!

قال شيخ لمومس: أنت سكرى (١)
لك خل من ليلة بعد أخرى
فأجابت: صدقت ما قلت عني
أصحيح ما تدعي عنك أمرا؟!

ليت شعري كم أقاسي موسرا أو معسرا (٢)
هل سأقضي العمر هذا فرحا أم كدرا؟
قم أدرها واسقني كأسا فإني لست أدري
بعد ذي اللحظة هل أدرك منها وطرا

حيث لا تأتي على مزاجنا الأقدار

(١)
شيخي بزن فاحشة كفتا مستي
هر لحظه بدام ديگری پابستی
گفتا شیخا آنچه کوئی هستم
اما تو چنانچه می نمائی هستی

(٢)
تا کي غم آن خورم که دارم یا نه
وین عمر بخوش دلی گذارم یا نه
در ده قدح باده که معلوم نیست
این دم که فرو برم بر آم یا نه

أين يمضي بجهدنا أم تذهب الأفكار
نحن لا نبرح بالحسرة أنا بعد آن
تاليا جئنا وسرعان تخلى الدار (١)
* * *

منية النفس تعالي وارحمي القلب المعنى (٢)
وبحسن القد حلي مشكلا يا خود عنا
واسعفينا بكؤوس من بنيات الكروم
قبلما الكاسات من طينتنا للشرب تجنى
* * *

أنت إن لم تشرب الخمرة لا تهجو السكارى (٣)

(١)

چون کار نه بر مراد ما خواهد بود
أندیشهء و جهد ما کجا دارد سود
پیوسته نشسته ایم در حیرت انک
زود آمده ایم و رفت می باید زود

(٢)

بر خیز و بیا بتابرای دل ما
حل کن بجمال خویش تن مشکل ما
یک کوزه می بیار تا نوش کنیم
ز آن پیش که کوزها کنند از گل ما

(٣)

گر می نخوری طعنه مرن مزن مستانرا
بنیاد مکن تو حیلہ و دبستان را
گر دست دهد توبه کنم یزدانرا
توغره مشو بدین که تو می نخوری
صد کار کنی که می غلام است ان را

أنت لا تتخذ الحيلة والمكر شعارا
أفتهتز افتخارا حيث لا تشربها
وجنت كفاك ما قد أحجل الخمر مرارا؟!

روحي فدا لصاحب قلبي بصحته انسجم (١)
سيهون إجلالا له أني أطأطئ للقدم
إن شئت تعرف يا أخي على اليقين جهنما
فجهنم الدنيا معاشرة المخالف إن لزم

مفتي المدينة: نحن أعظم منك إجهادا وكدا (٢)!

(١)
جانم بفاى آنكه او اهل بود
سر بر قدمش اگر نهى سهل بود
خواهى كه بدانى بيقين دوزخرا
دوزخ بجهان صحبت نا اهل بود

(٢)
أي مفتی شهر از تو پر کار تریم
با این همه مستی از تو هوشیار تریم
تو خون کسان خوری و ما خون رزان
انصاف بده کدام خونخوار تریم

رغم اشتداد السكر أصحى منك تفكيراً ورشداً
نمتص نحن دم الكروم وأنت في دمنا تفدى
أنصف بربك من أشد ضراوة منا وأردى؟

ألو الفضائل والآداب والحكم
مفاخر العلم والعرفان في الأمم
ضلوا الطريق بهذا الليل وانخذلوا
رووا حديثاً وناموا بعد ذا السأم (١)

أجال في الدين قوم وفي المذاهب فكراً (٢)
وآخر حار بين اليقين والشك دهرًا
فها لهم من كمين صوت فأوضح سرا:
يا غفلاً ليس هذا أو ذاك ما نتحرى

(١)
آنانکه محیط فضل و آداب شدند
در جمع کمال شمع أصحاب شدند
ره زین شب آریک نبردند برون
کفتند فسانه ئی ورد خواب شدند

(٢)
قومي متفکرند در مذهب و دین
جمعی متحیرند در شک و یقین
نا گاه منادئی بر آید ز کمین
کای بیخبران راه نه آنست و نه این

دونك اللذات فالحاصل من عمرك في الأزمان لحظه (١)
كم حوت ذرة هذا التراب سلطانا خبا في الكون حظه
ما رحاب الكون والأزمان والعمر لنا فيه سوى
خاطر من حلم تلفظ مثل القول لفظه

أنت مثلي وأنا مثلك لا نعرف سر الأزل (٢)
أنت مثلي وأنا مثلك لا ندرك كنه العلل
بيننا دار حوار وجدال ما يخفيه الستار
فإذا زال فلا نبقى وأصبحنا رهين الأجل

(١)
شادی مطلب که حاصل عمر دمی است
هر ذره زخاک کیقباد او جمی است
أحوال جهان وعمر فانی ووجود
خوابی وخیالی و فریبی و دمی است

(٢)
أسرار أزل را تو ندانی ونه من
واین حرف معمی نه تو خوانی ونه من
هست از پس پرده گفتگوی من و تو
چو پرده بر افتد نه تو مانی ونه من

من رباعيات ابن سينا المترجمة
رباعيات ابن سينا الطبيب والفيلسوف الشهير قالها بالفارسية، فأجابه رادا
عليها رجل العرفان الشاعر الفيلسوف سعيد أبو الخير بالفارسية أيضا، وهي:
أنا من فر إلى عفوك حتى في الكبائر (١)
وعن الطاعة والعصيان قد حاد مجاهر
قد تساوى عند أظفك حكم الثقلين
أن يرى الطالح كالصالح للعطف مآثر
جواب سعيد أبي الخير
أنت من صد عن الخير وللشر مناصر
يأمل الغفران يوم الحشر كالبر المثابر
دع رجاء الصفح لا ترجوه فالعفو محال
أن يرى الطالح كالصالح للعطف مآثر (٢)

(١)
مائيم بعفو تو تولى کرده
وز طاعت و معصيت تبری کرده
أنجا که عنایت تو باشد باشد
فاکرد چو کرده کرده چون نا کرده

(٢)
أي نيك نکرده و بدیها کرده
و إذا طاعت و معصیت تبری کرده
بر عفو مکن تکیه که هرگز نبود
فاکرده چو کرده کرده چون نا کرده

ابن سينا
أنا من فر إلى عفوك إذلالا وطوعا
وإلى الطاعة والعصيان ما أولاك سمعا
حين عمت طيب أطفائك بعد الخافقين
يبلغ الطالح كالصالح للأطاف وسعا
سعيد أبو الخير

أنت من صد عن الخير وجاب الشر يسعى
يأمل الغفران كالبر وللجنة يدعى
دع رجاء الصفح فالحق محال أن يرى
يبلغ الطالح كالصالح للأطاف وسعا

ابن سينا
أنا من فر إلى عفوك في كل المخاوف
وعن الطاعة والعصيان قد بان مخالف
حيث إكرامك والإحسان للناس لطائف
يرى الفجار كالأبرار للعطف مواقف
سعيد أبو الخير

أنت يا معتزل الخير وبالأشرار طائف
يأمل الغفران يوم الحشر عما مر سالف
دع رجاء العفو إن الحق أولى أن يرى البر كالفاجر
بر كالفاجر والفاجر كالبر مواقف

ابن سينا
أنا من فر إلى عفوك لا يثنيه عاذل
وعن الطاعة والعصيان قد حاد معازل
قد تساوت عند أطفائك حكم الثقلين
أن يرى الطالح كالصالح للعطف مماثل
سعيد أبو الخير
أنت من حاد عن الأبرار في كسب الرذائل
يأمل الحظوة يوم الحشر كالبر المناضل
دع رجاء الصفح لا ترجوه فالعفو محال
أن يرى الطالح كالصالح للعطف مماثل

نوروز
ليخلد في نوروز ذكراه بالبشر * ويطرى مدى الأيام في الشعر والنثر
لنوروز يوم في الطبيعة زاهر * جمالا وطقسا بالمسرة واليسر
تجلى به فضل النهار بغيره * كما في الليالي كرمت ليلة القدر
لكل ذوي الأرواح منى تهانيا * وبشرى بنوروز تجل عن الحصر
ترى فيه حتى للحمامد مباحجا * وذو الروح من ضيق إلى سعة النشر
فللورد والريحان من طول ضجعة * نهوضا من الترب المهبللة والقبر
لها بسمة يفتر في وجه فلها * وقداحها بعد الأقاح عن الثغر
وزهو الغصون اليانعات ودلها * وحرر حدود للشقائق كالجمر
وطيب ندا عم الفضاء أريجه * وشمس تهيل النور لطفًا من الفجر
وزغزغة بين الحقول وخفقة * وشدو وتغريد البلابل في الوكر
تعيد لقلب العاشقين صباة * وولهان إذ يصبو لضيقة الخصر
وتسترجع الألباب من بعد فترة * قواها لما تهفو إلى ساحة النصر
وكل له سعي وشتان بينها * فمنها إلى خير ومنها إلى شر
وهل يدرك العقبي سوى ذي إرادة * هفي لاكتساب المكرمات وللخير
**

بگیلان نوروز پاینده باد * که هر سو بنگری بهشتی زعاد
که هر روز نوروز در آن سرزمین * کند خرمی را بدلها نوین
ویبوسته گیلان جاوید بود * بمردان دانش وأهل خرد
ز آل الرضا بیاید چو فضل * الله چون مهر پر نور وبذل
چنان فضل باشد ز آل الرضا * چو افتاب تابش کند در فضا

که فضل الهی با سایر بندگان * بر این فضل شکران کنیم هر زمان
 ز خاکش نهالش و در پروری * چو فردوس با حوریان و پری
 هزاران در مدح آن سرزمین * کم است گر کنم بر نهالش همین
 کجایند خرد؟ و پیر مغان * چو او در حقیقت و علم و بیان
 و پندار و گفتار و کردار نیک * نباشد کسی در صفاتش شریک
 که اهل است و نزدش چو باغ ارم * بعرضش کنم بندگی با سرم
 در آئین او هم روان هم قدم * کنم تا ردیفش شوم دم بدم
 اگر پاس او بندگیها کنم * بجاه و کمالش بنازت تنم
 پایان گوید خلیلی جواد * بماند بنیکی همانا بیاد
 ویزدان باشد نگهدار او * و باشد نگهبان وهم یار او
 * *

پورزند

پورزند مهربان از بر ما چون برفت * رفت گرمی و سرمای رمسنان آمد
 باز سرمای زمستان که پایان آمد * روز نوروز فرح بخش چه با ناز آمد
 دولت اشوب رعه و برق و یخ بندان رفت * دولت صلح و صفا باز بمیدان آمد
 چونکه باران و نسیم در بر نوروز دهید * لاله و نرگس و نسرین شکوفان آمد
 بانسیمان بهاران گل سبزه که جهید * باز ان بلبل دل خواه منو تو باواز آمد
 همچو ساری و لبخند و چه چه بسرود * چه کند عاشق مسکین که دلخواه آمد
 چون به روی نگار افتاد از تو نظرم * طرب و شادی دل باز خروشان آمد
 دل وامنده من از دل زندان پرید * آن هنگام که شببوز بهار بر سر اواز آمد
 در بهشت دل من مسکن تو جا آمد * چه بهشتی وسط دوزخ همه جا آمد

بورزند اگر نبودی بر دل از دوری تو * از غم غصه و همها چها می آمد
 با شما خورسند و سعادت مند هر جا باشی * هر زمان و حضور در سفر رفت آمد
 بر هر مرد خرد هر روز نوروز آید * بر آن بی خردان هیچ نگویند آید
 بر هر دید زهر ذره ز مردان خرد * چوتو هر لحظه که بیند نوجهانی آید
 خرم آنست که بادیده دل مینگرد * آنچه دیده هست ز اسرار نهانی آید
 بر هر دل که تو بین کتابی است نهان * بر هر صفحه چه اسرار کلانی آید
 نزد مردان خرد چون تو نباشد نوروز * تو که هر لحظه دمت نو بر نوها آید
 تو که فضل الله دانشمند مردان رضا * تایش نوری ز أنوار خدا میآید
 خرد و خرم وزیبا ز فیوضات خداست * خرمی درك خردمند ز زیبا آید
 چه کند عاشق مسکین خلیلی که تو * دلربائی واو عاشق تو میآید
 أصل خاکیم که با دانش و پرهیز کاری * خاک در اوج وبری زیر چنان میآید
 روز نوروز برت چون شب قدری باشد * که هزار از دلخوشیها بر روانت آید
 * * *

لعید نوروز سنة ۲۵۳۵ المصادف لسنة ۱۹۷۶:

جواب لدعوة وتقدير للأستاذ (البروفسور) فضل الله رضا عمید جامعات
 طهران وقبلها أمريكا وفرنسا وكندا وسفير إيران حاليا بكندا عند إنشاء هذه
 الأبيات، والبروفسور من أبناء گیلان. وهي:
 سقى الله گیلانا بها طلة القطر * وطيبها بالورد والند والعطر
 بما أنجبت من خيرة القوم فتية * شمس زهت ما بين أنجمها الزهر
 كآل الرضا أكرم بهم من مفاخر * إلى الدين والدنيا وأعلام كالبدر

سمى بهم للفضل من كل أروع * بنين وأبناء بعصر إلى عصر
فما بين ذي فضل وفضل وآله * نحوا بين أحضان الفضيلة والصدر
صبوت إلى ذكرى فتى من خيارها * فجاهرت في نعتي له كاشفا سري
فقلت وقد يهوى الفتى لصبابة * فتى لكمال وهو أحرى بمن يطرى
فهذا أبو فضل يزان بفضله * وفضل بها مثل اليتيمة في الدهر
يحن له قلبي حنين موله * إلى العلم والعرفان بالعقل والفكر
أجلك إنسانا تساما مواهبا * وأهوى بك الجد المدام مدى العمر
نبوغ وإحسان وعلم وحكمة * ودأب لكسب المكرمات وللنشر
فذلك من قد خلد الدهر ذكره * وذلك حي خالد الاسم والذكر
لتبقى لكم مهوى جوار ونعته * على صفحات الدهر في النثر والشعر
لتبقى لكم ذكراه خالدة بها * خلوصا وإيمانا وحباً إلى الحشر

عشت في نوروز مسرورا قرين السعدا * باشد آن راز جوانی روز نوروز بهار
وترى من عيشك المقبل عيشا أرغدا * در دلان جاوید سازد خرمی را ابد
انك الفضل وذو الفضل ومن آل الرضا * اوست فضل الله هم نام وحقیقت تا خدا
نلت بالذات وبالآل سموا أوحدا * رهنمای کشتی فضل ودانش وهدا
قد بلغت القصد من لقیك علما وندا * اوست که از آل الرضا باشد وهم یار الرضا
ونبوغا وجهادا خلقا فالسؤددا * درك فیض دین ودنیا را کند چون شهدا
جانست روحك روحی معشرا فیه الهدی * فضل آنست که بدانش برسد پا برجا
حق أن تفدی بما عز فأهل للفدا * چون تو در پیروی فضل ندیدم أحدا
قدوة أنت وحق أن تكون المقتدا * دین ودانش برساند بشری را جائی

لبنی الإنسان إن شاء بها أن یخلدا * نرسد جز پری و حور در انجا پیدا
لی من رأیک والعقل سبیلا وهدا * دوزخ است صحبت ناجور و درد است و بلا
کل من جد بها أدرك نهج السعدا * آنکه جور است جو در باغ ارم با سعدا
إنما جاء جواد ناعتا فیما غدا * همچو تو رهبر من باشی و من پیرو تو
لسجایاک بما حق بها أن تحمدا * بهر آیین تو من پیرو تو چون مردا
یادگاری است خلیلی که بماند بر آن * یاس ان مرد خردمند بهر لحن و صدا

مقتطفات مترجمة

إن تكن سودت شعرا بالخضاب * سوف تفشيها تجاعيد المشيب
هب رتوجا قد أبانتك شباب * هتكتك العين في الرؤيا القريب
وإذا ما عالج الطب المصاب * نم قوس الظهر بالأمر المريب
والعصا إن أصلحت بعض الخراب * عدت مفضوحا على موت القضييب
موى توسيه كنى بخضاب * تارة ديدة را چه خواهد کرد
تارة ديدة به شود بدوا * قد خميده را چه خواهد کرد
قد خميده به شود بعصا * كير خواييده را چه خواهد شد

لا تبع درك إلا عند أرباب الدرر * گوهر داری ببر بر گوهر فر
واحذر العرض على أي حمار إن بدر * گوهر تو نبر بنزد هر خر که خر
تعرض الدر لمن جل أمانيه الشعير * خر جو خورد تو گوهرت پیش بری
ذرة خير له من طن در معتبر * يك جو برای او بهتر دو صد من گوهر

جلالا مرصعا بالدراري * خری را که بالانش از زر بود
ومن التبر رشمه لحمار * که بالانش از لعل گوهر بود
واعضه عن الشعير بلوز * بجای جوش مغز بادام تر
وعن التبن من لباب الخيار * بجای جوش گرد همانی شکر
واسقه الماء كل عذب نقي * في كؤوس ومن بطون الجرار

وليكن جبرئيل سائسه الأوحـد * اكر جبرئيلش كند مهترى
في حله وفي الترحال * بجای أو در باز رسم خرى
فلعمري لسوف يبقى حمار * عند أطباعه سليل حمار

مفردات من نصائح في أبيات وغيرها
من أرسل الأحمق يصلح له * فتقا أتاه وهو خرق وسيع
خذ حسنات المرء وأعمل لها * يحسن من تحسن منه الصنيع
لا تنتظر شكرا على نعمة * أنعمتها تشكر وإلا تضيع
واحذر من الفتنة وأصبح لها * عن لغط القوم كطفل رضيع
وانعم البال بخل يرى * ودك أو خصم يراك الوضيع

بين الجسم والقلب
دع قرار الجسم لا ترجوه والقلب محير * كيف ترجو رقة الكأس مع الخمر المكدر

قصيدة حماسية حنان للوطن
وطني يا غري يا منبت العز ومهد الفخار والأمجاد
في جوار الوصي بل نفس طه بأبي باب علم ذلك الهادي
كم تلقيت في رحابك سعدا وعناء في كبوتي وسدادي
ورجاء وخيبة وهناء وشقاء في نشأتي وقيادي
بلد كان منبتي ومقري وهو مهد الآباء والأجداد
فيه ألفت للطفولة عهدا والصبا والشباب كالميلاد
وبه صفوة الأخلاء والأهل وذكريات من لوعتي وودادي
خاطرات إن عدتهن تداعت ماضيات تعج بالأضداد
فتراني طورا أجوب جنانا وبأخرى أنوء بالأنداد
ما دهنتي منها وفيها الدواهي فهي أمي ومهبطي ومرادي
فجدير بأن أهيم إليها وأعيها بيقضتي ورقادي
زارع الشوك هل سيحصد غير الشوك والورد زارع الأوراد
أفترجو إذ تنبت الحنظل التمر وبالنار كوثر العباد
كيف ذو العقل والضمير تجافى وتنأى في الحس والإرشاد
أفبالكره نستحيل قلوبا كيف ترجو الولاء بالأحقاد
فأنبت الحب بالقلوب لتحض بثمار الهناء والأسعاد
لا ترى عيني من يحبك قبحا فيك والحسن لا يراه معادي
فاحذر الظلم فالحياة ستطوى وستبقى آثامها للبادي

حنان للأهل والأصدقاء من ألمانيا سنة ١٩٥٩
يا أهيل الدار من حي الصديق (١) * يا لشوق لكم بين الضلوع
لم أكد أفلح بالرأي الطليق * لأقيها من عذاب وخنوع
عدت بالذكرى إلى الوادي السحيق * فعنائي بين وقف وشروع
لا أطيق الصبر كلا لا أطيق * ولقد عز على القلب الهجوع
ولكم أضرم بي وجدي حريق * فأغاثتني غيوث من دموع

يا زمان الوصل عد عد راجعا * وأزح عني آلام الصدود
وأتح عهدا قضيناه معا * كخيال أو كطيف أن يعود
يا ليوم فيه يبدو طالعا * كوكب السعد وبالوصل وجود
عندها أقضي قضاء بارعا * ما تبقى من حياتي وأهود
عندها أقضي نهاري خاشعا * وليالي ركوعا وسجود

يا زمان الوصل عد عد من جديد * وعن القلب أزح أحزانه
وأعد عهدا من الماضي السعيد * قد جهلنا نحن حقا شأنه
فيه كالأطفال كنا لا نجيد * حين يقضي عبثا أزمانه
أبدلت بالعبد ضوضاء شديد * وخصاما أضرمت بركانه
قسما أقسم بالثغر النضيد * غير وصل لم يزح أدرانه

(١) اسم حي يسكنه الأهل.

يا زمان الوصل من بعد الفراق * أي شوق قد دهاني وأمل
ليتني فزت بأيام التلاق * فأحييها عناقا وقبل
إن تعد عدنا إلى ما لا يطاق * وإذ بنا ما تبقى من وشل
وأقمناها رهانا وسباق * بين أفراح وأنس وجدل
واستعدنا كلما طاب وراق * بالذي صب علينا ونزل

يا زمان الوصل عد عد يا زمان * وابق لي بعض بقايا الرmq
لم يدم للنفس والجسم كيان * ما يرى من زفرات الحرق
انا في الغرب معنى ومهان * ولكم ضاق بأهل المشرق
طرق مدت إلى كل مكان * ولنا سدت جميع الطرق
فإلي من أشتكى هذا الهوان * ولمن أشكو ليالي الأرق

يا زمان الوصل في دار السلام * عد لنا بالذكريات الصارمة
عن أصحاب لنا فيها كرام * وأهيل في رحاب العاصمة
يا رعاها الله حبا وأنام * ورعى الله سماها الباسمة
وإلى دجلة شوق وهيام * لم تزل نفسي إليها هائمة
قد بذلناها جهودا وهيام * علنا ندرك منها القادمة

إيه يا ها مبورك في ديسمبر * لست أنسى من بنيك الطيبات
فيك أدركت رقيق العبر * لم تكن تدرك في وادي الفرات
جمعت فيك شتات الفكر * من طليق وأسير الذكريات
وضروب من نفوس البشر * شذ لونا ولسانا وصفات

لست أبغي بعدها في سفري * غير إدراك نجاة (١) و حياة

عند هديه تصوير لأخي
لك عن منظري نضير حكاة * وإذا اشتقت أن تراني تراه
زره يوما هزتك فيه العواطف * وتذكرت عهدنا في صباه

في ميلاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
يا ليوم أغر مشهد يوم * فيه للمصطفى الحبيب قدوم
طبق الخافقين نورا وسعدا * وانجلي الظلم والظلام العميم
يا رسولا وخاتما رسل الله * منهم يسعه والكليم
ويتيما يتيمة الدهر أنت * الفذ في العقل والسدار الحكيم
بك ولى الظلام والفقر والجهل * وهوى الكبر والخصام المقيم
بك عمت معالم العلم والعدل * والتآخي والحب والتصميم
وعلى قلبك الأمين تجلى * هبط الوحي والكتاب العظيم
بك نلنا مكارم الخلق والنبيل * ويفشى السلام والتكريم

بيد وا حسرتاه عدنا شتاتا * كل فرد إلى أخيه خصيم
مذ تركنا نهج الشريعة صدغا * لرضى نهمة وطيش يخوم

(١) نجاة هي: زوجة الشاعر.

حين جال الهوى وعاثت يد الشر * فإذا العز والنعيم جحيم
وإذا الحق والفضيلة تنزاح * ويحتل ربعا التجريم
واستزلت أقدامنا لمهاوي * الجهل والحقد واستخف العليم
وتركنا العدى تحيك وتبني * بيننا ما تشاؤه وتقيم
ونسينا الكتاب فعلا وعدنا * نتولى ما قد نهانا الكريم
أفحقا بصحوة نحن أم نحن * نيام يا رقدة كم تدوم؟
عد تأخيك أحمد عده فينا * وأعدنا فقد سبتنا الخصوم

رب طه أعد بنا نهج طه * وأعدنا به فأنت الرحيم

* (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليكم ما عنتم حريص عليكم
بالمؤمنين رؤوف رحيم) * . (١)

* (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم
أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا * وكنتم على شفا حفرة من النار
فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون
إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون *
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب
عظيم) * (٢).

(١) سورة التوبة: ١٢٩ .
(٢) آل عمران: الآيات ١٠١ - ١٠٥

في ميلاد الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهي ٤١ بيتا
يا أديم البطحاء طبت مكانا * وأوان الميلاد طبت أوانا
حق أن تفخرا على كل أرض * وزمان وتخلدا وتصانا
بوليد ما أنجب الدهر فذا * مثله كان في العقود جمانا
مولد للوصي نفديه عهدا * ومحيا أرواحنا فتانا

يا لوجد سمي فأذكى فؤادي * لإمام قد تهت فيه بيانا
قصر القلب واللسان وحرار * اللب في وصفه ثناء وعانى
ملاً الأرض والسماء بهاء * حينما عم فضله الأكوانا

وجم العارفون حان أرادوا * وصف من فاق وصفه الإنسانا
وضنى العاشقون فيه فكانوا * بين ناج وهالك قربانا
قدوة الصالحين في كل مصر * جاء من دونه النبيون شاننا

يا مثال الكمال قولاً وفعلاً * قد كفتنا أفعالك البرهانا
شهد الخصم في علاك ومارا * قال حقاً وحاد عنه وخانا

حيدر أنت منبع الحق نور * أينما حل أودع الايمانا
أنت يا منجب الأباة ربيب * المصطفى بل أخا وقاه وصانا

أنت مجلي الكروب والضميم حام * عنه ما أحجوا الحروب العوانا
من بيدر وخيبر وبأحد * ضيغما كان في الوغى جدلانا
أنت لولاك من يقيه ابن ود * من يقيه الأهوال والعدوانا

ضربة منك كم أشادت وهدت * وأقامت وزحزحت أركاننا
هي ساوت عبادة الخلق طرا * ولكم مثلها توات زمانا

من رقى منبرا كأكتاف طه * وأطاح الأصنام والأوثانا
وعلى مرقد الرسول هجوعا * من ثوى يفتديه ممن بنانا

وييوم الغدير بوركت يوما * فيه أولاك ربك السلطانا
فيه أصبحت كالرسول وليا * ووصيا سرا له وعيانا
هلل المسلمون فيه سرورا * وإلى الخائنين كان أذانا

ليس تنسى بخ بخ لك فيها * وبأحشائهم لظى الحقد باننا
منه حيكت مكائد وتناجوا * بالخنى حيث أغضبوا الرحمانا (١)
واستباحوا حق الوصي وكانوا * فيه خانوا الرسول والوجدانا
فبدي صابرا على هضم حق * وهو يرعاهم يدا ولسانا

ما لهم كيف صيروها عدا * بعدما أصبحوا بها إخوانا

(١) * (ويتناجون بالإثم والعدوان) * . المجادلة: آية ٨.

كيف دسوا مكائد الشرك فيها * وعن الصدق أبدلوا البهتاننا
وأزاحوا من كان فيها إماما * واستعاضوا عن الصفا الخذلانا
ومضت وهي تحمل الغضب والجور * وتفشي الفساد والحرماننا
وأمدت شراكها كل صوب * وزمان وما رعت إحساننا

زرعت بذرة النفاق فأعطت * منه في كل بقعة مروانا
فبصفين بعد فيحاء أصلت * حرة بعد نينوى نيران

أججوها من حيدر لحسين * لبنينهم أكان ذاك رهانا

يا لآمالهم ويا للأمانى * خلفت حيث خلفوا التيجانا
واستعاضوا بذاك عارا وخزيا * لا رؤوا بعدها حمى وأمانا
وقضى الله بعدها وهو حق * أن يرى الحق واضحا بياننا

أبو الصفوة الميامين يا من * حبه يقلب الجحيم جنانا
بك لذنا وأنت خير ملاذ * وإمام يهدي السبيل حنانا

في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)
يوم تقلد زمام أمور المسلمين
لينشد فيك الشعر من هزه الشعر * وينثر فيك النثر من راعه النثر
لما أدركا من هول واقعة بدت * ولا وصف فجر عاد فيه لك الأمر
ولا عزمك الماضي وأي عزيمة * وفوز كهذا استطاع له حصر
انتصارك نصر المسلمين جميعهم * وخذلانهم فيما يعيقك لو فروا
وما بلغوا من معجزاتك في الورى * انتصارا لعمري لا يحيط به فكر
فضائل لا تحصي من العلم والتقوى * وبأس وحلم ما رأى مثله الدهر
عدوك ما أشقاه في كل لحظة * يكيد فيلقى قد أحاط به الوزر
أينسى اندحارا يوم جاء بكرة * وشتان فرا أن يقاس به كر
لقد فتشوا عنك المكان وقلبوا * زمانك عن ضعف فضاك بهم صبر
فعادوا يكيلون افتراء وتهمة * وهيهات أنت البحر بل دونك البحر
يقولون لولا فيه ميل دعاية * فداء لمن قد شط عن طبعه القمر
وقالوا ضعيف في السياسة والدهى * فويلهم فالدين لم يرضه المكر
وهل يرتضي الدين الحنيف سياسة * إذا كان من أهدافه القسط والبر
وقالوا بما أوحى إليهم نفوسهم * وأورا هم غيظ وأغواهم كفر
وقد فقدت فيها الضمائر والحجى * فجاؤوا بما لا استطاع له عذر
فديتك يا خير الأنام مضحيا * بنفسك دينا حينما مسه الضر
أتيت بها وهاجة فتبدلت * بهن الليالي السود وانتشر البشر
فكنت على الخصم اللدود صواعقا * وولت أباطيل الشياطين والسحر
لتحيي بلاد كنت أنت أميرها * وتحيي بها آثارك الغرر الدر
ليخلد قوم بايعوك وجاهدوا * إلى الله دون الحق كي يدرك النصر

وتعسا لمن عاداك من كل خائن * شقي قضى جورا وحل به الشر
لك المثل الأعلى بعقبك رفعة * وذل الذي ناواك إن ضمه الحشر
ولولا قضاء الله يا خير من سعى * ولبي وأمر كان خط له القدر
لعدت بها سمحاء عدلا نقية * هداها كتاب الله والسنن الغر
* * *

في مدح الإمام علي (عليه السلام)
نفحات بيانك أم عنبر * أم در جدت به ينثر
وصليل حسامك في الهيجا * رعد برق لمن استجبر
تهوى يمينك كصاعقة * بمن استعصى ومن استكبر
لله كمالك كم أثمر * وسمو مقامك كم أزهر
صفحات علاك بما أولاك * محاسن أعظم من أن تحصر
ومكارم لا تحصي عدا * بك أو بينيك أتت مفخر
أصفاك الله بكل علا * فبكعبة مولدك الأطهر
ورفيقك أحمد منذ صباك * وبقيت ناصره الأبهر
فاختارك بين جموع الأهل * وصيا قدوة فيما مر
واختارك ليلة رحلته * لوقايته فيما دبر
فيها تستضجع مضجعه * ويحيط بك الخطر الأكبر
ما هالك قط جموعهم * تفديه بنفسك لا تحذر
وجهادك ردعا للعدوى * في بدر بخندق في خيبر
ووقاء كنت في أحد * لرسول الله من الفجر
فقمعت أشدهم خطرا * تفديه بنفسك ما استيسر

يوم ولى كل الأعوان * ودمت تذب ولم تقهر
كفوا حسدا لك ما انخذلوا * وبرزت بما اندحروا مدحر
وبلغت علا جسدا روحا * وثووا بهما مثوى الأخر
في كل جهاد للأعداء * وجهاد النفس لدى المنكر
وفضائل خصك لا تحصي * وأتوا بالمنكر والأنكر
كم نلت بضربة عمرو من * عبادة ثقلين تذكر
بطل قد عد بألف مذ * بضربته العظمى قد خر
أبت الأبطال لقاك بها * إذ حتفهم حتم في الكر
ما هالك قط جموعهم * تفديه بنفسك لا تحذر
وبكل موقعة فاقت * يمينك سموا لا تنكر
ما خصك ربك فضلا فقت * به ما يبطن أو يظهر
علما حكما حلما حزما * لله درك يا حيدر
لله درك معصوما * كرسول الله بما قدر
ساواك دما لحما بدنا * روحا نهجا فيما عبر
كم أعلى حقا باسم الله * لكسب الخير ودفع الشر
يدعوك لنشر خطاب قد * أدى لأبي بكر ينشر
قد أعلن حقا خص الله * به من زكاه الأطهر
فاسترجع ذاك وأعلنه * وأبان الحق لمن أجدر
وبها قد أظهر فضل علي * دون سواه بما عبر
وبخير يوم الأول عاد * أبو بكر فيها قد فر
وتلاه بها عمر في الثاني * يفر مع الجمع الأكبر
ولثالث يوم بشرهم * بالفتح نبهم الأطهر

سينال الفتح حبيب الله * أبو الأمجاد أبو شبر
فشفى ما حل به رمدا * وإذا بمعاجز لا تنكر
قد ضمك والحسين وزوجتك * الزهرا بكسى دثر
خمس قد زكاهم ربي * مما يخشى يوم المحشر
وحباك وصايته أبدا * وخلافته فيما أمر
والويل لمنكرها طمعا * والويل لمن عنها أدبر
وكفاك سمو غدیر الخم * بما قد بشر أو أنذر
من كنت له مولى فعلي * مثلي مولاه الأجدر
أصبحت عدیل رسول الله * ومولى الكل بما بشر
فبدت في الكل تهانيها * فيما أوصاه وما أمر
هناك الكل مبايعة * وبها أصبحت لهم محور
وانصاع الجمع لما أبدى * وما أوصاه وما أخبر
فأبو بكر ويلي عمر * هنوك وقد ستروا المنكر
فبخ وبخ قالوا لفظا * وأعاظوها بالمستنكر
قد أبطن بعض صحابته * ممن قد أدبر واستكبر
يغضون بغيضهم للبعث * ولا يخشوه بما يضم
وتجلت فيه حقيقتهم * في جيش أسامة من أمر
مذ دس أبا بكر عمرا * وجموع كجند تستعبر
وبدا تخلفهم علنا * حتى لعنوا ممن أمر
فتولى جمعهم ورقى * كي يلعنهم فوق المنبر
وإذا باللعن يشملهم * وتلوه بعصيان أحقر
قد رام لدرج وصيته * فرموه بقولهم يهذر

مذ ذاك أخرجهم طردا * كعدو خالف ما قرر
ولقد سلبوك خلافته * فالله لهم يوم المحشر
سلبوك الحق وقد سلبوا * الإسلام مزايا لا تعذر
جهرا عاثوا بكتاب الله * وصد الحق لما قرر
وأعاقوا ثبت سنته * حتى قبرت فيمن يقبر
وبها دسوا ما شاؤوا هوى * وأضاعوا حقوقا لا تغفر
وأشادوا عهد الغضب بعهد * أمية كفرنا مستكبر
فإليك أبا حسن حبي * ولآلك دمت لنا مذخر

غديرية

أبا الأئمة نفس طه زوج بضعته قسم
لولا الوصية والنصيحة ما تركت لهم قدم
ما قلت فيك وجدتني قصرت فيك بما لزم
قصر اللسان بوصفكم كقصور أبكمها الأصم
عفوا إذا خان البيان بمدحكم ووهى القلم
انا ما أجلت الفكر شطر علاك أبحث ما انصرم
إياك طورا في خطوبك ما تكتل وادلهم
في ذي الفقار، في حروبك، في الصغائر والعظم
في البر والإحسان، في التقوى وتحطيم الصنم
إياك في نشر المعارف والمكارم والحكم
في فرط عدلك فرط علمك فرط حلمك والشيم

كم نلت في بدر وفي أحد مفاخر كم وكم
وكفى بضربتك ابن ود المجد فيها والشمم
وبخيبر أولاك ربك بالمحبة والنعم
فرجعت دون سواك منصورا ومرفوع العلم
ثارت بذاك حقوقهم والعار أصلاهم ضرم
بحنين لولا ذو الفقار ما استقام لهم ذمم
أي الفضائل والمكارم فيك تنثر أو تضم
أبمولد ما أدركته العرب فخرا والعجم
أم في صباك لك الوصاية والولاية تختتم
أم في مبيتك يوم هاجر تفتديه من اللمم
بالطائر المشوي فتح الباب دون أخ وعم
وأخاه أنت بيثرب وبمكة منذ القدم
يا خاصف النعل الولاية أنت صاحبها الأشم
قد جابيتك صراحة وكناية لحما ودم
يوم الغدير ويا ليومك يا غدير وما لزم
حق يضاع وتستباح به المحارم والحرم
ويليه يوم لا يفيد لدى الحساب به ندم
وبآية الإبلاغ والإكمال أكمل ما برم
كم آية لك في الكتاب أبو الأئمة تنتظم
فاضت بما أطراك رب العالمين وما وسم
أدركت كل فضيلة قصرت لها شم الهمم
تالله لولا عزمك الماضي وسيفك في الخضم

وهذا ورأيا يستنار بنوره عند الظلم
وتقى وزهدا فيك بعد إطاعة فيما حكم
ما قام في الإسلام صرح في الحياة ولا علم
في كل يوم من حياتك صفحتان من القيم
تسمو بواحدة وتلقى العز والمجد الأتم
وتحد أخرى بالمفاسد ما ألم بها وعم
الله طهركم وباهل من تحداكم وذم
يا أعدلا أتقى وصديقا وفاروقا حسم
ومطهرا أزكى وأسبق للفلاح ومعتصم
قد كنت غيث محمد ما عن خصم أو هجم
ونصبت بابا في مدينة علمه فيما علم
وسفينة لنجات أمته متى هاجت خضم
أمفرج الكرب العظيم عن الرسول متى دهم
ومبدد الأغدار ما اقتحموا عليه وما قحم
يا ناصر الدين المبين متى تأزمت الأزم
صارعت أركان الفساد بحد سيفك فانهدم
قد كنت قطبا للمعاجز في رجاها المنتظم
غدروك بل غدروا على مر الزمان بني الأمم
خانوك بل خانوا الضمائر والمشاعر والذمم
الله خصمهم فويل للظلوم متى حكم

التتريية غديريية مفصيلة
صفة الفتى في قوله * فالقول ييدي ما ضمير
فدع التتكر كن صريحا * فالجبان من استتر
واحذر إذا نبست شفاك * بما يشينك من عبر
واعدل فان العدل * شيمة ذي الضمير بما ضمير
سيان للأعمى السهى * والشمس أو بزغ القمر
فلرب أمر هال كل * محقق سامي الفكر
أجلى من الشمس المضيئة * في تموز بلا كدر
قد حتى في انكارها * كبصير أقعده البصر

للمرء قل ما شئت * واصغ لما يجيبك بالأثر
فإذا ارتضى غير الحقيقة * واستساغ المحتقر
أو رد كل فضيلة * وأبى قبول المعتر
فاحكم عليه بأنه * فقد السلامة في النظر

وإذا أشار كناية * ما كن يوما واختصر
كالشاعر التتري * ينظم للشريف أبي مضر
فله البلاغة بالكناية * للحقائق في صور

فيها مفاهيم المخالفة انجلت عنها الغبر
فيها أباطيل تجلت عن حقائق تستتر
وبها ترى لأبي العلاء مشاعرا وله سور

إن غير الطائي ما در بالخساسة واحتقر
أو بأقل أزرى بقس بالفصاحة وابتهر
والأرض فاخرت السما وحصاة فاخرت الدرر
فالموت أخرى من حياة لا يقام لها قدر
والشاعر التتري غض عن الأصول واقتصر
ذكر الفروع وما جنوا وأسر أصلا مشتهر
فعلام غض عن الألى وهبوا يزيدا ما قدر
وبني أمية ذلك الظلم الفضيح على البشر
غصبوا الخلافة واستباحوا المنكرات بلا حذر
وتلاقفوها عامدين وزحزحوها في خطر
جحدوا الولاية والإمامة والخلافة والخير
واستأصلوا آثارها في كل صقع أو دير
منعوا الحديث وبالغوا حتى إذا آن الوطر
دسوا بذاك وزيفوا ما شاء خصم أو مكر

هل قد نقى في قوله التتري أم فيها أقر:
" وأقول ان يزيد ما شرب الخمر ولا فجر "
" وأقوال أم المؤمنين عقوقها إحدى الكبر "
وعلام لم يبدأ بها عن شرح أصل أبي بكر
وتلي أبا حفص وعثماننا ومن لهم انتغر
فيقول لم يحمل عتيق بغار حراء كدر
" ويقول عبد الله لم يحمل بحراء كدر "

فالحزن والايمان ما جمعا بقلب قد أقر
كلا ولم يشرب ولم ينحل ويرثي من غير
قتلى قریش الكافرين ببدر أشقى من فجر
ويقول ما غضب النبي لفعله لما اختبر
ما شك ابن عدي بالإسلام يوما أو هذر
وبفتح مكة ما استبان الشك فيه أو خطر
أو بالرسول وبالرسالة حين صالح وانتصر
أو عارض العهد الذي كان النبي به أمر
أو قال عنه دعوه يهذي فاستشاط لما بدر

وعتيق وابن عدي معجزة التقدم والظفر
قد كان كل منهما في خير أبلى وكر
لم يدبرا في أي حرب شأن من ولى وفر

ويقول ما خذلا أسامة في المسيرة والسفر
كلا ولا لعن النبي فتى تخلف واعتذر
حاشاهما أن يأتيا ما فيه لعن مستقر

وغدير خم محفل فيه الوداع لمن حضر
ما كان من آيات رب العالمين به صدر
وأبو تراب ما أتى فيه الإمام المنتظر
ما حث فيه المسلمين نبينهم أن يؤتمر

ما قال ذا مولاكم بعدي ومن ولي كفر
كلا ولا ازدحموا لبيعته الجموع ولا أمر
ما هناه على الخلافة لا عتيق ولا عمر
ما حذر الثاني الأمين لنقض بيعته حذر

ويقول إن عتيق ما غدر الوصي ولا زجر
كلا ولا غضب البتولة حقها لما قدر
أو صد عن آل الرسول الخمس عمدا واستمر
أو هاجموا دار البتولة أو أهابوها زمر
أو أضرموا نارا لحرق الساكنين ومن حضر
أو أسقطوها محسنا كلا فذاك له سقر
أو روعوا الحسنين أدوار الحياة من الصغر

ويقول ما أوصى الرسول بآله خيرا وشر
أو قال فاطم بضعتي ويل لشانئها الأبر
ويل لمن آذى رسول الله فيها أو وتر

ويقول ما قتل الصحابة خالد وزنى وقر
كلا ولا سلب اليتامى المسلمين ولا أسر
فأثابه ابن أبي قحافة حين صح له الخبر

كلا ولا عمر سعى في حده ثم اقتصر

ويقول ما ندم ابن تيم في الصلاة ولا بتر
لما أناط لخالد قتل الوصي وما أسر

ويقول ما منعا أحاديث النبوة والخبر
كلا ولا قصدا بها إخفاء ما لا يستتر

يوم الغدير ويا له في الدهر من يوم أغر
كادوا له والله بل كادوا لمجموع البشر
وفضائل لمحمد وآله الصيد الغرر
وماثر لهم وهل تخفى الشموس لذي بصر

ويقول عهد عتيق لابن عدي عهد معتبر
ما عارضوه أولو النهى في نصبه وبهم نتر
إن خانة فيهم رضا خضعوا لصارمه الذكر

ويقول ابن عدي ما منع النصوص لتستمر
ويقول ما نكب الرواة من الصحابة وانتهر
ويقول ما أفتى بحرق المكتبات وما ازدهر
في شرقها وبغربها ما صح عنها وانتشر
ويقول ما الشورى بمفسدة أساء بها وضر
أو رامها لمناوئين إلى علي واختمر
وأراد عثماننا لها وبني عمومته الأخر

وأقرها لبني أمية حين هدد واختصر
بمن التهدد؟ ما تهدد؟ من تهدد؟ وابتدر
أو استريب مهنتا ومؤمنا فيما نثر
ويقول بالشورى حقيقة دونها وقع السمر
ليست بمفسدة لها وجه جميل قد ظهر
ويقول ما خان بن عوف حين خاطر بالسير
وأقام عثماننا وحابا صهره فيما صهر
أيقلد الأموي من في أحدها ولي وفر
وببيعة الرضوان فيمن قد تخلف واشتهر
وبيدر لم يحضر وقد أدلى بعذر محتقر
فيهن خاتته السعادة أن يشاطر من ظفر
خاتته أمجاد الشريعة ما توخى في الأسر

أين الشجاعة والحمى والمكرمات من السير
والعلم والقلب السليم وسابقات تعتبر

ويقول ما خان ابن عفان وأجرى المنتظر
كل تبني رأيه نصح الشريعة أم غدر

ويقول معترضا لمعترض يصبر وإن هذر
شرط تحدى النص والسنن الفروض به الخطر
هذا الذي رد الإمام قبوله وأبى وصر

عد للنتيجة تنجلي وترى بها ما قد ستر
وأقرها لبني أمية عامدا فيما أقر
مستهترا بحلاله وحرامه وبما ذكر
بذوي الرسالة والأمانة والصحابة والفكر
ويقول ما منع النصوص ولا توعد من نكر
ويقول ما جهر الرسول إلى حميرا أو أسر
مذ خامرته خوالج العصيان فيها فابتدر
قري حميرا واحذري نبج الكلاب لذا السفر
حذرا حميرا أن تكوني من تقاتل في زمر
تتنكرين لامتي وخليفتي والمنتظر
تعلوك من نبج الكلاب بحوئب أولى الخطر
وتأججين الحرب بين المسلمين فتستعر

ويقول: إن فعلت فقد نست الحديث ومن ذكر
ويقول: قد خدعت بطلحة والزبير ومن جسر
وبمكة ما ذكرتها أم سلمة بالخبر
أو حذرتها من عواقب ما تهتم وبالضرر

ويقول: قد غفر الوصي لفعالها لما قدر
واستغفرت أوابة مما تحدث من عشر
ويقول: ما سجدت لدى قتل الوصي كمن شكر

وترنحت مياسة فرحا وشعرا بالأثر

ويقول ما كنت إلى الحسنين كرها مشتهر
أو جاهرت زمن الحياة وفي الممات كمن جهر

أنا لا أقول كما يقول مناوؤها من عبر
ركبت على جمل وما راعت صغائر أو كبر
جمل تحاميه الأبالسة الأراجس في زمر
جمل يقل مكائد الشيطان بؤرة كل شر
أم تصول على بنيتها من تورع في الخطر
بالموت بالتعذيب بالتنكيل منهم بل أمر
قامت بأشرار فسود وجه تاريخ البشر
أفتعلمين؟ غدا خصومك يا حميرا إن حشر
أفتعلمين؟ لحرب من أججت نار تستعر
لله للمختار كل الطيبين من الخير
ملأت فعالك منكرات كدست منها السير

ويقول خال المؤمنين أبو يزيد من الخير
قد سار كالشيخين في الأحكام واتبع الأثر
فهموا أولي الأمر الذين بهم تولى واشتهر
وأرى بسمعي أن يسيخ بقول منكره وقر

حاشا أقول كما يقول به الروافض من عثر
هذا ابن هند يستحل دماء من زكى وبر
ويقر فيها المنكرات كما هوى و كما نظر

كم أجمع الحرب العوان على الوصي وكم مكر
ويزيد مثل أبيه كم سفك الدماء وكم هدر
وخلافة قطب الرحي للمسلمين بها المدر
يعثو معاوية بها لهو الصغار مع الأكر
ويقرها ليزيد أشقى من تمرد وانقبر
هذا أبوه وجده ذا، يا لبئس المنحدر
هذي سلالتهم وتلك فعالها شر بشر

هذا يسن على المنابر سب أتقاها الأبر
مولى الموالي من أشاد به بآيات الدهر
ويزيد ويل يزيد من رجس خبيث محتقر
في نينوى في يثرب وبمكة كم ذا وتر
أرأيت ان أنكرت أو تابعت فيها من نكر
أو قلت حقا واتبعت سبيل من فيها أقر
سيحل يوم فيه لم يبق الإله ولم يذر
ويعدهم للحشر فيها صاغرين لمن قدر
وترى بها للظالمين مظالما لا تغتفر

فهو الغفور لمن جنى جهلا وخاطر واعتذر
لا من أصر تعمدا وبني عليها واندر
فترى المذلة في وجوه أشرفت فيها وطر
وجنت فما راعت حقوقا واستهانت بالعبر
وضعت ودست ما تشاء وشوهت كل الصور
فالحشر موعدها وخاتمة المطاف لهم سقر
فلها الحقارة والمذلة والعذاب المستقر
ولمن أشاد على مآثرهم مظالم وافتخر
هذا جزاء الظالمين الفاسقين ومن كفر
هذا لمن نكر الولاية والوصاية واحتقر
وأشاد أحكام الفساد منافقا وبها أصر
فهناك تلمح أوجها غبراء يعلوها قتر

وترى وجوها يستنار بنورها مثل القمر
ذات الهداية والأمانة والبصيرة والبصر
من كل أورع ما رجي غير الإله ولا شكر
من قد تحاشا كل مظلمة وجاهد واصطبر
أهل الكساء ومناحروهم من تذكر وادكر

غديرية أخرى

جاء عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) انه لما سمع ان أبا بكر وعمر تمسكوا في أمر الخلافة بالشورى قال:

إذا كنت بالشورى ملكت زمامهم * فكيف بهذا والمشيرون غيب
وإن كنت بالقربى ملكت أمورهم * فغيرك أولى بالنبى وأقرب
فجارتها بالأبيات التالية:

أحصك فيها للإمارة بينهم * وهذا ابن زيد للإمارة يندب
وما كنت إلا واحدا من جنوده * تخلفت حتى صرت باللعن تنكب
أميرك في العشرين كرها تطيعه * وأنت بها شيخ تذل وترهب
فأمرك في كفى أسامة مائل * ومولا كما في خم ذك المجرب
أتجهله أم قد تجاهلت مرة * وانكاره كفر وظلم وأرهب
وإن كان فضل السبق أعطاك حقها * فقد جئت في خمسينها تتقرب
وإن كان فضل السن ولاك دونهم * فكان أبوك الحي بالسن أنسب
ومن هو أخرى من أبيك بسنه * مشايخ من خير الصحابة تحسب
وإن كنت بالتقوى كرمت فلا نرى * لتقواك فيها ما تبرز وتغلب
وفيهما أمير المتقين وسيد الوصيين * أولى منك شأنا وأطيب
أفقت الملا علما وباب مدينة * النبي علي للعلوم مصوب
أبليت فيها في الحروب مضحيا * كفى خيرا خزيا بها حين تهرب
أكنت زكيا لم يدنسك رجسها * كأهل الكسا أم كنت للإثم تشرب
أهل قد بززت القوم فيها عدالة * وبرا ولم تظلم بها حين تغلب

وظلمك أهل البيت تمنع خمسهم * وعن فدك للغصب تروي فتكذب
أكان حريا غصبهم وعداءهم * واغضابهم ظلم له الله يغضب
فقطعهم كفر وفسق ووصلهم * يقين وباب للسعادة يطلب
فكيف بزرت القوم فيها إمارة * ودونك من قد كان للأمر أوجب
أخو المصطفى بل نفسه زوج فاطم * ولايته دين عليك ومذهب
بخم وقد بايعته ورضيته * وليا فما أوداك بالنكث تقلب
أبو العترة الهادين من آل أحمد * بفضلهم القرآن كم بات يطنب
محبتهم تطهيرهم وولاؤهم * وطاعتهم فرض وللحق مكتب
غصبت حقوق العالمين بغصبه * فصارت لعهد الجاهلية تخطب
أعدتم بها من ذل فيها مهيدا * عزيزا ومن عزته بالقسر ينكب
ومزقتم الإسلام شر ممزق * بدعم ولاة قاسطين تغلبوا
حرمتم بني الإسلام من خير أهله * إماما يقيم العدل فيها وينصب
أقمتم جهادا دونه لا لوصله * وسنته الفت من القطع مجذب
فقلتم كتاب الله قولا ودينه * جهارا ودون الجهر بالفعل تحجب
ولاتكم من كان حربا لدينها * وخلفتم للأمر ما هو أعجب
وأقصيتم ركنا يلم بسرها * وسنته الغراء بالمنع تعطب
وخضتم بلاد الله حربا لتنثروا * أباطيل يأبأها الكتاب وتنهبوا
فباتوا عبيدا حيث شاء يحرروا * وقد أرغموا بالجهل جهلا وسلبوا
حضارتهم تمحى وتفنى علومهم * ويحكمهم من كان للكفر ينسب
وكيف تروم الحق من غير أهله * وترجو التقى والدين ممن تقلبوا
توليتها قهرا خداعا وغيلة * وقد غلبتك النفس والنفس تغلب

ومثلك لا يخفى له الحق أهله * وكان حريا فيك والسن أشيب
تعيد لأهل الحق حقا غصبته * وان تتقى ذنبا ولله مهرب
فعدت بها أنكى وأدهى تفاقما * وصيرتها في حوزة هي أنكب
زرعت بذور الشر ثم سقيتها * بأيدي تكن الكفر والثأر تطلب
فبثت كما شاءت فسادا أو أقبلت * بمعولها ما شيد هدمًا تخرب
نفاقا وجهلا كيف تأتي نتاجها * مع القسر غير البغي والإثم تجلب
فسبقك في الإصرار عمد أو عارفا * لنفسك ثم العطف للغير يغصب
كأنك ما أمنت إلا مخادعا * وبالوصل رمت القطع فيها وتسلب
نفاقا وكيدا بعد طول مودة * وصدا وإجحافا تزيد وتسهب
لك الويل يوم الحشر إن جاء شاهدا * وخصمك لك المختار ما كنت تعرب؟! * * *

في ميلاد الإمام الحسين (عليه السلام) في ثلاثة من شهر شعبان
لتسهب فيك الألسن الشعر والنثرا * لعمرى لم تدرك بها بأسها نذرا
بلغت سموا ذروة المجد والعللا * فعذرا إذا قصرت في مدحكم عذرا
فردت بآباء أجل مناقبا * وأعظم أن تروى مآثرهم شعرا
وأبناء أقمار الدياحي أئمة * لقد ضل من ناواهموا مثقلا وزرا
ظهرت فأصفاك الإله مسددا * عن الرجس محفوفا بألطفه الكبرى
تقمصت نفسا لو أنيطت لعالم * لناء بها حملا وناء بها صبرا
تجود بأبناء ومال وأخوة * ونفس لتحيي الحق والسنة الغرا
وجود امرئ بالمال يكفيه مفخرا * فكيف وأوتي ما يجود به النحرا

فديتك مولادا فديتك يافعا * شبابا وكهلا يا ابن فاطمة الزهرا
فديتك مولود لام زكية * هي المثل الأعلى إلى الام إذ تطرى
رعتك وغذتك الفضائل والعلا * وجادت بما جادت فكنت لها ذخرا
بأمي أبا فذا رعاك بعطفه * مغيث اليتامى والمساكين والأسرا
وجدا هو الهادي العظيم وخاتم * النبيين طرا كم ورقت له سرا
فديتك مولودا يباهي بهزه * لمهدك جبريل فيلقى به الفخرا

أقمتم على النهج القويم خطاكم * وسرتم بمن والاكم للعلا سيرا
بكم تصبح الدنيا صفاء وبهجة * وفيكم ينال الخلد في اليقظة الأخرى
لي الفخر إن جاد اللسان بمجدكم * فأنتم له أهلا وأنتم به أحرى
وما لفخر فيمن أسند الجور ملكه * ولا الفخر فيمن قال في نعته أمرا

فديتكم ما أنصف الدهر حكمه * بكم وبنا تعسا وتعسا له دهرا
يؤخر حرا سيذا طاب عرقه * ليخلف عبدا يضمير الحقد والشرا
فويل لمن قد أسس الظلم عالما * ويسلك فيما قاده المسلك الوعرا
وذللها للغاصبين تعاقبا * وضلت لهم فيها مظالمهم تترا
فمن غصبهم حق الوصي ونصبهم * لزيد ليولي بعد رفته عمرا
ويدلي بها عمرو إلى بكر بعده * وهذا إلى رذل يعيث بها جهرا
أباحوا بها في الطف كل كبيرة * وخطب يدك القلب في لحظة ذعرا
يزيد أمير المؤمنين وسيدا * مطاعا ولم يلق الحسين بها وكرا
فتعسا لها دنيا يكون زعيمها * عبدا وعمروا والأمير بها شمرا

وتعسا لها دنيا تذل بقفرها * حريم أبي الضيم هائمة حيرى
إذا ذكرت عادت إلى النفس وجدها * وآلامها والعين فاضت بها عبرا
وإن كمدت في القلب أضنته حسرة * تثير لظى يذكي بيارقه الصدرا
قطعتم لنا شوطا بكل فضيلة * فكانت لمن يرجو الخلود له ذكرى
إباء وإخلاص وتقوى وحكمة * وعلم وحلم فاق في رجعه البحرا
إباء أقام الحق بعد ذبوله * ورد على الشيطان ما كاده قسرا
وكنتم بدورا في الدياجي مشعة * فأبصر من ضلت مطيبة القفرا
وغيثا بعيد النفس بعد مواتها * لتحبي حياة تدرك العز والنصرا
فويل لمن ناءكم وجفاكم * وبشرى لمن يلقي محبتكم بشرى

في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء
كيومك ما حلت عليه النوائب * ولا كان عزم مثل عزمك ثاقب
ولا أهل بيت مثل أهلك نصح * ولا كان أوفى من صحابك صاحب
ولا شهدت عين الزمان فجائعا * أمر وأدهى ما دهتك مصائب
ولا سبيت يوما سبايا كريمة * كمثل سبايا كربلاء نجائب
ولا سفكت فيها دماء زكية * كما سفكت في الطف منها أطايب
ولا بلغت يوما أراذل أمة * بأمجادها قسرا كما شاء غاصب
ولا روعت أسرى ثكالا ويتم * كما راعها في الغاضرية سالب
يثير عليك الخائنون جحافلا * كأنك فيما بدعوه تعاقب
فيا ويلها من عصابة بئسما جنت * بدنيا وما أمست عليها العواقب
فديتك ما أسماك في الكون رابحا * وأخسر من ناءك حين يحاسب

بذلت بها ما لا يطاق مثوبة * فحلت بها ما لا تعد مناقب
أيا مهجة الهادي فديناك سيذا * أبا إذا ما أثقلتك المصاعب

لمن أبعث السلوى عزاء وسلوة * وأي الرزايا ذكرهن يناسب
ألمصطفى أم حيدر أم لفاطم * أم القائم المهدي فيها أحاطب
عن القتل والتنكيل والحرق والأذى * عن السبي بعد النهب يوم تكالبوا
عن الضمأ المضني عن الحر والظي * عن النسوة الضمئى وأطفال شوبوا
أنعى شباها أم كهولا وصبية * وشيها ضحايا عن حماها توثبوا

إليك رسول الله أصدق من دعى * وأعدل من شعت عليه الكواكب
أولئك من آويتهم وشملتهم * بعطفك لجوا في العدا وناصربوا

إليك عزاء بالحسين بمن فدا * بمهجته شرعا علتة الشوائب
أبا قاسم لو خلت في أرض نينوى * حسينا وقد ضاقت عليه المذاهب
ومن حوله صرعى ذويه وصحبه * وحيدا فريدا طوقته الكتائب
ومن دونه مذعورة القلب نسوة * وأفراخ لا خل يقيها ولا أب
فديتك كم كانت تثير بك الأسي * مآسي تذيب القلب ذوبا لوهاب
فديتك من يحمى حمى الضعن بعده * ومن للشكالا واليتامى إذا سبوا
إلى من ترد الطرف بعد دلالتها * ومن سيقها من لئام تناوبوا
أت بين آباء وصحب وإخوة * وعاد بها شمر سبايا نواحب

عن ظهور صاحب الزمان (عليه السلام)
يا خطى التاريخ تكفي حيرة * قد أتيناها لنهدي الحائرا
نحن أقبلنا فهياً واسمعي * ما مضى حلناه سرا مضمرا
بنت لبنا بزغت وهاجة * توقظ النائم من مر الكرى
ان ما يحدث في قريننا * لم يكن يحدث في كل الثرى
والذي يفعله أبناؤنا * خالف العرف فأمسى منكرا
كم قرى من حولنا جاثمة * مثل أموات بدت فوق الثرا
خامدات ما بدت من رفق * وقرى مدهولة مما جرى
عودوا أبصارهم ما عودوا * فهي لا تبصر يوما أثرا
أعيون زائغات لا ترى * أم قلوب زائغات يا ترى
وانتهوا لا شئ في أذهانهم * غير " ما أحلى أمير الأمرا "
ووقفنا بينهم في ليلة * والدجى حالكه ما فترا
مدلهما خلته دهرًا سجي * لم نجد فيها عليهم قمرا
فاجتذينا الشمس من مخدعها * وأزحنا ظلمات الأسرا
وأحلناها ضحى زاهية * ودعوناهم إليها زمرا
فتحت أجفانها وانتصبت * نهضت من ضجعة طالت كرا
وبدت باسمة مياسة * ومشت فيها تطيل النظرا
كلهم أول أن يغتالها * غيلة يقطع منها الأثرا
وترى قد حاق في ماكرة * المكر حتى انبسى واندحرا
حنطوها حية مغلولة * لا ترى فيها حراكا خطرا
صوروها ويحهم واستأجروا * من يبيع العالمين الصورا

خادعوا الله وأهليهم وما * ذاك إلا شأن من قد كفرا
مكروا بل مكر الله ومن * ماكر الرحمن نال السقرا
بل على أفئدة أفعالها * فهي لا تفقه عنها خبرا
إذ ملكنا وعتقنا شمسنا * وحمدنا أيها القوم السرا
عانقتنا وارتمت ساجدة * نشكر الله على ما بدرا
فهي لم تعدم رجالا صدقوا * الله بالعهد فنالوا الظفرا
واستوت ترنوا إلينا لهفا * وإلى من زيفوها شزرا
وإذا بالأرض تزهو جنة * وبدى ما في ثراها نظرا
والشذى يعبق في أجوائها * بعبير عمها منتشرا
والهتاف اجتاح آفاق الفضاء * ظهر الفاتح حقا ظهرا
بشروا الدنيا به قاطبة * يا لبشر امن به قد بشرا
حلما قد حققت تربتنا * وبلغنا الوصل من بعد السرا
جاءك الغيث وأبقاك لنا * ورعاك الله فينا ذخرا
فانهضي يا جارتا والتمسي * يقظة تنزع منك الكدرا
قد همى الغيث فيها انتهزي * وارتوي من بعد جذب مطرا
واحضني الشمس ومدى برعما * يرشف النور فينمو شجرا
وابعثي الطير ليشدو هارجا * نغمات يصطفئها سمرا
كم أهاجت لاعج الحب وكم * بعثت للنفس منها عبرا
أين وجه الأرض لولا شمسها * وبليل حين ترعى القمر
كشفت أنوارها سحب الدجى * فانبرى الطرف لها وانبهر
عز سحر الشدو مد عز الشذى * والشذى عز بقاع أقفرا

يا قري قد أدركت أحلامها * مرحبا بالفجر لما أسفرا
مرحبا يا بنت لبنا مرحبا * دون أنوارك نبقي أسرا
والدجى لولاك سجن قائم * قد وقانا الله عنه الخطرا
فاستعيدي يا عيوني نظرة * النور لا أشباح كالماضي ترى
وامسحي عنك قذى التاريخ كي * تبصري عهدا جديدا مسفرا
وانزعي يا نفس ما قد عشعشت * في خباياك لعهد أغبرا
استعيني بمصاييح الهدى * حيث ولى الشر عنا مدبرا
فيك ما فيك سوى أمنية * عشعشت في كل قلب عمرا
فيك ما فيك سوى أغنية * حركت في كل صدر وترا
جاء نصر الله والفتح اما * حرك الفاتح منكم فكرا
نحن جند الله تدعوا من له * بالجهادين صلوات وعري
لا تقولوا إنا شرذمة * ادعت جهلا وقالت هذرا
لم نرد عزا ولم ننشد ذرى * من فخار انما نحن الذرى
كلما ندعو له حرية * فطر الله عليها البشرا
ننشر العدل ونرعى حكمه * حيثما قر بقسط وجرى
ونداء صادق نرفعه * يا بني الناس إليكم خبرا
آية من حجرات نزلت * جمعتنا أخوة كل الورى
كلنا من نسل فردين هما * من تراب كان من هذا الثرى
هل يعي الإنسان، ما أجهله: * وحدة الأصل وكيف انتشرا
فلنعد عن غينا في وحدة * لخصام حل فينا وسرا
وحدة الإنسان من وحدته * فلنطيع الله فيما أمرا

قد ظلمنا ونجوننا فلنعد * نتبع الحق وننهي الضررا
صفحة الحق بدت ناصعة * فاقت الشهد حلا والشكرا
ومذاق الظلم مر علقم * كيف رب الظلم فينا وطرا
فانهضوا يا قوم تكفي غفلة * تركتنا في حضيض حيرا
قد ملكنا الحق من بعد لظي * وسبابة طال عهدا وعرا
قد أفقنا فلنعي من سكرة * أجهدتنا بلظاها شررا
فاسلكوا من بعدها في حذر * ينعم السمع بها والبصرا

أرجوزة في موانع حد السرقة
موانع الحد في السرقة كما ورد في الفقه الجعفري أخص في شرائع الإسلام
للمحقق الحلبي، ووسائل الشيعة للحر العاملبي وغيرهما وما ذكره الفقيه محمد تقي
جعفري في مجلته الحكومية الإسلامية عدد ١ - ٢ تحت عنوان
" سرقت و كيفر آن در اسلام " .

لا قطع فيما ليس مالا تتركه * دون نصاب أو كسهم تملكه
أو استحق مثله بالطرز * ولا أمينا أو تريد يجزي
بدون حرز غلبة أو قهرا * أعانه آخر فيما يجري
جرى مع الحيلة جهل الحكم * في الأدب جاء ماري القسم
دون بلوغ، اختلال العقل * إكراه إجبار اضطرار الفعل
اضطرار عام قد قضى بالشرح * أو ملك للمسروق قبل الطرح
توبته قبل ورود المحكمة * إقراره توبته المحتملة
أو منحه المالك للمسروقة * أو عفوه لطحها مسبوقه
استعادة المسروق بالإعناف * لم يشهد العدلان طبقا كافي
إعادة المسروق باعتراف * والرد عند الضغط والإعناف

وجود شبهة لدرء الحد * أو وجدت أعذار أخرى تجدى
وليعطف القاضي بحال المتهم * تلقينه عذرا لقطع قد ألم
والعفو أخرى لبلوغ التقوى * خص بها العافي لنيل رضوى
خطيئة الحاكم في البراءة * نقص وفي تجريمه شفاءه
ويسقط القطع لدى الإقرار * ويستعاد المال بالإجبار
وتثبت السرقة بالعدلين * في كلما قالوا مطابقين
والقطع يمضي برضاء المالك * بعد ثبوت الأمر في المسالك
وإن عفى فالقطع لا يقام * أو وهب المال انتهى الخصام
وليرفق الحاكم في التحقيق * وقاية للقطع كالرفيق
تلقينه التوبة عما قد بدر * أو ما يخفف العقاب إن فيه اعتذر
ولا يماريه على اعتراف * إن أنكر الجرم وضل نافي
والبحث عما يدرؤ الحدود * من شبهة ينجو بها أكيدا
واشتباه الحكم بالبراءة * يعفي وفي تجريمه إساءة
طورا بها يفصل ذلك الحاكم * إن جاء مهملا لما يخاصم
وإن قضى فيها بسوء نية * حوكم بعد الفصل بالقضية
وخائن ينصب للقضاء * شاركه الغاصب بالعناء

نفس الأرجوزة مفصلة

موانع القطع (الحد) في السرقة كما ورد في الفقه الإسلامي مثل: شرائع الإسلام للمحقق الحلبي، ووسائل الشيعة للحر العاملي، وما ذكره الفقيه محمد تقي جعفرى في مجلة الحكومة الإسلامية عدد ١ - ٢ تحت عنوان " سرقت و كيفر آن در إسلام "، وما جاء في نهج الفصاحة وغيرها.

لا قطع فيما ليس مالا معتبر * كل محرم على المرء صدر كخمرة ولحم خنزير ودم * آلة ميسر وأوثان وسم وكلما نهى وما فيه ضرر * وفي المباحات لأفراد البشر وكلما دون نصاب وهو ما * عن ربع دينار يقل مغنما أو كان للسارق حق فيه * ولم يجاوز الذي يليه كالإرث أو من بين مال يشمله * أو هو ذو سهم سطا ليحمله فإن بدا مخالفا يقرر * أو لا فلا ذنب له ويعذر وسرقة الشريك مال الشركة * خيانة بحكم ما قد سلكه يجزي بغير القطع في العقوبة * كالحبس والتعزير أو ضروبه ومثلها الأمين للأمانة * اختلاسه لها هي الخيانة وسارق لما بدون حرز * فحكمه بدون قطع يجزي أو ما زجت قهرا بها أو غلبة * فالحكم بالتعزير فيما نهبه وكل سرقة لها أركان * إن فاتها ركن بدا نقصان ككاسر حرزا وآخر سرق * لا قطع والتعزير للحكم أرق وليس بالسارق من يحتال * والحكم غير القطع فيه قالوا والأب لا يقطع في بنيه * والعكس جائز لما يجنيه والعلم بالحكم وبالموضوع * شرطان للقطع لدى الرجوع

والجهل بالقطع وذات السرقة * يحكم بالتعزير فيما أبقه
وسرقة فيها الشروط تجمع * لا قطع إن كانت إليه ترجع
وليس فيها قط من تعزير * إلا لصد مسلك حقيق
والشرط في الأثني بلوغ العشرة * وفي الذكور زاد ست قدره
وإن أتى مميزا في القلة * أدب تعزيرا بما أخله
والقطع يلغى في عيوب النفس * مثل جنون واختلال الحس
والحكم والقصاص رهن العقل * يحسبه الحاكم للمخل
ومكره، مضطر أو مجبر * فالحكم دون قطعه يصدر
والفرق في المكره ذو إرادة * والجبر مسلوبا بها سداده
والاضطرار قد يخص أو يعم * ما خص كالحاجة بالفرد تتم
كالأكل والدوا ونهج المسكن * للفرد أو من خصه فيه عني
والعام ما أتت به الطبيعة * كالسيل أو أوبائها المريعة
أو لسياسة أتت فاسدة * وعمت أوباءها الوافدة
وعمت الولايات فيها والفتن * والفقر والسرقة دفعا للمحن
أو يملك السارق قبل الطرح * المسروق في الدعوى وقبل الشرح
أو تاب قبلها بصدق النية * جاز وإلا فهو في البلية
أو قدم اعترافه ثم تاب * فالحكم للحاكم عنها الحساب
والنص في التحقيق ينفي القطعا * إن ردت السرقة فيها حقا

في العمرة والحج

أقسام الحج

والحج فرض في ثلاثة عشر * من بعد عمرة بنظم يستمر
احرام، وقفين، رمي، نحر * وبعد تقصير طواف أمر
تلي صلاة ثم سعي فعلا * بعد طواف للنساء مكمل
ثم مبيت في منى ليلين * والرمي في أيامها اثنتين
وهاك تفصيل لذلك المجمل * إن شئت أن تعرفها فيما يلي

في العمرة (١)

إليك خمس واجبات العمرة * تبدأ بالإحرام أولى الكره
ثم طواف البيت فالصلاة * والسعي فالتقصير تلوا آتي
يجوز من مبدأ شهر فطر * لتسع ذي الحجة فيما يجري
أعمال الحج وواجباته بعد العمرة

والحج فرض في ثلاثة عشر * من بعد عمرة بنظم يستمر
احرام من مكة ينوي القربة * ملبياً فيها لتسع ربه
يليه بعد الظهر حتى المغرب * في عرفات وقفة المرتهب
لباسه فيها إزار وردا * وفيه أحكام الصلاة تقتدى
وتم فجر العيد في المزدلفة * حتى طلوع الشمس كانت موقفه
رابعها يرمي الجمار في منى * خامسها النحر أو الذبح هنا
ثم بها التقصير في المحربات * ثم طواف كعبة فالصلاة

(١) حج التمتع = عمرة + حج = عمرة التمتع وتبدأ من أول شوال إلى يوم تسعة ذي الحجة.

وان يطوف البيت سبعا واضعا * يساره الكعبة وضعا جامعا
يبدأ شوطه وينتهي بالحجر * حتى إذا أكملها سبعا ظفر
وحجر إسماعيل في المطاف * ادخاله فرض على الطواف
مقام إبراهيم في اليمين * أحوط في المطاف لليقين
فالسعي ما بين الصفا والمروة * ثم طواف للنساء تلوه
وبعدها الصلاة ركعتين * وفي منى المبيت ليلتين
يبدؤها بليلة الحادي عشر * وقال بعضهم إلى الثالث عشر
ثم يلي رمي الجمار للثلاث * أيام ما باتوا ذكورا إناث
تروك الإحرام

خمس وعشرون تروك المحرم * صيد، جماع، لمس، قبلة الفم
وكلما يثير حتى النظرة * عواطف الجنس لها بالفطرة
وكل استمناء أو تطيب * عقد نكاح، خف، أو تجورب
ونظرة المرأة والتكحل * ولبس ما قد خيطوا للرجل
تزيين أو تدهين بالأدهان * إزالة الشعر من الأبدان
والكذب والجدال، قتل الحشرة * وقلع سن أو سلاح دبره
وليس للرجال ستر الرأس * وأي تظليل لتلك النفس
وفي النساء ستر الوجوه يمنع * ويمنع التقليم فيهم أجمع
وما لهم أن يخرجوا أي دم * من بدن بذاك أنهى كلمي

كتاب الكفالة

من أهم الآثار الشرعية المفقودة هي كتب الفقه المنظومة على شكل أرجوزة نظمت خلال سنوات الدراسة في كلية الحقوق العراقية ولم يمكن العثور إلا على أرجوزة كتاب الكفالة التي أقدمها أدناه:

يقصد بالكفالة انضمام * ذات لأخرى عنه والتزام وتلك في المطالبات تحسب * لا الدين هذا ما عناه الأغلب تتم بالكفيل والمكفول * عنه له به على الأصول كفالة لأمر ليس يلزم الأصيل * لا عبرة فيها فاعلموا لكننا القيم إن أجازها * صحت وصارت لازما فيما لها أنواعها ثلاثة لا تعدو * وصفا ومكفولا به وعقدا فهو بمكفول له بالمال * أو نفس أو تسليم بالتوالي كفالة الأموال في نوعين * دين صحيح أو كغصب عين كفالة النفس وهذا يعني * تسليم شخص في محل الغبن ثالثها كفالة التسليم * وهي كما في المال يا نديمي لكن ما فيها بلا ضمان * إن كان هذا هالكا أو فاني ومنه يا هذا كفالة الدرك * إن استحق فهو ضامن كصك تقسم من حيث العقود أربعة * معلق ملائم في المنفعة أو ما تعارفت من الشروط * واللغو ما خالف للمحيط ثالثها موقت في الزمن * وهو بصورتين ان تسألني وما تضمنه ذات (من - إلى) * أو مدة قد عينته للملا رابعها منجز وما خلا * من الثلاث الماضيات الأولا

من حيث وصفها فقسمها إلى * منفذ في الحال أي مستعجلا
ثالثها مؤجل ما فيه * جهالة فاحشة يديه
وإن يكن فهي لعمرى الأخرى * معلقه لا قيد فيها يجري
وركنها الايجاب من كفيل * كالنذر لا التزام في ذا القيل
لكنما يردها المكفول * له وإلا فهي لا تزول
وهي على النفس لو الإطلاق * لأنها أوفى إلى الوفاق
وجائز كفالة الكفيل * بالنفس ما كان على الأصيل
ويضمن الكفيل في التعداد * كلا إذا كان على انفراد
إلا إذا كانوا بأمر فرد * فجزءه يضمن كل عبد
وإن تسلني ما الشروط الضابطة * لكل ما مر فهناك الخارطة
ففي الكفيل بالغا عقلا رضا * ولم يكن في مرض الموت قضى
إلا بمكفول به دون الثلث * ولم يكن مكفول عنه قد ورث
فالشرط هذا لنفاد العقد * وما تبقى لانعقاد أبدي
وهناك في المكفول عنه شرطه * اسم وشخص عنه يدري رهطه
وشرط مكفول له كالسابق * وليس بالكفيل عند واثق
وشرط مكفول به مضمونا * بنفسه دينا أتى أو عينا
أو هو مضمون بغير أو وبلا * ضمان تعليق بأسباب الأولى
ولازما وإن يكن بالنفس * معلوم شخص ومكان حسي
وهناك أحكام لكل حاله * وكلما قد مر في الكفالة
إليك حكمان تعم ما حصل * بأن يطالب الكفيل ما كفل
وآخر يحق للكفيل * الرجوع إن أدى على الأصيل
وحكمها إذا أتت معلقه * إن حقق الشرط أتت محققه

وحكمها مشروطة إذا أتت * إن حقق الشرط به تحققت
وإن أتى وصف به أو قيد * لا بد من تحقيقه ليبدو
والحكم في المضاف إن تحققا * تحقق الأمر كما قد سبقا
وللكفيل الرفض دوما والرضا * من قبل تحقيق شرط ما مضى
والحكم بالتنجيز في الكفيل * قد حق حين حق في الأصيل
وهاك أحكام كفالة الدرك * إن لم يحزه مستحق دون شك
يفسخ هذا البيع أو من اشترى * يعيد بعد الحكم أثمان الورى
أو دون هذا الحكم رد البائع * للمشتري الأثمان رد طائع
وهكذا يفسخ هذا البيع * وبعدها ما للمحق رجوع
ما مر في استحقاق ناقل وفي * المبطل فالفسخ بغيرها يفي
إذ يسأل الكفيل فيما قد كفل * متى استحق مبطلا دون مهل
وليس للكفيل إن هذا ادعى * استحقاق أو عسفه ما فيه سعى
والحكم في كفالة موقته * تحق بالوقت وإلا فائته
وحكمها مطلقة تتبع ما * في ذمة الأصيل دينا لزما
والحكم في التعجيل والتأجيل * بحينها لا زمن الأصيل
وحكمها في الحال المطالبة * وكل شرط مر يعى جانبه
منجزا معلقا مقيدا * مؤجلا على الأصيل تقتدى
والشرط ما لاءم فهو معتبر * وكل شرط فاسد دون أثر
وإن تعدد الكفيل وانفرد * بالعقد فالفرد لهذا الدين سد

ملحمة في مآدبة

هذه ملحمة، بل ربما كانت ملاحم، فيها وصف لمدعوين إلى مآدبة، وما يحمله كل واحد من صفات خلقية في الحس والشعور، من محاسن ومساوي، واختلاف الأذواق والطباع، والأزياء في مختلف البقاع والأصقاع، من أبكم ناقص، وحكيم فاحص، أو مزدر يعيب ما يراه بعين ساخرة، وبسمة ماكرة، ومتشائم حائر في أمره، غارق في فكره، أو جاهل مركب، اعتد بنفسه، وشمخ بأنفه، أو متلصص ذليل، أو متفائل بالحياة يحسب من يراه خليلاً، أو أحرق أزرى بالعدو والصديق، فعادت دنياه برحبها عليه مضيقاً، أو جشع أصناه جشعه، وأرهقه طمعه، عيناه تدوران، ويدها تخوران.

ثم يصف الجدل والحوار والخصام والنزاع في مجموعات أخرى، لاختلاف العقائد، وتباين الأذواق، وتنوع الأخلاق. هذا كله قبل استقبال الطعام والجلوس إلى المآدبة، وهناك على المآدبة، وملتقى الأضداد، وتزاحم الأعداد، بعد انتظار طال أمده، وجائع خار جلده، الساعة المرموقة بدت بزيتها البهي، والسماط صف عليه كل طعام شهبي، هناك عند البطون الجائعة، عميت العيون المطالعة، وقد تنوعت نفائسها، وأخذت بالعيون والأنوف، وامتدت الأيدي بالكفوف، واصطكت الملاعق بالصحن ضاربة، والأضراس بالأكل صاخبة، تصم الآذان، وتبلد الأذهان، فكأنها مباراة للاكلين، ومنافسة عليها عاكفين.

وبعد وصف لأنواع الطعام ونفائسه، قام الخصام بين حضارها، وانبرى كل واحد يحط من كرامة الآخر، ويرفع من مقامه، وبدأت البصلة بشموخها، وخاصمتها الثومة، وانقسم الجمع بين الثومة والبصلة، وقامت المناظرات والمفاخرات والمدح والذم، وتكلم المصلحون الكراث والفجل والكلم والشلغم (اللفت) وتلاها الرشاد، ثم النعناع والريحان والسعد، فكان الرشاد لها مرشدا ومؤلفا، والنعناع والريحان والسعد مصلحين ناصحين مرشدين للاتحاد ضد الآكلين، وبدأوا بوصاياهم للشلغم، وكيف ينتقم من آكله لكي يكون ليفا وعلقما يشد آكله نفخا وألما، وتنصح البصلة أن تغري آكلها بالإفراط من الأكل وإنها كاه بالتخمة وسلبه الراحة، وأوصت الثومة بأن تزيد برائحتها بعد أن تستدرج آكلها حتى إذا أضمرت أحشائه نارا وأعضائه توعكا، ثم التوصية للفجل وكيف يصدم آكله باتباع سبل البصل والثوم، وتمت المصالحة، وختم الرشاد نصائحه بعد المصالحة على معاداة آكليهم وشد أزر بعضهم البعض بإكرام المنعم، وقطع يد الآثم.

المهم اعتراض الشاعر نفسه عليهم عما أجمعوا على أمره، وقصدوا ضره، وتقوم بين مجموعة الخضار والشاعر مناظرة ومحاورة أدبية فلسفية سياسية، يعرض آراءه فيردونه، وييسطون أفكارهم فيفندها، وتتكرر حتى يتم له الحكم الفصل، ويدعونوا له طائعين، ولحكمه منصتين، ويتوسلوا لحل مشاكلهم أن يسعفهم برأيه السديد الثاقب، وضميره الحنون الصائب، وعندها يسرد لهم مجموعة من قوانين الحياة، ويسند أقواله بأدلة جامعة، وبراهين لامية، ويخط لهم السراط المستقيم، والنهج القويم، ويكمل أقواله بثلاثة من أبيات القصيدة، ويختتم بها القول للعمل، وخير الكلام ما قل ودل.

ملحمة في مآدبة
وذاذ يوم جئت فيها من صنوف الحكم
لدعوة قد جمعت فيها شتات الأمم
وليمة دلت بما لربها من كرم
ضمت صنوف القوم من أعرابها والعجم
من حاسر مقبع معقل معمم
ذو لحية وأمرد وذا غنى ومعدم
من ناطق مفوه وساكت مبتسم
الأبكم
من إن تراه قلت: ما أعظمه من ملهم
حتى إذا قال انسى بالعي والتعلم
دل على أن السكوت رحمة للأبكم
الحكيم
وساكت جاد متي فاه بدر الكلم
فالمرء ما أسماه أو أدناه بالتكلم
شتان بين نظرة من جاهل وعالم
فالماس ما أضيعة لجاهل في منجم
يسكت عن حلم وعلم ناطقا كملهم

مقالة عن حكم وجومه عن حلم
يرنو إلى إطراقة لناطق ومعجم
لا يكتفي من بحر هذا الزاخر المتلطم
فهو يرى في نقصه حدا لكيل التهم
الهمزة واللمزة
أو غامز بعينه أو لامز مؤثم
المتشائم
أو حائر في أمره مهما طري في سأم
كأنما الدنيا له أشد من جهنم
وكل ما فيها مثار للأسى والألم
الجاهل المركب
وغيره اتكى على أريكة كالصنم
قد لبس الحجة لبس شامخ مهندم
يريد تعظيما عسى يراه بين الحشم
وإنه يطلب ما ليس له من شمم
المبصبص
ودونهم مبصبص لسادة أو خدم
من طبعه الهوان والذل لدى التكلم

المتفائل
وثامن بالبشر يلقاك وبالتيسم
للخصم كالنخل رقيق الطبع حلو النغم
الأحمق
أو مادح لنفسه بدم أهل الذمم
ينعت زيدا قصده بذاك ذم مكرم
لا يشتفي إن ذم أو هجا لداء محكم
يحس ما يبطنه حقارة من قدم
حقد به لا يشتفي إلا بقدر عيلم
فالناس أعداء له إن ضيم أو لم يضم
يقتص من كل برئ دونما ترحم
هذا هو الأحمق والحمق بلاء الأدمي
يخلق من أحبابه الخصوم دون مغنم
الجشع
وعاشر ما همه إلا لذيد الأدم
فاق الورى في شره في طمع أو نهم
عيناه تربوان للخلف وللمقدم
عساه أن يدرك منها درب ذاك المطعم
يواعد النفس الغدا مثل الهزبر الأحزم
جيش له بعينه للصيد والتقظم

من قاطع ومازق وطاحن وهاشم
وسامع وناظر وساعد ومعصم
يصول كالضرغام إن فاز بمهدور الدم
إن خانه الحظ بسهم في الوغى أو أسهم
فهو لها اليوم لعمرى كالبلاء المبرم
العصبة

وعصبة قد حاججت أخرى وإن لم تفهم
ذي تنتمي لزمرة وذي لأخرى تنتمي
هذا رمى هذا وذا فيما رماه قد رمى
كلاهما قد جهل الصواب جهل مخرم
وحسبك الأهواء كم جرت لنا من مشأم
كم أحدثت من فتن من محن من سقم
وهدمت بالجهل سلطانا كشر مهدم
وأججت في النفس ما يذبيها من ضرم
تنازرت باللقب المشؤوم بعد السلم
مشيرة هذا يمانى وهذا حضرى
وذاك من يعربها وذاك نسل العجم
أغواهم شيطانهم رغما كشر مرغم
فأصبحوا وهم لأصل واحد كخصم

إلى الطعام
هناك بين وafd وناطق وأعجمي
وشاخص وفاحص ولاثم وواجم
أجاز راعيها لحاميها إلى التقدم
ملوفا مبتسما برقة المنعم:
هيا إلى الأكل وأهلا بكم من مقدم
يا ساعة أجمل بها من فرحة لمغنم
قاموا فرادى وزرافات لفيض حاتمي
مروا بها من غرفة لصالة من سلم
يبحث كل واحد عن مقعد محترم
يأمن من جيرانه عند اشتداد القضم
ذاك سباق ورهان لاصطياد الأدمم
فالحرص من خصلة هذا البشر المقتحم
وإذ بدا السماط مزهوا بأشهى النعم
عند البطون
حتى إذا ما حقق الحالم بعض الحلم
وأطلق العنان دون وقفة أو سأم
وجدت الأفواه مسعاها إلى الملتهم
وفك كل واحد ما شد فوق المحزم
ومد للأطراف طرف باحث مستعلم

وهو جرم الأيمن والأيسر لما يسلم
صكصكة الأسنان عمت ساحة المخيم
كأن في مرتعه الخصب قطيع الغنم
أو عصابة من الضواري احتدمت لمغنم
ألوان الطعام

ألوانها تبهر من ساهم أو لم يسهم
من كل ملفوف ومصفوف وحلوى سمسم
مطبقة مدمسا متبلا بالدسم

مزعفرا والبيض والزرشك طي اللحم
طبيخها أكرم به معطرا بالكلم
وجبنه تحفه الخضار حف الخدم

شموخ البصلة

قد شمخت بصلته بالفضل والتقدم:

بي يكمل الطعام فردا كنت أو في لمم
وأكلي فاق الألى بلذة ومطعم

بالأصل فقت الكل لا بفرعها الململم
ناصعة بيضاء كالدر بلا تعتم

أو جئت حمراء بدت تشع مثل الحمم
أو كنت خضراء زبرجدية التوسم

تردها الثومة
فهبت الثومة من مكمناها المكرم
تلعن للبصلة إعلانا بحد الصارم
تجر أذيا لا من الفخار والتفخم
تعيب بالبصلة فرط طيشها المحطم
لا تفخري شامخة بأصلك المعظم
واللون والطعم نأى عن روعة المستطعم
ناسية أنفاسك النكراء للملتهم
وما دهى آكلك المسكين من تصدم
نفخ على الأمعاء يصلها كلكم اللاكم
وشهوة تجر للأكل أقسى التخم
كذبها الطبيب إذ كانت مثار الصدم
وما تفاخرت به من لونك المحترم
وأصلك القائل ساد النوع في التحكم
إني لأحرى منك بالنبل وبالتكرم
فتلك أصدافي وذا دري بها كالأنجم
قد زينت أصلي وسيقاني بها ومحزمي
وطعمي الشهي في نكهته وملهمي
الانقسام
فأدرك الكل حمى صراعها المحترم
هذا لثومها وذا للبصل الحامي الحمي

استئناف البصلة

فهبت البصلة يرهاها على الخصم كمي

مقرعة غريمها طعنا ووخز أسهم:

يا ثومة كأن في آكلك ذنب مجرم

يا ثومة كم حل في آكلك من ندم

وساقك المضمور كم عاقك عن القدم

معقدا به الدوالي ظاهرات العلم

مثل عجوز ساقها يشكو دوالي الهرم

ورأسك المشحون بالندوب والتورم

كهامة المجرم في الخصام والتهشم

يا ثومة قبحت من مأكولة فاستسلمي

رد الثومة

هيهات أن يرضخ مثلي للخصوم فاعلمي

واسمي المنقوش في اللوح الأجل الأفخم

عودي إلى التوراة أو قرآنه المعظم

عودي إلى الطب تري في عقار المهرم

وإن طغى حولك جمهور صغى للائم

فالحق لا يدرك إلا من قليل فاعلمي

وأنت يا بصلة بالشكل وبالتجرم

كاخطبوط مارذ بالروح والتجسم

رعونة تعلقك يا ذات الغرور الدائم

وإن أتى ذكرك بين القوم في العزائم
شتان بين ذي حجا مؤدب وشاتم
إن كان بي ما تدعين من مغيب لازم
فليس في أصلي وذاتي غير خير مكرم
فقد خبيت حكمة في عالم التكرم
المصلحون: الكراث والفجل
فأسرع الكراث موفورا بعزم جازم
والفجل قام عارضا حلا لكل الأزم
الكلم
وأقبلت هامة ذاك الكلم المهشم
الشلغم (اللفت)
يصحبها الشلغم أكرم بسليق الشلغم
الرشاد
يحدو بها مستضعف الشكل عظيم الكرم
يقودها الرشاد للرشاد والتفهم
تجمعها هواتها للذة في المطعم
وساحة الصحن زهت ببقليها الملائم
والكل إخوان الصفا في الخير والتلاؤم

النعناع والريحان والسعد
وأقبل النعناع بالطيب وبالتنعم
يصحبه الريحان والسعد رفيع الشيم:
يا قوم يا قوم كفى من سفه ومندم
وكلنا من تربة نحن إليها ننتمي
وكلنا من نسل نبت وبنات موسم
تجمعنا ظلما لأكله جموع الظلم
يرتفع فينا فارها يقضنا بمقضم
والكل مأكول فلا رحمة للمسترحم
والكل بين قضة ومضغة الملتهم
ما الفخر إلا باتحاد تحت ظل العلم
لا يطمع الطامع من نيلهم بمكلم
جرتم على إخوانكم جور عداة غشم
ملتكم إلى أعدائكم من حسد ولوم
استسلمت للذل يا لغفلة لمتوهم
فالحق لا يدرك إلا بنصال حسم
هيا اعقدوا النية في إعداد صرح محكم
واتحدوا تحت لواء واحد منظم
ولا تكونوا عرضة للأكل والتهكم
وإن سطي عليكم مثل الزمان الأقدم

خطاب للشلغم
فأنت يا شلغم كن كالليف أو كاللقم
وكن إذا ما نفذت أعضاك جوف لأهم
تشدد في أمعائه نفخ كرات القدم
وصاياہ للبصل
وأنت يا بصلة لا تعدينه في المخضم
فأنت بالأحرى عليك العول في التأزم
وأنت أشهى مأكلا لغانم ومحرم
وأنت بالطبخ وبالسلق أدام فاعلمي
لا تكثري في عرضه لا سيما في الموسم
كي لا تكوني للورى مبدولة بدرهم
ثم ابعثي الأنفاس ما يؤذيهم لا ترحمي
ثم احرمي الآكل من أمنية التبلعم
شدي على أرواحهم من يقض أو نوم
فذاك من أدنى سلاح البصل المسوم
زيدي فذي لآكليك رغبة التهيم
حتى إذا ما كدست معدهم باللقم
أمسوا كأسرى تخمة لأكلة لم تهضم

التعاليم للثومة
وأنت يا ثومة زيدي بانتهاك الحرم
ثم اصرعني الجليس من خانقك المبسم
شدي عليه النفس الغالي لدى التشمم
واستدرجي أكلك المسكين بالتحلم
حتى إذا أفرط في أكلك دون مندم
عودي أضرمي أحشاءه نارا كشر مضم
ووعكي أعضائه بحرك المضطرم
الوصايا للفجل
وأنت يا فجل وعشاقك شر ندم
أهل طبيخ الماش والتشريب أهل الدسم
أعظم به من نافخ موعك مصدم
يأتوك عواذا فسر فيهم كابن ملجم
بشكلك الناصع كالعاج البهي الأوسم
وطعمك الشهوي يغريهم وإن لم تسلم
خاتمة الرشاد
قد أبدع الرشاد في التحكيم بين الخصم
صدقه الجميع وانصاعوا إلى المعلم
واعتذر الثوم إلى البصل اعتذار مسلم
وصافح الكل يد الكل على التفهم

لشد كف منعم وقطع كف آثم
الاعتراض من قبلي
قلت: ومن آثمها؟ قالوا: وهل من مبهم؟
من ضام حق غيره بالسيف أو بالقلم
قلت: وإن كان له الحق بحكم النظم
أو جاء بالبرهان والدليل لا كشاتم؟
قالوا: وهل ينقض قول الحق إلا من عمي؟
قلت: فذي أنظمة منيعة كطلسم
قالوا: أباطيل أقامتها دعاة الحطم
تبيح للعملاق ما يسلب حق القزم
أيدها السراة توشيحاً كنص مبرم
ما حررت إلا لإشباع هوى من ظلم
قالوا: قوانين أتت تقضي على المهتمضم
وتسلب الضعيف من حق على التظلم
أو تنكر استحقاقه الحر على التحكم
قلت: فأبي مصدر حق به أن نحتمي
وقوله الفصل منار العدل للمحتكم؟
قالوا نريد منصفاً فذا قوي الحكم
أفعاله تسند بالدليل لا التزعم
قلت: وللأقوى سلاح الفوز والتقدم
والعدل ما قرره مهما أتت من قيم

قالوا: فإن جار؟ فقلت: الجور نقض المحتمي
والقسط بالخضوع للقوى لا التبرم
فاستعرضوا التأريخ في أسوارها والهزم
سلوه في الجو وفي البر وبحر القلزم
عن فعل أقواها بهذا العالم الملتطم
قالوا: وما القسط الذي يعنيه رب الحرم
وما السماوات بيوم الحشر عند الحكم؟
قلت: بلى وهو مقر العيش عند البهم
فخص بالأحياء عيش نسرهما والضيغم
حياتها بأكلها وموتها بالعدم
قالوا: أليس الحس والعقل لها من حرم؟
قلت: وما العقل سوى مطية للفهم
تقوده النفس كما شاءت إلى المحتم
والحس كم ناقض حقا وانبرى لمجرم
فالحس مخدوع الهوى للصحو كالمحتلم
قالوا: لقد أعييتنا طبا لهذا السقم
فجد إذا كنت طبيبا حاذقا بمرهم
قلت: لقد آن آوان العزم والتفهم
فالحق لا يدرك إلا بالقنا والحسم
والحق والقوة شرطان لحل الأزم
ينال بالتكتيل والعلم وحلم الأحلم

تكاد لا تدرك كالذرة بين الأنجم
تجرف بالتكتيل من شاءت لصبوب المأتم
والماء في ذراته يحمل سيل العرم
وينزل الغيث به شتان بين التوأم
بذا دمار وبذا بعث لروح العالم
والعدل إن يحظى القوي بالمقام الأقوم
في فردة وجمعه ذو عقله والبهم
فذاك من إبداع ذي الطول ورب النسب
بذا جرى الصراع في عالمه المنسجم
أباح للحي التهام مثله كمطعم
وجاز للدفاع كل منكر محرم
فسددوا خطاكم للذب والتسنم
بالوعي بالتسليح بالتكتيل بالتلملم
إن الصراع قائم والويل للمستسلم

في لوزان
في أواخر سنة ١٩٣٩ قبل زواجي بسنة، سافرت من العراق أريد سويسرا
للدراسة، وما كدت أصل إلى بيروت حتى أعلنت الإذاعات بدء الحرب العالمية
الثانية، ورغم ذلك تابعت السفر من بيروت بالباخرة إلى بلدة مرسيليا جنوب
فرنسا، ومنها بالقطار إلى مدينة لوزان الجميلة في سويسرا.
وقد جلب نظري سمو أخلاق أهلها، وجمال الطبيعة، والاعتناء الفائق
بالنظافة والصحة، والتقدم العمراني والاجتماعي وغيرها، وكنت في الشرق
متدمرا من الحشرات المؤذية، أخص منها الذباب والبق الحرمس والبرغوث،
ويضاف في سوريا ولبنان البأ (البق) السوري واللبناني وغيرها من الحشرات
المزعجة. وحين بقائي في غرفتي التي استأجرتها في سويسرا (البانسيون) لمدة
شهر، لم أعثر على حشرة واحدة، حتى كنت أتجراها في الأماكن التي تكثر فيها
في الشرق عادة، مثل محلات بائعي الألبان واللحوم والسمك وغيرها، فلم أجد
ذبابة، فكان هذا موضع دهشتي.

وبعد بضعة أشهر دعاني شاب شرقي لغرفته في الساعة الثامنة صباحا،
فحضرت في اللحظة الموعودة، فكان يحتفظ بكل مزاياه ومآثره، فهو عوض أن
يهيئ نفسه لاستقبال ضيفه بالوقت الموعود - كما يفعله أهل سويسرا، بالنهوض
قبل الأوان، ويرتب غرفته ونفسه ويستحم، ويهيئ ما يلزم - كان لا يزال نائما،
وغرفته مبعثرة قدرة تعط منها رائحة صنان بدنه وثيابه المبعثرة في أركان الغرفة
ووسطها عند فتح باب غرفته. وبعد الطرق على الباب مرات عديدة فتح الباب،

وكأنه لا يزال بلباس النوم، وهذا أمر مستقبح جدا هناك، وشاهدت ذبابات (١)
تحوم هنا وهناك في فضاء الغرفة المتعفنة من سوء نظافته، وعندها أيقنت أن
الطيور على أمثالها تقع، وأن الذباب يعرف كيف ينتخب لنفسه المقر المناسب،
وفي ذلك قلت الأبيات الشعرية آنذاك، وهي ٣٥ بيتا:
بلوزان دار العلم والفن والذوق * نموذج أرض الله في العدل والحق
تجلت لنا بعد الصدود ذبابة * لها كنت مشغول الفؤاد من الحنق
مضى زمن لم ألفها فإذا بها * تناءت بأرض الغرب عن بلد الشرق
فقلت لها: إنا غريبان هاهنا * ورحت إليها أشتكي ألم الشوق
فخفت لنحوي وهي تدنو بلهفة * كأن لها علم الفراسة في حذق
تقبلني طوراً بخدي ومرة * بعيني أو ثغري كمضني من العشق
فساءلتها عن أمرها لتجيني * ألا خبرينا يا ذبابة بالصدق
تناءيت هل تبغين بالنأي متعة * وهذا لعمرى منتهى الطيش والنزق
فخف إلى سمعي أزيز لصوتها: * دع اللوم فيما قد توهمت من حمقي
ويا ويح مثلي أن يبدل لقمة * بأخرى وإن كانت حلاوتها تشفي
بلى كنت أرجو محبباً ألتجي له * من البرد حتى لو تهيأ في شق
فأبصرت أسراب الذباب تقاطرت * إلى مكمن دفء فأسرعت كالبرق
به وطرا حلوا قضيت وراعني * على عجل أمر من الوقع والطق
وما هي إلا لحظة وتزعزعت * مخابئنا وانهد ما كان من فوق
ولولا ثنيات ألوذ بطيها * لبت كغيري لا حياة من الخنق

(١) كانت قد اختفت في حقيبة الألبسة الخاصة بالمسافر، والتي نقلها معه من الشرق إلى
سويسرا.

شقيت بها دهرًا وإذ خانني الرجا * تراخت وعاد الجو متسع الأفق (١)
وبانت لي الباب التي قد ولجتها * فرحت بعزم فله الضعف بالسبق
وخلت بأني قد بعدت عن الشقا * وأدركت عهدًا أحمد الخلق والخلق
تنسمت في الجو الواسع وسرني * سحاب أتى يحيي النفوس بما يسقي
وأدبر فصل الزمهرير وجاءنا * ربيع بلطف الزهر والورد والذوق
لأمثالها في الرافدين سوائف * تولت وما غير التذكر لي مبق
طفقت أجوب الأرض روحًا وجيئة * ولم أبق فيها من مسالك أو طرق
ألا إن في هذه الحوانيت نعمة * لنا دونها جسم يجل عن الخرق
حنانك أني قد ولجت لمنزل * تلوح عليه لمح ضائقة الرزق
فألفيت أن البيت عم فناءه * ضجيج من الضوضاء واللعب والنطق
تشممت حتى ما بلغت لمأرب * أهابتني الأصوات للحنق والشنق
وأقبل رب البيت يسعى معربدا * وقد ملئت عيناه بالشر والحنق
وصوب نحوي من قرارة نفسه * بكفيه ضربًا لا يرق ولا يبقى
فيممت شطر الباب فأزور نحوها * ولولا ابتداري مت من شدة الصفق
بأجنحة نحلي وقلب ملوع * وكلتاها لما تطيق على الخفق
لمحت محيا أسمر اللون شاحبا * ملامحه دلت على ذوقه الشرقي
علقت به حبا مجيرا ومنقذا * ورحت أهني النفس بالغة العتق
هنيئا وطوبى يا ذبابة بالذي * أتتك من الآمال بالصدق والوفق
وويل فؤادي لا يزال ملوعا * عسى تصدق الأحلام مثلك بالطبق

(١) فتحت الحقيبة في سويسرا.

خطاب وداع (١)

حيثك يا جمع عني نفحة السحر * وجادك السعد بعد الجهد والضحجر
بشرا من الروح عذبا يستطاب به * وغرسكم عاد بعد السقي بالثمر
أقمت صرح الهنا في الجسم منبته * فالفرع عم الحشا والقلب للجذر
يهزه الشوق للذكرى أعاد لنا * عن سالف يا رعاه الله من وطر
خيال طيف مضى كالبرق وامضه * حياك طيفا فما أحلاه في الفكر
عشنا بأحضانها أما ونحن لها * كرضع درها نجني من الدرر
قلبي رهين هواكم أينما رحلت * جمالكم وعيوني تلك بالأثر
وإن تناء يتم عني فإن لكم * بين الضلوع مقاما ثابت الجذر
كانت لها أملا هذي نراقبها * وما تولى فعهد الجهد والكدر
فأصبحت تلك أحلاما تعاودنا * منهن ذكرى وهذي غاية البشر
عشتم كراما كذاك العلم طالبه * هو الكريم وإن أرداه بالغرر
عشتم لربعكم عزا ودام بكم * فالحي هذا قرين النصر والظفر

(١) أبيات وداعية ألفت على ثلة من طلاب كلية الحقوق عند انتهاء دراستهم.

إلى صديق
بعد ٢٥ عاما (١٩٤٠ - ١٩٧٥)
عهد الشباب ويا له عهد مضي كالبرق خاطف
وطوى بآمالي إلى الماضي كأحلام سواف
عجبا ثلاثون انقضت ولخمسة أخرى ترادف
شوقي تحياتي لكم تهدي تليدا بعد طارف

يا رائفا هلا تزال فديت حنانا ورائف
لوزان هل حفظت لنا عهدا لذيذا مر وارف
لله ذاك العهد لو عادت لنا فيه الطرائف
حور تجاذبنا الحديث لدى المعابر والمعاطف
بين الحقول على السفوح وفي البحيرة والمجاذف
عند القصور الساحرات وفي المجالس والمتاحف
أفدي بمبسمها الجميل فديتها فيما تكاشف
لحظاتها نظراتها سحر الحديث من اللطائف
أفدي بطلعتها البهية في المحيا والروادف
أما الوصال فإنما أنت الجدير به كواصف
أفأنت مثلي للكواعب لا تزال تحن هاتف؟

أنا إن حننت فإنما الحرمان بر كان العواطف
حيناً أقر وفي الحشا غليانه باق ولاهف
ويثور أخرى نافثا حمما فيحرق ما يصادف
ما خففت مر السنين علي بل زادت تضاعف
* * *

شتان ما بيني وبينك زاهد وفتي مجازف
طاوي الحشا لم يرتوي وفتي أجاب ولم يخالف
فبقيت ظمآنا وأنت رويت غلتها التحائف
ستقول: ظلم النفس مثل الغير ظلم للمخالف
والبر منقبة بنفسك أو بغيرك لو تناصف
ولسوف تلقى الله يوم الحشر يوم العدل آسف
فيثبيني جناته وجحيمه لك والقذائف
هذا لظالم نفسه ومقرها بين العواصف
* * *

أما أنا فأقول: ربي * أنت أعلم بالموافق
يا رب هذا رائف * كان المثار لما أصادف
بي قد أثار كوامنا * في الحب ما قد مر سالف
وبقت لواعجها إلى * يوم نويت العود خائف
* * *

فيقول: هتلر هاهو * الجاني على كل الطوائف
ذا أجاج الحرب العران * وجركم بين القواصف
ويقول: عد لأخيك * لا تعذله فهو أخ مكاتف

وهو الوفي بعهده * وتراه فيما مر آسف
وهناك في لبنان * تلقى جنة بين المصائف
وتراه رضوانا بها * وتراه من خير المعارف

فإليك عذري إن أطلت وإن أتيت إليك قاذف
إني لأرجو أن تعيش منعمًا مرحًا ملاطف
وتكون لي في القادمت علي مصاعبها محالف
دم منها للبر والإحسان بل زدها وضاعف

ولأنت أحرى بالمكارم * ما أشاد بذاك عارف

ليلة ساهرة

ما كادت تنتهي الدراسة إلا ووزعت علينا بطاقات لدعوة ساهرة على شاطئ دجلة في (هتيل متروپول)، وكنت طيلة بقائي في بغداد يحفزني بعض الأصدقاء لمثل ذلك، فاقنع نفسي بالمواظبة على دراستي، والآن هي فرصة سانحة جمعتنا للغناء والرقص والأكل والشرب، وتعمها الخمرة، وكنت الوحيد الواقف على جميع ما يجري، لأنني الوحيد بينهم لم تتغلب علي الخمرة التي أنا مقتنع بضررها، حتى جاءني صديقي المار ذكره وهو في نشوة الخمرة، وقال: أنت الوحيد الذي لم تتغلب على عقله الخمرة، والوحيد الواقف على الحقائق. ولم أجد من المنطق أن أقر انتقاده في تلك اللحظة، إذ هي حقيقة، فالجميع لعبت بعقولهم ونفوسهم الخمرة بما تحمله من أضرار.

وبعد أن وجدته قد صحى من أثر الخمرة سألته: ما قولك بالجمع الذي احتفل به جمعنا الغابر.

فتبسم تبسم المستنكر وقال: إن من نشأه حول الخمرة من جمع فالحقيقة أن أجسادهم مجتمعة، وقلوبهم شتى، لا يأمن أحدهم على الآخر. فشكرت الله على تجنبني لها طيلة حياتي، مع ما أتصوره فيها من الدمار في حياتي الاقتصادية والاجتماعية والأدبية والصحية.

ثم أعين في لواء كربلاء، وأعين فيها مديرا للمستشفى، وبعد سنة أرسل لمكافحة الأمراض، أخص المalarيا، وبها بقى شهرا وخمسة أيام بعين تمر،

ونظمت فيها قصيدة لما تحل بها من مساوىء، وهي أدناه:
سمعا نداء معذب * وبأرض نائية وديع
سئم الفؤاد وضاق ذرعا * أن تلم به الضلوع
نار تكاد تضيئه * فتعود تطفئه الدموع
تالله إني ما أسأت * وما جنى القلب المروع
فأراه مني ساخطا * ورضاه معظمه يضيع
زعم العذال والوشات * فأنت تسمع ما يشيع
فحسبته ذنبا وسوف * ترى الحقيقة لا تضيع
وأزور عين التمر قهرا * لا أقربها جزوع
بلد وما أدراك كم * قد نابها خطب فضيع
وحوت من الأمر العسير * فعم محسنها الشنيع
الصيف فيها محرق * وشتاؤها برد لذوع
وحريقها كربيعة * وبأرضها ضاع الربيع
الماء منها آسن * كدر بزفرتها نقيع
تعلو روائحه فينتن * جوها تلك الربوع
وطعامه لا لا وربك * هضمه لا أستطيع
ما طاب طعامه لا ولا * لونا فمخمصة وجوع
ضاع اللبيب بها * وضاق بوسعه الجو الوسيع
أبناؤها في نقب في * نكباتها فهو القنوع
ورضوا بها حظا * فشيخ راح يتبعه رضيع
وشبابها كسلا * فقفر فضه طمر رقيق

ما فيهم مرضى سوى * هذا وجهلهم المريخ
أقضي النهار كأنما * سجن سجننت به منيع
والليل داج حالك * ما قر لي منه هزيع
لي من فراقكم أسي * طرفي يفارقه الهجوع
غصني ذوي بعد الينوع * فهل يعاوده الينوع؟
رحمك رق لمعذب * ما من سواك له شفيع

الباب الثالث
الاجتماعيات

(٢٠١)

عهد الشباب

(١)

أبكي شبابا مضى وارتحل * ونخاب رجائي به والأمل
وبت أعاني صباباته * عهدا تعد الخطا والزلل؟
أحقا أحن له حرقة * وتجري لذكراه دمع المقل؟
صحيح لأوصافه فتنة * تناقض ما غاب منها وهل
كفاتنة تسحر العاشقين * وتسبيهم بالجفا والحيل؟
تكيل الوعود وعند الوفا * تراه ضروب وعيد أفل
تريك شبابا وسيما بدا * بغنج ووجه مليح أطل
تعدك بوصل وسرعان ما * ترى النكت والصد عنها بدل

وإن وصلتك أرتك السقام * كغاوية بؤرة للعلل
أأبكي شبابا كذا أمره * ويملكني حب من قد جهل
وأنكر عهدا جديدا بدي * فيسعدني في عسى أو لعل؟
فكل جديد له متعة * وعود رجاء طواه الفشل
أأبكي لعهد الرعونة * والجهالة عهد الهذي والخبل؟!
أعاصير أفكار تتابني * فطوعا وكرها أرى ما حصل
فلا العقل حام يصد الهوى * ولا صد فيها هواي الزلل
فإني وما بي من قدرة * بلا حول أو طول فيما نزل
أهيم سماعا ومرأى لها * ومثوى دليلي وحيي العلل
ولا هم لي بعدها ما أرى * مكاره بل كل همي العجل
هواي حدا بي لا منطقي * وقلبي طوعا له ما استحل

ترى قد غمطت حقوق الشباب * وما حل فيه مزايا بحل
جمالا نشاطا فراغ الجنان * لما شئت إيداع ما يحتمل
بطبع أرق ونهج أشق * وأعصاب أقوى لدرك الأمل
تراها محاسن مخفية * وما مر عن نقصها مستدل
فمهوى الشباب كثير الزلل * ونهج خطاه مثار الجدل
وحكمته عرضة للهوى * وللعقل والفكر حظ أقل
وحل المشيب محل الشباب * وبالموت للشيب عهد أقل
أتلك مراتب تعني الكمال * لعمر كأم تلك نقص كمل؟!
أهل نحن كالطير إن طار عاد * إلى وكره يستطيب الغزل؟
أنحن أداة بلاها الزمان * إذ مر عهد عليها وفل؟
أنحن كواكب مثل النجوم * تشع وتحمد عهدا قفل؟

أنرقى مدارج فيها الكمال * ولا نقص يبقى لنا محتمل؟
أتلك السعادة حظ الجميع * أم البعض يحظى بما قد وشل؟
وآخر لم يلق غير الشقاء * لعيب تولاه بدءا وضل
أمثل المعادن هذي النفوس * بها التبر والماس والمبتذل؟
من البدء للمنتهى في نعيم * وشخص يضام وفرد يجمل
فطورا تراه تقيا سليم * وأخرى شبابا بناه الثقل
ترى الموت حدا به تنتهي * الحياة وما دار فيها بطل
أآلة برق عرتها الفلول * فأمست كمهملة في العطل؟
أبالروح نحيا بهذي الحياة * أم الجسم تعبت فيه العلل؟
وأين هي الروح بعد الممات * إذا الجسم فيها بلى وانعزل؟
وهل هي ذات قرار مكين * ويبقى لها الدور في المعتقل؟

وهل ستعود إلى جسمها * زمانا ويرجع ما يضمحل؟
فهل لي حل إلى ما أنوء به * أم سأبقى جهولا لحل؟
جهول بما كان أو ما يكون * وما الخير والشر فيما فعل
إذا ما هوت ذرة من ذراه * أو الروح خابت وباءت كلل
ضعيف الحواس ضعيف المراس * ضعيف الأحاسيس والمشمئ
قصور مدى فكرتي كالعيون * كليلة رؤيا علاها العطل
فللبعد حد لكليهما * وحاجز يمنعها ما وصل
وما قد تناهى لعلم وبعد * وما دق صغرا عراها الخلل
وحد قصوري له نسبة * كجسمي لكون عظيم يجل
وجهل بأسرار ما في الوجود * هو النقص والعيب فيمن عدل
ورب جهول يريد الوصول * لحل معى عن الحق ضل

وقد تاه طوراً بما ضمه * ومن صاغه سائبا وانخذل
يتيه بمبتكر للورى * ومنجرفا في الخطا ما بذل
فكيف يصنع إله الكمال * وموجد أمثاله لو عقل
دحى الكائنات وما ضمه * تعالى عن الحد والوصف جل
عبيت بدرك سماواته * وآلائه جل من قد كمل
فسبحان مبدع هذا الوجود * وبارئه من قديم الأزل
وسبحان واهب هذي العقول * ومعطي غرائز شتى النحل
وملهم كلا سبيل الحياة * هداية ملتزم قد كفل
فآثاره عمت الخافقين * حكيما تسامى وذو العي ضل
وما خاب فيها سوى عاقل * إذا زل عن عقله أو أخل
فهل جاز نكرانه مبدعا * تعالى عظيم قدير وجل!؟

وأثاره تملأ الخافقين * وبالروح والجسم منها مثل
فإن جمعت وهبتك الحياة * وإن فرقت نجمها قد أفل
له الأمر والنهي في الاقتران * له الأمر والنهي فيما فصل
هو الحق والعدل في حكمه * سيجمع فيه شتات الملل
فيشمل ذا الخير من فضله * وذا الشر بالمثل فيما أحل
ويوم الجزا من صفات الكمال * ولا بد للقسط فيه أجل
يعيد الحياة يعيد الشباب * يقيم الصواب يعيد الأول
ويحكم عدلا وقسطا بها * فرهط بعز ورهط يذل
وذو العز يلقي أماني الشباب * محققة بالهوى والأمل
وذو الذل من زل عن عقله * لمهوى الرذيلة شر الخصل

عهد الشباب

(٢)

وا حسرة الشباب مضى لغير إياب * حسبت منه خليلا فخاب فيه حسابي
كم من خليل وثقت ولم يف عهدا * إلا تناءى بعذر أو مزر يا بعتابي
يا ليتته ضل بأمر يا ليتته عاد أخرى * أو فقت طي زماني لأستعيد شبابي
يا ليت لي ملك نفسي مكانها والزمانا * ولي زمان حياتي ومالكا لمآبي
درجت عهدا فعهدا ازداد حسا وجنسا * ومد طويت شبابي بالنكس بان مصابي
عهد الطفولة أمني تضمني بحنان * كم قد سقتني درا حوى أعز لباب
وعهد شرخ شبابي كم خصني بنعيم * منعما بخليل أجوب شتى الرحاب

ويوم عرسي وأنسي وزوجتي وبني * أدركت فيهم هنائي وتم فيهم نصابي
مجالس العلم ضاقت بغربتي وبلادي * ما بين قومي وأهلي أو زمرة من صحابي
هناك عند حبيب أو صاحب أو قريب * في سهرة جمعتنا أو ندوة لشباب
في الحفل فوق الشواطئ لدجلة أو فرات * أو زورق ضم حفلي فانساب نعم انسياب
يا عيشة و حياة زهت لعيني حتى * قد همت جهدا إليها فأفصحت عن حباب
خواطر بارقات أحلام وهم خيال * حقائق أم ظنون مرت كبرق السحاب؟
ترى تعود وألفى أحبة قد تناءوا * وأستعيد عهدا تقوضت كالسراب
وا حسرة لزمان مهدم ما بناه * ومنهكا لنشاطي مجففا لرضابي
رب السماء أغثني ونجني بعد وصل * على الفراق أعني برحمة وثواب
قيل الأنام نيام وبالممات أفاقوا * والموت يتلوه صحو يدوم دون ارتياب

والكل يقطع دربا مكللا بصعاب * يفضي لدار نعيم أو وحشة وعذاب
رب السماء أجرني من عابثات الرقاد * أجر سليبا رماه الهوى لدى كل باب
رحمك فيها سليبا من كل رشد وعزم * أبلغه مأمن صدق بلطف ذاك الجناب
رحمك فيها ضعيفا من كل رشد وعزم * أبلغه مأمن صدق بلطفك المستطاب
يا سائلي لا تسلمي إن عاد عهد تولى * وآب بالصلح يسعى وأنهار دور الخراب
وعاودتني الأمانى بها وقد جئن طوعا * والشيب ولى وعاد الشباب بعد الغياب
ما كان نهجك بعد الغنى وطول تجارب * وحكمة لقنتك الأيام فيها جوابي
إن دام عهدي فيها أو بات رهن الزوال * حقائق تتجلى بها رموز الصواب
إن شئت تحيا سعيدا فثق كأنك فيها * ترى الإله ويرعى خطاك دون حجاب
فمن توخى لوجه الإله ما قد أتاه * حظى بأكرم ما قد يرجى من الاحتساب

بالعدل والبر حل لمعضلات الحياة * والوعي والسعي فيها رموز فك الصعاب
وحسن ظنك يسر وسوء ظنك عسر * فاملاً فؤادك رفقا تكون للخير جاب
وباب دينك عقل يهدي لكل صواب * والعلم والحلم صحب هداة خير صحاب
يا حاصدا لست تجني سوى الذي قد زرعت * فازرع متى شئت خيرا تحصد ألد
اللباب

واخضع لربك دوما في كل أمر ونهي * فلا يضيع عبد إليه ما دام صاب
وابشر إذا رمت بشرا فالكون مرآة حالك * هيهات تعكس إلا نظيره في المآب
تحكيك إن شئت تبسم تبسم نواميس تجرى * تعيد ثغرا بثغر ترد نابا بناب
نصائح لو يعيها الشباب كان سعيدا * يحس مثلي نواها في لمحة من كتاب

عهد الشباب

(٣)

ريعان الشباب بالله عد لي * فلقد ضاق بي لمنآك ذرعا
ما اغتنمنا من عهدك الحلو ذخرا * آه لو عدت لي ورممت صدعا
قد مضى عهدك المؤمل طيفا * ليته عاد كالربيع مشعا
ليته عاد كالربيع لأرضي * كل عام وكان للحول فرعا
ليته عاد كالربيع لنفسي * وقضى الله أو به لي شرعا
والأمني تعود تخفق وجدا * ويلي جذبها صفاء ومرعى
وأرى الماضيات عادت ونفسي * من لقاها أهنا قرارا وأوعى

أمنيات لو حققت فزت عهدا * ونزعت الأسي من النفس نزعاً
* * *

قال لي صاحبي تنكرت طيشاً * أنت لقتها بما جئت طوعاً
لك ما كان كالشباب صفاء * أنت لو شئت نلت من ذلك وسعاً
غرة الفرقدين مر الجديدين * حوى الجو من مباحج جمعا
وأحاسيس أو مشاعر قلب * خلجت منه أو به جئن دعا
* * *

قلت: لو صح ذاك ما كان أهنا * لي مما تقول مرأى وسمعا
بيد أن الإنسان يبدأ طفلاً * فصبياً فيافعا فيه يرعى
فشباباً يليه كهلاً ويتلو * عهد شيخ يموت فيه وينعى
* * *

قال: مهلاً مهلاً فكل مصاب * حين عم الورى فقد طاب جرعا

ربما وافت المنون بنينا * وأبوهم حي وقد عز وضعا
قد أتتك الحياة صفوا فعكر * ت صفاها عند الهواجس صنعا
إنما النفس بالقناعة والحلم * تغذ الحياة والخير طبعا
وحياة إن شئت تلقى هناء * بنواميسها فخذهن درعا
فالهنا في مسيرها أين حلت * والشقا في خلافها حيث تسعى
إن تعاكس تيارها في مسير * أتعبتك الحياة ردعا وقمعا
فخصام في نقضها وحروب * وصفاء من قال: سمعا وطوعا
لا بكاء ولا ترنم يجدي * سوف تذوي غصنا وتحمد سمعا
قلت: حد التلقين فيه نصاب * قصرت فيه عودة الفحم زرعا
أيعود الذبول نفسا وجسما * وغصون قد أبدل الغصن جذعا؟

رب حس خادعته لحظات * ثم شعت حقيقة الأمر شعا
لك رب القضاء أسلمت نفسي * أنت ذو الطول تقطع الحكم قطعاً
مبدع الكون منهل الخير جد لي * منك لطفاً قد طبق الكون وسعا
قد أطعت القضاء سلمت عجزاً * كدواء وكان للداء مرعى
أمل ذلك إن تيقنت منه * ناجعاً جاء في شفائك نجعاً
فتحرى روح الحقيقة واسلك * جانب الحق وانزع الشك نزعا
سر كما سارت الجموع وهيهات * أن ترى خالداً سوى الله يدعى

الختام.. الهدية

إن الهدية رمز الود ما بلغت * يرجو بها الوصل والقربى مؤديها
رمز الكرامة رمز العطف ما صغرت * فالود دوما كمين في مبانيها
لا تستخف بمهديها إذا نقصت * ولا تزيد سموا في تساميتها
طورا تقدمها الأيدي وتحملها * ومرة نفثات القلب تسديها
ببسة الشجر حسن اللفظ تحملها * أو نظرة العطف تملئها معانيها
أقرها الله بالحسنى لبادئها * ردا كما نص بالقرآن باديها
أهدي سليمان نمل ساق صرصرة * فرد شكرا وإطراء لمسديها

عذرا لخاتم ذكرى قد أتيت به * رجاء تحمل ذكرانا وتبقيها
لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته * فالحق تهدي لك الدنيا وما فيها
لكنما حكماء الناس قد حكموا * أن الهدايا على مقدار مهديها

الزهرة (١)
زهرة الروضة مثلي أنت تهوين السكون
وتحبين من العيش غديرا وعيون
ومن الصبح ابتسامات لدى الفجر تكون
جئت ألقاك لعلي ما أقاسيه يهون
وتركت الخلق طرا في سبات نائمين
كلما استنهضت فردا خلت وافاه المنون

اغتنمها من مسره * ودع النوم وضره
وتأمل في حياة * كرة من بعد كره
أفلا تنظر حتى * الطير يشدو عاف وكره

(١) نشرتها جريدة "الهاتف" النجفية أو "الراعي" يوم كان الشاعر من طلاب الثالث الثانوي
في النجف، ويظهر فيها عشقه للطبيعة.

أنت ما أحلاك في باصرة الصب السقيم
تتهادين دلالا حين يغشاك النسيم
حيث بين الياس والرمان مثواك أقيم
قد تباعدت عن الإثم وعن كل أئيم
قبلتك نحلة الشهد كتقبيل الحميم
حينما أعجبها منظرك الزاهي الفخيم
* * *

ليتنى مثلك زهره * أجذب الرائي بنظره
أمي الأرض فلا تنفك * تسقيني بدره
مسكني الروض وفي الغيث * شرابي منه قطره
* * *

وشقيقي الورد والنرجس خلي والحبيب
وأنيسي في حياتي وسميري العندليب
يلبس الريحان أرضي سندسا زاه قشيب
وعن الشمس يقيني حرها الغصن الرطيب
كل أيامي عيد إذ بها النفس تطيب
عيشة كم قد تمنأها لنا الروض الخصب
* * *

فهنيئا غير مره * عيشك في ذي المسره
حينما لم تحملي * للظلم في طيك درة (١)

(١) درة: عصا.

قد هواك القلب حتى * كاد يفضي لك سره

لونك الجذاب يزداد جمالا وبهاء
إن تبدت بنت لبني (١) وتعالتي في السماء
وأذابت ما كسأك جامد الطل لماء
وأعاضتك بجلباب بهي من ضياء
فهنيئًا عيشك الناعم صباحا ومساء
وأنا في كمدي أبقى بذل وشقاء

أيها الزهر أهل عندك إحساس وخبره؟
سوف يذوي غصنك الغض ويفني الدهر ذكره
إن يكن ذاك فقد ما زجت عند اليسر عسره

وبعد ٤٣ سنة من إنشاد الزهرة في العراق ينشد في اوتاوا في كندا حينما مر
صباح يوم يحوب الرياض على ساحل بحيرة، فيها - في سنة ١٩٧٨ م - قال:
أنا والطير كلانا * نتبارى في الصباح
ننعم الطرف إلى بسمة * فل وأقاح
وتهادى الغصن للنسمة * طورا والصداح
ورقيب بنت لبني * تهتك الستر المباح
ونكيل البر للشم * الرواسي والبطاح

(١) بنت لبني: الشمس.

وتقر المكد الحيران * من ليل مزاح

كم تمنيت أليفا لان طبعاً في البشر
وتبنى ما تبنيت شؤوننا وفكر
وأسر الحب والإحسان طبعاً وجهر

الابتسامة

وما أدراك ما الابتسامة! تقرب البعيد، وتلين الحديد، وتيسر العسير، وتجبر الكسير، مظهر الود والصفاء، ومحطة الحقد والشقاء، أجل مظهر لسمو الأخلاق وأبرزها، وخير وسيلة لمفاتحة الكلام وأركزها، قال أمير الشعراء شوقي: نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء.

والحقيقة أن الابتسامة هي المحك الأول لنقل الود وجلب المودة، لها الأثر الفعال في القلوب لكسب ودادها، وجلب اعتمادها، وهي في الوقت نفسه تورث في الطرفين حسن النية، ونقاء السجية، وجمال الهوية، فهي تحية الأبرياء، وشعار الأزكياء، تورث الهدوء والسكينة، وتحطم الأحقاد الدفينة، هي السبيل إلى السلام والوئام، والعقار الشافي للنزاع والخصام، لذا جاء في الأمثال العربية " إضحك تضحك لك الدنيا "، مظهر البهجة والمسرة، ومآل الخيرات والمبرة، تزيدك كالعلم بإنفاقها، وترفعك للنفوس بأشراقها، نور تنقشع بها الظلمات، وحكمة تحل بها الملمات، وثروة تتضاعف نامية، وتتسامى رابية، طرتها العقول الثاقبة، والآراء الصافية، وتحلت بها الشعوب السعيدة، والأمم المجيدة، فترى الوصية بالابتسامة شعارا في أسواقها مكتوبة، ونثارا على ثغورها موهوبة، تجذب الزبائن ببهجتها، وتدخل السرور في مهجتها، فتزيد في بركتها، وتشد في حركتها، وتغدق في نعمها، تقرر المكالم، وتسعف المهموم، وتوصل المحروم، يردها لك الصغير والكبير

ناظرة، وتعيدها لك الخواطر باهرة، بذورها الحنان، ونتائجها الأمان، هوية
الناطق، وسجية البر الكامل، حكمتها الطبيعة في مباحثها الزاهية، وفي زهورها
الطالعة، وأغصانها اليانعة، في ضياء القمر المنساب على رقراق الجداول، وزهو
الطيور المغردة فوق الخمائيل، في الحقول الخضراء الزاهرة، وخرير المياه
الساحرة، وما لا يعد ويحصى من المحاسن.
وبالتالي فالبسمة مفتاح الجنان العامرة، والنعم الوافرة، والقلوب الطاهرة،
والعقول السليمة، والأنفس الكريمة، والآراء السديدة، والحياة الرغيدة، لذا أقول:
ابسمي

(١)

ابسمي قد جمع الشمل وزال النقص في المرأة وجهانا وقلباننا مناره
واحذري الأوهام أن تسرق كاللص أمانينا ولا تبقي لنا إلا مرارة
فهلمي اغتلمي اللذات بالبسمة فالقوت لنا فيها إذا ولت خساره

(٢)

ابسمي لي فأنا جنبك ذا أبسم والشمل بنا يكمل لا نبغي سوانا
وهناء العيش بالبسمة ينقاد لنا هيا لنجنيها على الطوع كالانا
ابسمي لي بسمة الود من القلب لأعطيك مع الاخلاص والحب الجنانا

(٣)

ابسمي فالكون لي يبسم ما فيه صفاء وحنان ويوليني قياده
وأرى البهجة ما وجهت وجهي وأرى في وجهك الباسم لذات السعادة

ابسمي يا منية القلب لأعطيك كما تهوينه مني وتعطيني مراده

(٤)

ابسمي كي تنفث الآلام والأحقاد ما قد خزنت ذاكرة الماضي السحيق
وابسمي كي نملاً القلب لمستقبلنا بالأمل المبهج بالعيش الأنيق
واسعفيناً رشفة من ثغرك المنضود درا من لماك العذب كامون الرحيق

(٥)

ابسمي في صفحة المرآة طورا واعبسي أخرى توافيك لما جئت جوابا
إنما الناس كمرآة لمن شاء على صفحتها يلقي الذي أبداه آبا
فابسمي أبسم وارضيني لأرضيك على الجهر وفي السر أوفيك الحسابا

(٦)

ابسمي تلقين بالبسمة أسراراً مضت كانت مفاتيح لحل المعضلات
ابسمي تنقشع الأكدار كالنور إذا حل انجلت عنه شجون الظلمات
إن في البسمة أسراراً بها يكمن إدراك الشعارات وحل المشكلات

(٧)

ابسمي فهي سلام وزكاة وثناء يتنامى لا يباريه ثراء
وهي كالعلم إذا أنفقته زاد إذا استثمرته أينع وازداد بهاء
إن في البسمة إذ تفر عن ثغرك للنفس وللغير شفاء وهناء

(٨)

ابسمي واجتنبني الأوهام والأحلام واصغي لنداء من صميم الواقع

رغوة الكأس فقاع قد علت أصلا فلا يغريك رغو من عصير جامع
إن في البسمة حبا يتسامى ما توالى و حياة و سمو الطالع
(٩)

ابسمي لا تبخلي فالبخل داء كبرياء تافه يضمنك في هذا الوجود
كلما أسديته برا وإحسانا ستجزين به أضعاف أضعاف تجود
فاكسبي ما شئت بالبسمة أفراحا و صدي عاديات لشجون و صدود
(١٠)

ابسمي للوفد المولود في صخب أتى أو حل ضيفا خارقا للنظم
وابسمي للنازح المرجو للعود و من راح بلا عود قرين العدم
فابسمي للواقع المحتوم فاللذة في التنويع للقانع والمستسلم
(١١)

ابسمي للطير للنحلة للريح إذا هبت على الحقل لترتاد و تسرح
وابسمي للشمس لما نشرت أنوارها تجلو بها الظلمة في الكون و تكسح
ابسمي عن ثغرك المنضود بالقдах ترياق المعنى خير ما عافى و أصلح
(١٢)

ابسمي للماء فوق الصخر رقراقا بنور البدر في الجدول يجري كالمعين

وابعني البهجة في الأرواح تجلو كل ما حل بها من كدر مر السنين
ابسمي رحماك فالبسمة ترياق وما أولته كالبلسم للجرح الدفين
(١٣)

إبسمي للظالم الفتاك بالأم وبالطفل وشيخ قد علاه الهرم
وابسمي في الحرب والسلم وقولي: يا ابن أمي الكل من أمك لحم ودم
واعلني بالبسمة الحب وقولي: أيها الغفالا بالزائل لا تختصموا
(١٤)

إبسمي لي فأنا مثلك بالعنصر والروح وتلقين الذي ألقاه بعد الوطر
لست من تبر ولا كنت من الفحم تعيبين سوادي وعظيم الكدر
إن ذراتك ذراتي كلانا جوهر في الأصل صنوان بنفس الأثر
(١٥)

إبسمي لي فأنا مثلك ذو قلب وحس وأنا مثلك تشقين بآمالي وأسعد
وأنا مثلك في الفكر وفي الجسم أعاني ما تعانين من الإعراض والصد
ابعثي لي نظرة الود من القلب إلى القلب لتلقي عندي الإخلاص مشهد
(١٦)

فابسمي واستبشري في معرض الكون على صفحته تلقين للأضداد عرضا

فخذي ما راق للنفس هنا منها والغير بها ما شاء في المعرض حظا
ودعي الحرص على الدنيا، فما فاز الذي يطمع في نعمائها، طولا وعرضا
(١٧)

وإذا ما داهمت بلواك ابسمي فهي سحاب ينجلي والصفو عقيب النصب
واستمدي لذة العيش من الآمال للمقبل فالآمال مهوى الأرب
فابسمي واستعرضي من صفحات العيش ما بيدل بالبهجة مر النكب
(١٨)

ابسمي دوما وخلي الثغر يفترو يزهو بثنايك ومن ورد الشفاه
ودعي وسوسة النفس إلى التغير والإعراض إكبارا فذي شر الدواهي
واجعلي البسمة من شيمتك الفضلى وعند الضيق أو عند الرفاه
(١٩)

ابسمي ثم عطي واستنهضي فالكل يهفو لعظة المشفقين البسم
إنما يدنو ويصغي لك من حب ومن أولاك بالود لهذا الكرم
إنما البسمة مفتاحك للتقريب والتحيب للأنفس هيا فابسمي
(٢٠)

جئت فابسم لي كما ترشد واخفض لي جناح الحب والبر لتلقاني طوعا
إن يكن وعظك حقا دونك البر على نفسك فابسم لي ولا تنساه طبعاً
ولتكن قولاً وفعلاً ما يرى فيك من الظاهر كالباطن ترعاه لترعى

الباب الرابع
السياسة

(٢٣١)

أقدم أبياتي الشعرية مصحوبة بالآية القرآنية أدناه دليلا على وجوب هجرتي من بلادي العزيزة ومقر ولادتي أنا وآبائي وأجدادي التي نعتها بالأبيات السابقة ومالي بها من علاقة روحية وبدنية ولكن المؤسف أنني أضطر لهجرتها بما أوجعتنا السياسة بها واضطرتنا لتركها مع مزيد الأسف وبهذه الهجرة أمر الله عباده كما يلي في الآية الكريمة: -

* (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض * قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) * (١).

والقصيدة أدناه وما ألحقت السياسة بأبناء الشعب المؤمنين المخلصين المتقين من العناء والبلاء حتى نجى المهاجرون وابتلى الباقون بالبأساء والضراء وأهوال العداء وأدناه الأبيات الدالة على الحقيقة:

أحب بلادا قد نشأت برحبها * وما نلت في آفاقها الطيب والنصرا
وناصرني فيها بنوها بفيضهم * وما نلت في آفاقها الذل والقهرا
وما عمها ذل السيادة غادر * أريد به ذل الأماجد والضرا
بلاد تبنتها السياسة بؤرة * المفاسد كي تحظى بما قد حوت خيرا
فجاءت برذل ما أتى الدهر مثله * فبدل كل الخير في رحبها شرا
فلم تر ذو فضل من العلم والتقى * ولا من عزيز لم ينل نكبة كبرى
فبئس بلاد أن تعيش برحبها * وويل لما ضمت مخاز أتت تترى
فيا لك من رحب يضيق بوسعه * بأيد سياسات أتها بها غدرا
وهل من دواء ناجع كي نرد به * سوى هجرة تحظى بها النصر والفخرا
ومن شاء يلقي الذل قعر جهنم * ثوى راضيا بالذل والنكبة الكبرى
هذا ورغم ما شيده آباءنا وأجدادنا في مدينة الغري العزيزة من المدارس العلمية الجليلة ترى الأيدي المنافقة الشريرة أتت بهدمها وتخريبها بل وأضافت هدم قبور مؤسسها من أرفع العلماء شهرة بالتقى والفقه والله لهم بالمرصاد.

(١) سورة النساء: الآية ٩٧.

أسير السياسة

هجرت الهوى والفاتنات وما يصبي * وصرت أسيرا للسياسة والكذب
هجرت الهوى قهرا لما قد ألم بي * وقومي من ظلم وجور ومن غضب
سياسة لا نلقى بها الصدق والصفاء * ولا العدل والإنصاف أو نخوة الصحب
سياسة ضمت كل شر وموبق * وأهواء أودت بالسلام إلى حرب
غرائز طاشت من نطاق صدورها * فجاءت بأرزاء وخطب إلى خطب
غششت بها دهرا وأصبحت مرهقا * وألفتها مهد الرذائل والكرب
وكنت شغوفا بالطبيعة والذي * ألت به من مبهج شيق عذب
نجوم الليالي اللامعات وجلسة * لدى الفجر هبا للصبيا يانع العشب
وصدح هزار وانسياب لجدول * خريير مياه أو ذرى سفحة الهضب
حبيب حباه الله حسنا ورقة * وجدا (١) وسحرا في البيان إلى جنبي
مضت ما أحيلها عهد ملذة * بها للهوى العذري مثوى لدى قلبي
لشمس وذوقي ناظري ومسمعي * وحسي وما يهنا (٢) ببهجتها لبي
وكم همت دهرا بالملاح وحسنها * وفتنة سحر في هواها أتت تسبي
فطورا أرى وصلا فأغرى بوصله * وأخرى أرى صدا يضيق به رحبي
عهد مضت للشوق فيها مشاعل * لأهواء تضويني من الوجد والحب

(١) جد: حظ.

(٢) يهنا: يهنا.

فألقي بها نورا يضيء حشاشتي * وأخرى لهيبا للصبابة من صب
مسارح قد ألفتها تحمل الرجا * وآمال تعطي الروح فيضا لدى النصب
مضت ما أحياها عهد ملذة * لها نشوة لله كم أسكنت رعي
بها للشباب الغض سلوى وبهجة * وفيها شفا للشيب في رهق الشيب
وشتان في الأهواء ذات فضيلة * وأخرى تمادت بالرزيلة والعيب
وشتان أعمى انقاد للجهل والهوى * وذو حكمة مهواه للحق والرب
نفوس تهاوت للغواية والخنى * وأخرى تسامت بالكرامة للشهب
أبان لهم نهج الحقيقة مذهبا * فكانوا مدار العدل بالجد والكسب
وأخرى غواة قد تمادت بغيها * ترى الحق في مكر وجور وفي سلب
لها كل نهج المنكرات فضيلة * وتنكر ما يجنيه مقترف الذنب
غرائز عدت كي تحقق صالحا * وبالنقص والإفراط زلت عن الدرب
غرائز حد الاعتدال سموها * وحط بما زلته بعدا عن الجنب
فإسرافنا أكلا وشربا ونهمة * وأمرنا ونهيا واعتداد هوى يكبي
فخذ خيرها من بين شرين واعتدل * فنقصك والتفريط شران في الحلب
فجدت سراة القوم تبني تراثها * وأمجادها مكررا على النهب والسلب
وحادت عن المعروف والخير وانبرت * إلى أحد الشرين في الأخذ والذب
نفاقا تقول السلم والعدل والرضا * وتسعى فسادا بالأسنة والقضب
وتوصم بالإرهاب كل مدافع * ومن جد للإصلاح بالذئب والكلب
ترى ما ترى من خلقة وبدائع * سرايا ويمضي الغي والرشد كاللعب
فمن ذا لعمرى دافع الحيف والجفا * سوى المبدع القيوم ذو الطول والغلب
حبانا هدايا بعد عقل لرشده * وأنذرنا في الغيب سطو يد الغيب

السياسة والحكام
في هذه القصيدة نقد للسياسة الفردية والاجتماعية للظلم على الفرد
والمجتمع باسم حقوق لا بشر.

أستبدل الشهد بالحنظل * ويفتك الصمت عن بلبل؟!
وتستبدل المسك والياسمين * بنتن يعم فضا المحفل
تميل إلى الشر والموبقات * ودونك خير به تعتلي
تصد عن الحق والمتقين * وتستبدل الفذ بالأرذل
وتعمل بالشك بعد اليقين * ورشدك بالغي في معزل
فأين حجى اللب والمنطق * لأهواء تغويك في مأزق؟!
* * *

أفي صحوة أنت أم في سبات * بأضغاث أحلامها تندر؟!
أطفلا سباه الهوى طائشا * بعيدا عن العقل تستهتر؟!
تدوس الفضيلة كي تنطوي * لمهوى الرذيلة لا تحذر
تجلببت بالطهر كالمتمقين * وحشوك رجس طغى يزجر
نفاقا تباينت قولا وفعلا * وتأتي بما منه يستنكر
فأين حجى اللب والمنطق * لأهواء تغويك لا تتقي؟!
* * *

تغيظ الصحاب تحيل الوداد * خصاما عداا وتسبي العباد
وترجو بفعلك هذا بلوغ * أمانيك مكرنا ونشر الفساد

وتركن طورا إلى سافل * وتنقاد للشر شر انقياد
تقودك مرد شياطينها * وأخرى هواك له ما أراد
فلا من ضمير ترى لومه * ولا الله تخشاه يوم المعاد
فأين حجي اللب والمنطق * بربك ما شيمة الأحمق؟!

لمن تنصب الفخ يا جائر * لمن تجمع السحت يا خاسر
لنوعك من بشر قد حكاك * وأنت له مثل ظاهر
فكم عبرة جابها الغابرون * وعادوا بحيف لما خاطروا
وكم صائد زج في فنه * وجامع سحت له خاسر
وكم ماكر قيد في مكره * وفاز بها الصادق الصابر
فأين حجي اللب والمنطق * لصد جنون الهوى المحرق؟!

أقاموا المعازل شادوا القصور * وكادوا وجاروا وجدوا السرى
مضوا مرغمين أبوا أو رضوا * وعادوا سواء لترب الثرى
ولم تر حام لهم أو نديم * فيا لك من عبرة في الورى
فأشورها بعد فرعونها * وعاد وكسرى وعد قيصرا
وهتلر من زعزع المشرقين * فكيف انطوى حكمهم كالكرى!
فيا عيشة قد مضت كالسراب * وعزا كطيف خيال سرا
فأين حجا اللب والمنطق * ويا عظة الغرب والمشرق

أبالمكر والقهر ترجو الظهور * وبالحيف والغى تبني القصور
وتظهر ودا وتدعو السلام * وتسعى لنشر البلا والثبور

فلا من ضمير ترى وخزه * ولا من يقين بيوم النشور
وهيهات تخفي على العالمين * نواياك والله فوق الكفور
تريد الثناء على الموبقات * وتتهم من صدها بالشرور
خداعا تكن ومكرا تريد * ولله علم الذي في الصدور
فأين حجا اللب والمنطق * لأهواء تغويك كالفسق؟!

إلى الحق يخطو حكيم مرید * بنهج سعادته رائعه
بعدل وبر وصد الهوى * فنفس تسامت به والعه
وأخرى على الشر والموبقات * هوت لحضيض بها خانعه
تدوس الفضيلة والمكرمات * غباء فأتعس بها واقعه
فرشد وأعلامه ناصعه * وغي وما فيه من فاجعه
فأين حجا اللب والمنطق * لتبني على الرشد ما تنتقي؟!

أتحسب تبقى بها سرمدًا * وتبلغ بالمكر ما تنشد؟!
أتنسى بأنك مستضعف * أسير لموت به تخمد؟!
وتنكر كبرى نواميسه * ومبدعها من هو المقصد
وتنكر عدلا ويوم الجزا * وقبرا حبيسا به تلحد
فذاك لعمرى مهد الشقاء * ومهد التعاسة بل أفسد
فلن وتواضع بها واتق * حسابك يوما له مشهد
فأين حجي اللب والمنطق * وحتام في الغي تبقى شقي؟!

وفاة الملك فيصل الأول
يوم توفي الملك فيصل الأول نصبت المجالس والمآتم وأطلق الخطباء
والشعراء عنان قرائحهم وكنت آنذاك في سن الخامسة أو السادسة عشر وتأثير
الروح الاجتماعية نشدت قصيدة رثائية أودعتها إلى السيد ياسين القزويني أحد
خطباء المجالس العامة وأهمها وهو مجلس أبي يونس المعروف في الكوفة
وجلس في زاوية لأرى مدى استحسان الجماعة للقصيدة وقد استعيدت كرارا
وعلى الخصوص عندما وصل القارئ بقراءته الأبيات التالية، صرخ المرحوم
الشيخ علي البازي وهو شاعر وخطيب سائلا لمن هذه القصيدة فأجابه القارئ
لجواد الخليلي. ولا أذكر سوى البيتين التاليين منها لأنها فقدت مع المجموعة
الشعرية الأولى المفقودة:

بالله لا تودعوا في التراب جثته * ما بين لحد وفي طيات أكفان
هذي الصدور له مأوى يقر بها * وتلك مقبرة ما بين أجفاني
راجعني مرة أحد الأصدقاء (الشيخ مهدي الخطيب) وهو من رجال
القانون وهو أديب وظريف وقال:

لقد راجعني لخطبة ابنتي جماعة من الوجهاء وأنا في ضيقة مالية لا أطيق
والحال في تجهيزهن فما رأيك أن أطلب العون من السيد الإمام البروجردي
وكان للسيد وهو مرجع الإمامية من المسلمين للتقليد في الفقه والأصول مع

الخطيب صلة أدبية. فقلت له سوف أحل لك الأزمة فقدمت له الأبيات التالية فكان لها أعمق الأثر في نفسه ونفس الإمام البروجردي وهما ممن يحسن الأدب العربي وهما:

سري إليك أبيحه فاحرص عليه أن يضيع
ان الأبوي وإن ذوي للسر أمنع أن يذيع
بتتاي قد خطبوها بلغا من السن الربيع
جاء أكفاء وصف الكف للقي منيع
الجود أنتم أهله والعلم والشرف الرفيع
بكم تحل المشكلات وعندكم حسن الصنيع

لطالما سببت السياسة مصائب ومظالم وكثيرا ما وجدنا الأنداد متى شعروا بتعدي من جهة مخالفة أجروا القصاص على أي فرد من قوم أندادهم، وهم يعلمون ان ذلك الفرد بالذات برئ لمحض أنهم يؤيدون أخذ الثأر بصورة ولو غير مباشرة وهذا ما خاطب به الشاعر عمن لحقه هذا الحيف دون أن يكون هو المعتدي وكان الذي يخاطبه هي زوجته (أم سلام) بعد إطلاق سراحه وهاك الأبيات:

أبا سلام لقد مرت بنا إحن * أهاجهن باسم العدل سوام
زجوا بأبناء كسرى في سجونهم * فسامكم أهلهم مثل الذي ساموا
هذا قصاص ولما نفترف عملا * فقومنا افترقوا هذا وما راموا
هذا قصاص أخي جهل وصاحبه * ورب يظلم بالأقوام أقوام

رأته يقسو على قط فأزعجها * قساوة الطفل والأطفال ظلام
بني رفقا بهذا فهو يؤلمه * والطفل لم يجده قول وإفهام
فأقسمت أن تحارى في نكابتها * عضوا بعضو ستجرى فيه أحكام

فأعولت بعد هذا وهي صارخة * يا ويلها فطنى والطفل بسام
قالت أريني التي أوجعتها لترى * في مثله ألما أصليك يا سام
فقهقه الطفل هذا ذيلها فخذى * ذيلي فضاق بها فالطفل علام
* * *

فإن تكن عابثا كالطفل فالتمس * الخروج كالطفل لا تخزيك آثام
* * *

ذم السياسة
صوب الأهل والأخلاء نحوي * قارص اللوم حيث بان حيادي
أيها المعرض المغفل كم ذا * أنت في عزلة عن الرواد؟!
كل فرد جنى ونال مرادا * وتأخرت دون نيل مراد
قلت: مهلا إن الذي رام صيدا * منهم عاد طعمة الأوغاد
أنا حسبي من التجنب سلم * ومن العيش صنفوة الزهاد
حسب نفسي منها عفاف وبعد * عن دنايا فيها يذل قيادي
ما تشوقت للسياسة يوما * أو لإدراكها أدت قيادي
فهي ركن الفساد في كل صقع * مكمن الظلم محفل الحساد
فهي تبدي لك ابتسامة ذئب * وبأحشائها جوى الأحقاد
لم تنل قط منها من سلام * ما بها للهناء من إمداد
حامل الطيب سوف يعطيك طيبا * ومن الورد بهجة الأوراد
ومن العندليب تشنيف سمع * ومن العود نغمة العواد
والأفاعي لينا وسما دفينا * منهل مجه ذوو الإرشاد
اقترحوا من فاقد الماء ماء * ودراري من موقد الحداد
إن من يستبيح روحك وصلا * لضحاياه كف تأتيه فادي؟!
أي عيش به السياسة أصل * أنا لا أبتغيه في أي وادي

كيف ترجو مع النفاق سلاما * ومع الحرص رفعة الأمجاد؟!
فحذار يا من خرجت لصيد * أن تكونن طعمة الصياد
لا يغرنك الضجيج بيوم * واصغ للقول في سبيل الرشاد
أفتدري كم ذا يدوم لك العيش * يفيق الموتى ترنم شادي؟!
أين آمال هرقل بعد كسرى * ولفرعون ما هوى بعد عاد؟!
ذهبت كلها وما ظل إلا * الحسن للخير والقبيح للعادي (١)
عمرك الله كم أساطير مرت * كم أحاديث حكمة وتلاد!
حاملات للخير والشر تعطي * من عظات الحياة للوراد
وحياة تمر كالوهم والأحلام * للخلق في خلسة من السهاد
كم سجي الليل طيه نفضات * ودموع تهليلهن عوادي
إنما تهطل الغيوث دموعا * وعصيرا من مهجة الافراد
وأديم عليه سرنا رفات * من رفاة الأولى من الأجساد
ولهيب ونافث زفرات * من قلوب أنت من الإجهاد
ونسيم إن طاب فهو غرور * لرجاء أو نشوة لرقاد
فاحذر الظلم فالحياة ستطوى * وستبقى الآثام للآباد (٢)

(١) العادي: المعتدي.

(٢) مراد الشاعر بهذا التشبيه أن الآثام لا تتمحي.

سير الحياة ونقدها
أهاتيك أوهامنا تعبر * وأضغاث أحلامنا تخطر؟
أتلك حقائق حلت وما * يحق لناقدها يسخر؟
مدى الكون أسراره ما أرى * خوارق إعجازها تبهر
عوالم حلت بذراتها * وأخرى مراكبها تمخر
فتبني مجراتها والنجوم * تغامر أو دونها تظهر
وما قد تخللها من قوى * علتها نواميس لا تقهر
وما أنا منها وما شأنها * فمثلي في حلها يقهر
ونجهل ما مضى نائيا * وما سوف يقدم أو يدبر
وذو اللب ما شأنه عاثرا * ويغويه طيش ويستهتر
إذا ما الغرائز عاثت به * وزجته في محبس يزجر
وهذا التناحر بين الجميع * لإحياء عرف له معشر
فذو العقل قد فاق في ضره * وفي شره حينما يدبر
يزل عن الحق عند الهوى * ويغويه طيش ويستهتر
فيحلو له السبق في المنكرات * ويغويه شيطانها الأخطر
أباطيل كالحق تستأثر؟! * مهازل كالجهد تستعبر

وأوغادهم قد أزاحوا الثقة * بهم كرس الحكم والمخفر
وطاب لأهل الهوى حكمهم * وصد الحكيم ومن يبصر
مسارح قامت بهذي الحياة * مساوى تطرى وتستكثر
فأين العقول وأين الضمير * ونهج صواب به تفخر؟!
كأن الجميع نيام تموج * بأضغاث أحلامها تعثر
وأن العقول عراها الخمول * ولا صحو يبعثه منذر
يعيثون طيشا بصفو الحياة * سكارى وقائدها الأهدر
ترى غدرها الحق والناقدون * ترى نقدهم حفه منكر
تصر على الغدر والمنكرات * وويل لمن جاء يستنكر
كأن الحقيقة نهج يغيض * أولي الأمر والحق ما دبوا
وأن العدالة في عرفهم * بلوغ مناهم وإن دمروا
وما لسواهم ترى من حقوق * كأنهم القصد والمصدر
ترى ما عنوا بحقوق العباد * أحقا رعوها وما قصروا
أترجو السلام لحكم الذئاب * ومن ماكر جاء يستغفر؟!
أترجو قصاصا لحكم الذئاب * وترجو به العدل لو يظفر؟!
أترجو السلامة من ماكر * ويطن غير الذي يظهر؟!
يريك الفضيلة عند البيان * ويطمع في فحه تقبر
يهزك عطفًا بسحر اللسان * ويقصد في ذوبه تصهر
أراجيف دسا نقيض النقا * فتأتي سرايا كمن يسحر
تراها العقول بمنظارها * ويدركها واعيا يبصر

وأخرى تهدك آلامها * جراثيم يظهرها المجهر
فويل الجهول من المغريات * ومن ماكر منهم يغدر
ومن جشع ضم أحشائه * ومغر بصاحبها يمخر
ويا لحكيم سليم الفؤاد * يرى المشرقين وما دبوا
يرى الناس خبطا بمسراهم * وتحسب في نهجهم عمروا
أحالوا الصفا أحالوا الوفاق * خصاما فتعسا لما سعروا
فحتام لا يرعوي المالكون * زمام الأمور فهل فكروا؟!
لمن أبدعت هذه الفاتكات * صواريخ ذرية سخروا
فلم تبق حيا بهذي الحياة * فيغريهم فتحها المسفر
وإن ظل حيا بدا ناقصا * وكان به موته أجدر
فأين العقول وأين الضمير * هنالك ينهأه أو يأمر؟!
أرى عابثات تهز العقول * غرائز تسرق أو تقتنر
فتعرض عن نعمة الاعتدال * لسيئة نهجها منكر
فهل من زعيم حكيم قدير * فيحكم أمرا به أبصر!
فيحكم حقا لدى المعضلات * فيصلح من قبله قصرها
تمر الحياة بأدوارها * كأحلام خاطفة تسفر
ولم تبق من حسننها والقبيح * سوى شبح للذي يذكر
فحكم الحياة لأهل الهوى * مسارح فانية تبدر
وأخرى حياة لأهل التقى * بها الله والعدل والمحشر
فياليت شعري من منهما * نرى فيه خيرا ومن أجدر

بلى ما لغير التقى رفعة * وحظا لأهل الهوى يعثر
لعمرك إن الهوى بؤرة * المفسد هل عاقل يحذر
وإن التقى منبع الصالحات * به الخير يغشى ويستكثر
به النفس ترعى إله الكمال * وتخشى وترجوه ما تبدر
به النفس تلقى صعاب الحياة * وتحسب خيرا متى تصبر
وترجو ثوابا على المكرمات * وتنهى هواها فلا تغدر
تصد به النفس أطماعها * وتخضع للعدل ما يأمر
تقود إلى الحسن طاقاتها * وتأبى القبيح ومن يفجر
إله الخلائق رب العباد * بعونك جئناك نستنصر
أعنا ببرك نهج الصواب * وقدنا لخيرك يا أقدر

جواب اللوم وذم السياسية
هبوب الأهل والأخلاء نحوي * قارس اللوم حين بان حيادي
أيها المعرض المغفل كم ذا * أنت في عزلة عن الرواد
كل فرد جنى ونال مرادا * وتأخرت دون نيل مراد
قلت مهلا ان الذي رام صيدا * منهم بات طعمة الأوغاد
حسب نفسي منها عفافا وبعدا * عن دنايا فيها يذل قيادي
ما تشوقت للسياسة يوما * أو إلى ركنها أدت قيادي
فهي ركن الفساد في كل صقع * مكمن الظلم محفل الحساد
طي أنيابها ابتسامة ذئب * وبأحشائها جوى الحقاد
هي تعطيك منهلا من سعير * ما بها غير ذاك من امداد
حامل الطيب سوف يعطيك طيبا * ومن الورد بهجة الأوراد
ومن العندليب تشنيف سمع * ومن العود نغمة العواد
والأفاعي لينا وسما دفينا * منهل مجه ذوي الأرشاد
خاب راج من فاقد الماء ماء * والدراري في موقد الحداد

ان من يستبيح روحك للوصل * من بغاياه كيف تأنيه فادي
أي عيش فيه السياسة * لا أبتغيه في أي وادي
كيف ترجو مع النفاق سلاما * ومع الحرص رفعة الأمجاد
فحذارا إن رمت صيدك يوما * أن تكونن طعمة الصياد
لا يغرنك الضجيج ومن قال * واصغ للقول فهو وصف البادي
افتري كم ذا يدوم لك العيش * وهل دام للمغفل شادي
أين آمال هرقل بعد كسرى * ولفرعون ما هوى بعد عاد
ذهبت كلها وما ضل إلا * الحسن والقبح للأسير العادي
عمرك الله كم أساطير مرت * من رقيقة وشداد
حاملات للخير والشر تعطي * من عضات الحياة للوراد
وحياة تمر كالوهم والأحلام * في خلسة من السهاد
كم سحى الليل طيه نفثات * ودموع تهيلهن عوادي
انما تهطل الغيوث دموع * وعصير من مهجة الأفراد
وأديم عليه سرنا رفات * من رفات الأولى مدى الآباد
ولهيب يهيبنا زفرات * من قلوب أنت من الأجهاد
ونسيم إن طاب فهو غرور * لرجاء أو نشوة الرقاد
فاحذر الظلم فالحياة ستطوى * وستبقى الآثام كالأوتاد

يوفد إلى عين التمر سنة ١٩٣٩ لمكافحة الأمراض المستوطنة والبلدة آنذاك في بحبوحة من الجهل والفقر المتقع ويكفي أن أقول انه كان يقدر متوسط دخل الفرد هناك آنذاك سنويا مائتين كيلو من التمر في ذلك اليوم الذي كان الطن الواحد من التمر قد بلغت قيمته الدينار ونصف الدينار حتى استعمله البعض صرفا للوقود.

فانظر إلى هذا البشر المسكين الذي كان يرتدي الثوب وحده دون حذاء وحاسر الرأس ولا ينزع الثوب حتى يتمزق، وأشهر أمراضهم ديدان الأمعاء والبلهارزيا والمالاريا.

فلا غرو أن تجد الكل مصابين بهذه بطونهم منتفخة لتضخم الطحال للمالاريا المزمنة وحفظ الوجود ذوي أسنان صفراء ويكاد فقر الدم من العلائم الظاهرة. مياههم كبريتية تجري داخل القرى.

ومن الغريب أن الماء هذا منه يشربون وفيه يلقون قدراتها لترى الواحد منهم يبول في هذا الماء ويتغوط على سفح الجدول.

ولا تكفي هذه القصص لشرح حالهم آنذاك وربما تجد في مطالعة الأبيات التالية كيف كان عليه الناس وكأنهم يعيشون في العهد الحجري المظلم في أحط أنواع المعيشة. ولا يكاد أحدهم أن يقوم بإنشاء مزرعة حتى تجد الباقيين ليلا يعبرون عليها ويدمرونها.

وإليك الأبيات التي انطلقت وحشة من صاحبه بعد شهر من الإقامة هناك فهي بالوقت لا إسالة ولا تنوير، ولا طرق للمواصلات صالحة ولا ولا كل شئ سوى دوائر حكومية يتقدمهم الجباة وكان الجميع يعيشون في أرض موبوءة لا

يختلطون إلا مع بعضهم (أي الموظفون): ولا شك وإن اتجاه أولي الأمر
آنذاك كان قاسيا مع أهل هذه البلدة حتى كأن الموظف منفي (١).

سمعا نداء معذب وبأرض نائية صريع
سأم الفؤاد وضاق ذرعا ان تلم به الضلوع
نار تكاد تضيؤه وتعود تطفئه الدموع
أزور عين التمر قهرا لا أقر بها جزوع
بلد وما أدراك كم قدنا بها خطب فضيع
وحوت من الأمر العسير فعم محسنها الشفيح
الصيف منها محرق وشتائها قر لذوع
وخريفها كربيها وبأرضها ضاع الربيع
الماء منها آسن كدر بزفرتها نقيع
تعلو روائح ننتها فتضيق بالنفس الربوع
وطعامه مما أنوء فهضمه لا أستطيع
ما طاب طعما لا ولا لونا مخمصة وجوع

(١) وإذا قلت منفي فقد صدقت ولذا أقص هذه القصة المختصرة لأثبت ذلك للقارئ الكريم:
نقل لي أحد الأصدقاء ان أحد المعلمين على أثر تفتيش المفتش لإحدى مدارس النجف نفته
المعارف بنقله من النجف إلى عين التمر تويخا له وبعد زمن حدث لذلك المفتش أن زار
عين التمر وإذا به يواجه المعلم الذي سبب نقله بيد رآه في صحة أحسن فاستغرب لذلك
حتى بدا عليه العجب وسأله عن سبب تحسن صحته في هذه البلدة المغضوب عليها وما
أسرع أن أجابه المعلم ولماذا تستغرب أليست الجرائم هي التي تنمو في المستنقعات
فضحك المفتش وأعجبه الجواب وأعاد نقله لمقره الأول.

ضاع اللبيب بها وضاق بوسعه الجو الواسع
أبناءؤها من شب في نكباتها فهو القنوع
ورضوا بها حظا فشيخ راح يتبعه رضيع
وشبابها مرضى لفقر فضه طمر رقيق
هي دائهم ويليه جهلهم المريخ
أقضى النهار كأنما سجن سجت به منيع
والليل داغ حالك ما قر له منه هريع
بي من فراق أحبني طرفي يقارفه الهجوع
غصني ذوي بعد الينوع فهل يعاوده الينوع
عطفا بحال معذب أترى سينقذه شفيع

مضض الحياة

هواجس تصلي مهجتي بضرام * وتهدم مبنى جامحاتي وإلهامي
وهذا الجنون العالمي وما أتى * بأسلحة لم تبق حيا ولا رامي
أرى عالما شاد الحضارة وانبرى * ليهدم ما قد شاهده شر جرام
أرى طغما شر العباد تحكمت * وجاءت بأعوان لها شر حكام
وعاثت فسادا في البلاد فأفردت * ذوي الرأي في سجن وبعض لإعدام
أرى الشر باسم الخير ينمو مزيفا * فيالله من خرق لنا موسها الدامي
أرى للهوى والمغريات معاقلا * تهد حصونا صيرت لحطام
من الترب أخطو السير قهرا وبعدها * أعود ترابا مرغما أي إرغام
خطوت خطى الماضين لا علم قبلها * ولا بعدها عندي ولا عند أقوامي
ثلاث تلت سبعين عاما تقوضت * كأحلام من حلو ومر وأوهام
تولت سرايا ليت ولت بجنبها * مكاره قد ضمت حصيلة أعوامي
ويا لهفة للشمل كيف تبددت * أواصر أحبابي وأهلي وأرحامي
تراها لنا يوما تعود نقية * وما علقت فيها شوائب آثامي
إذا جلت في الماضي تبدى لخاطري * نقيضان من خير وشر لأيامي
فطورا هوى نفسي وحكم غرائزي * وأخرى قضا عقلي بنهجي وإبرامي
فننسي كطفل تاه بين عواطف * وعقلي أب في الجسم يرعاه كالحامي

فإن غلب الحب العقول رعاية * بدى الطفل محفوفًا بويل وآلام
يزج الهوى عقلي حبيسا كأرعن * يغل حكيما يتقيه بإحكام
وأخرى يقوم العقل بالجد قاضيا * على فلتات النفس بل هدم هدام
ترى من يمد العقل بالجد والحجى * لأمر ونهي عند صد وإقدام
من العازم الماضي العزيمة بيننا * وذو الفضل في عزم إليها وإحجام
إذا لك وجدان ضمير فقاهاة * سلامة نفس أو سجية مقدام
ترى كف يسمو بالجهاد مجاهد * تجاه الهوى والمغريات وظلام؟!
لعمري تقوى الله أبلغ حافر * إلى العدل والإحسان في شرع إسلام
شفاء لأمراض النفوس من الردى * وخير وقا من مقلقات وسرسام (١)
هو الله هادينا لكل فضيلة * كما قد نهانا عن فجور وإجرام
هو الصمد الباري المحيط بخلقه * يجل عن الرؤيا ووصف وإمام
أنار لنا نهج الحقيقة والهنا * برشد نرى في الحق أوضح أعلام
فحقا وعدلا قد أقر لخلقه * ويوم جزاء قد أقر بإحكام
فيوم جزاء الله يوم معاده * بعفو يعم المتقين بإنعام
فتقواه فيه الصدق والنبيل والصفاء * به كل ينبوع لبر وإكرام
بتقوى أنال الأنبياء سموهم * ونالوا من الأخلاق مركزها السامي
وقاء لمهد المكرمات هو التقى * وللوصل بالدارين منبعها النامي

(١) سرسام: مرض يصيب قشرة الدماغ.

شكوى (١)

وهن الجسم حين رخت عظامي * فاستفرت من سقمها أسقامي
ساق يسراي رحمة يا إلهي * حطمتها الجناة شر حطام
حملوني على الأكف كأني * كومة سيرت من الأكوام
وضعوني بمقعد لا أعاد * الله يومي به ولا استسلامي
سيروها سيارة نحو مستشفى * لإسعاف صدمتي وعظامي
راقدا لا أطيق فيها حراكا * في سرير كرقدة النوام
وإذا بي رهين غم وهم * وأسير لمقعدي ومقامي
شاحب الوجه ناحل الجسم ذاو * يائس لا تعينني أقدامي
لا أرى متعة الحياة بغير المشي * فالمشي متعتي وسلامي
ليس لي بالسكون والوقف عيش * في سكوني مذلتني وسأمي
كدت لولا تصبري وثبات * النفس ألقى منيتي وحمامي
جبرتنني يد المجبر لولا * زمرة مستبدة بزمامي

(١) قالها الشاعر على أثر تعرضه لحادث دهس تحطمت به عظم ساقه اليسرى.

وأصرت على ضرورة نقلي * منه مغمى لقاعة الأفلام (١)
طائش كل حامل لا يبالي * ساعة الحمل بالمصاب المضام
أكسير يرجون فيه شفاء * أم قضى النحب ميتا دون حامي؟
فأعادوا ما أصلحوه خرابا * بحراك للكسر دون نظام
أثقلوها بما أنوء حراكا * منهكا في تمديدي وقيامي
كفونها قبل الممات بأكفان * ولحد مشدد الأحكام
زمرة تستشير في شجوني * وسواها لا ترتضي أقدامي
يا أطباء نهنوها عن فؤادي * واقطعوا بالوفاق سوء الخصام
عدت من بعدها كئيبا جفاني * كل عذب من يقظتي ومنامي
زارني صفوة الأخلاء فيها * من شيوخ وسادة الأقوام
بينهم نسوة قذفن دموع * العطف حين استشارهن ضرامي
فهتفنا لباسم (٢) فدعانا * بعد محص الآراء والأحكام
طرت منها لجرمن (٣) مستغيثا * فأقروا البنا قرارا سامي

(١) كانت قد أجريت له عملية تخدير عام قبل التجبير، وبعد إنهاء عملية التجبير أرسل على يد مضمّد جاهل إلى غرفة الأفلام لأخذ صورة شعاعية وهو لا زال مغمى عليه، فكان بسبب هذا المضمّد والمصور الشعاعي أن عاد عليه انحراف الكسر في المرة الثانية بعد أن كان في الأولى جيدا.

(٢) باسم هو ابن الشاعر، طبيب أخصائي ورئيس قسم الجراحة النسائية في مستشفى دويسبرگ في ألمانيا الغربية، حيث كلموه من طهران، فأصر على نقل أبيه إلى ألمانيا. (٣) وحينما وصل المصدوم إلى ألمانيا أقر أطباؤه الأخصائيون عدم إجراء أي عملية وإبقاء البناء الأول على ما كان.

فأقمنا بها على الوجد دهرًا * لفراق الأبناء والأعمام
وصحاب كم ذبت شوقًا إليهم * ما سلا ذكرهم فؤادي الدامي
هان بالزوجة الوفية ما بي * وببر الأولاد خف ضرامي
زوجة تبعث الأمان لنفسي * وتقيني مضاضة الآلام
فشقاها كشقوتي وأساها * كان مر الأسى على الأسقام
إيه يا أم باسم يا نجاتي (١) * وحياتي وبهجتي ومرامي
بك أسمو فأنت من نسل طه * منبع الخير والعلل في الأنام
بسمت لي بباسم حيث ضاقت * عابسات مريرة أيامي
لا أراك الإله باسم شرا * وأراك الهنا مدى الأعوام

(١) اسم زوجة الشاعر.

خواطر وأفكار

في هذه الخماسيات البالغة ١٤٠ بيتا - ٢٨ خماسية - يرى المطالع الكريم تنوعا في الأفكار والخوارج، متقاربة ومتباعدة، في شتى الشؤون النفسية والاجتماعية وتداعي الخواطر، وضعت ونظمت في أزمنة وحالات روحية مختلفة، وعلى أثر مؤثرات بلغت بصاحبها أن يمد يده لكل منها تارة: على سبيل يقين، وتارة: في غمرة من الشكوك، وأخرى: ممزوجة، موضحا أو ملمحا عن ذاته وغيره، عن الحياة الطبيعية والاجتماعية والنفسية، ومعترفا بجهله تارة، ومؤمنا في سيرته أخرى. منتقدا، وأخرى: معترفا، وفي ثالثة: لائما، وفي رابعة: سائما، وخامسة: جازما. وتارة: واعظا أو متعظا، وسائلا مستفهما، أو مدرسا مبلغا. متخذنا في سيرة أفكاره وتداعي خواطره مركبا يجول في هذه الأكوان المليئة بالعبر المتلاطمة، والسوانح المتزاحمة، بين متظاهرة ومتنافرة، متقاربة ومتباعدة، مشعة أو معتمة، مرة ومؤلمة، وما لا يعد من مؤتلفة ومختلفة، بين حقائق واضحة، وأوهام جانحة.

فهو إذ يخاطب النحلة في الخماسية الأولى والثانية ويمثل ما تجنيه من الشهد، إنما هو لَمْ يَغرُ ترشفه، أو در نهد تكتنفه، أو لثم خد تختطفه، ذاهبا بخياله

البعيد إلى ما تخالجه من لواعج وهوى.
وإذا به في الخماسية الثانية والثالثة والرابعة يتساءل متجاهلاً متأثراً
بالفلسفة الهندية، وتسامي أو تداني الأرواح وتناسخها، ويبقى حائراً كيف يوجه
الروح في خيرها وشرها.
وإذا به في الخامسة يعترف بزلاته، وينتقد غيره على عدم الاعتراف بمثلها.
وفي السادسة يناظر مخموراً ويؤنبه.
وفي السابعة والثامنة يروي قصة خيالية عن الحنظل.
وفي التاسعة يلقي باللائمة على الغرائز النفسية والعقلاء المستهترين فيها.
وفي العاشرة انتقاد لذوي الأذواق الشاذة.
والحادية عشرة عظة ودعوة إلى الورع في الحياة الزائلة.
والثانية عشرة فيما تتجاذب المرء وأفكاره متضاربة تشبه ما يضمه جسمه
من عناصر مختلفة في طبيعتها ومفعولها.
والثالثة عشرة جولة في عالم الخيال مما يحسه المرء من عوارض طبيعية،
ويقربها إلى العوارض الاجتماعية.
ويبحث في الرابعة عشرة عن أثر تداعي الخواطر في سعادة المرء وشقائه.
وفي الخامسة عشرة يستعرض القصاص والعدل الإلهي.
وفي السادسة عشرة نقد لمن يهيم ويجذبه التافه الفاقد للروح والحكمة.
وفي السابعة عشرة في تضارب غرائز الناس.
وفي الثامنة عشرة تضايقه من غرائز طبيعية، ونقده لغريزة الظلم والفتك في
الإنسان والحيوان العاقل الناطق المنتقد، والجاني بنفسه على نفسه رغم علمه

ودرايته منساقا بحكم الغرائز (١).
وفي التاسعة عشرة يضرب مثلا قاسيا موضحا لظلم الإنسان لأخيه
الإنسان وما سيؤول إليه مصيره، عسى أن تكون عظة.
وفي العشرين يوضح غريزة الجشع في الإنسان مقدما نفسه مثلا.
وفي الواحدة والعشرين إلى السادسة والعشرين بحث وشرح قضايا ظلم
الغرائز والتجاوزات من هذا الإنسان للأحياء - بما فيها من حيوان، وحتى بني
نوعه - بغية لذاته، وإرضاء شهواته، والذب عن ساحته وإن كان مذنباً.
وفي السابعة والعشرين يضرب مثلا ماديا للمشاكل الاجتماعية التي
تحصل على أيدي الجهلة للفرد والاجتماع.
والثامنة والعشرون تحذير من الصديق إذا انقلب عدوا طبقا للمثل القائل:
" احذر عدوك مرة، واحذر صديقك ألف مرة، فربما انقلب الصديق فكان أعلم
بالمضرة ". وكان قد جربها، وقاسى من أصدقائه أشد وأعظم مما كان يظنه في
أعدائه، حتى لقد صدق من قال عنده: " احذر كيد من أحسنت إليه ".

(١) قال أبو الطيب المتنبي:
والظلم من شيم النفوس
فإن تجد * ذا عفة فلعله لا يظلم

تداعي خواطر وأفكار

[١]

قلت للنحلة هل تدرين ما تجنين من شمع وشهد
وإلى الزهرة تسعين لتقبيل وترشيف وورد؟
أي إحساس وأهواء تجلت فيك من شوق ووجد؟
أفتدرين الذي تجنيه من شهد لى أو در نهد؟
أفهل تدرين هذا الرشف والتقبيل من ثغر وخذ؟

[٢]

أرضيعا كنت للزهرة ذي واشتقت لأيام الرضاعة
ووجدت الدر في أحضانها شهدا تغذيك مطاعه؟
أم حبيبا كان يسقيك اللى رشفا ويوليك ذراعاه؟
أم أصيحاب من الماضي تناجيهم فرادى وجماعه؟
تلك أحلام زهيات لكم كانت مشاعه

[٣]

أنا لا أعلم كم دارت بي الدنيا وحتام تدور
كم بنا نحات رحابا أرخبيلات وحتام تخور

ما مضى كم ضمنى قبر وما بعد ستتلوها قبور
ورفاتي هذه كم قد تولتها وتوليها عصور
أترى جسمي أم روعي سيوليه لأوزاري نشور؟

[٤]

أعقبا كنت قبلا في الفلاة أم حماما أم هزارا؟
كنت أفعى أم هزبرا أم غزالا جاب غابا وقفارا؟
أمع الحيتان مقبورا وأخرى كنت قبرا أم مزارا؟
جلمدا أم حمما ذوبا سحبا شع نارا؟
أمع الذرة أم منا بنى ذراته الكون وصارا؟

[٥]

أنا من آدم أم آدم مني أم تتالينا الدهور؟
أتساوينا الخطى في الخير والشر وفي كل الأمور
ولدى الإحساس كان الفرد والكل سواء في الشعور؟
أشريكان على الأوزار ما دارت وما سوف تدور
أم كلانا صورة أم ظل أشباح تجلت للظهور؟

[٦]

جئت استعرض زلات دهنتي تلك في الماضي رديه
جبتها طوعا وكرها عامدا أو دون نيه
وتصفحت مخاريق أولي الألباب في كل قضية
وإذا هم سلكوا نهجي وأعمالي على نفس السجيه

عجبي من لائمي (١) كيف نسي زلاته وهي جليه!
[٧]

قلت: ما أشقاك إذ تفقد بالخمرة وعيا ودرايه
قال: لا فالعيش آلام ولي في خمرتي منها حمايه
قلت: ما العقل سوى الهادي إلى الخير من الشر وقايه
إن بالعقل شفاء النفس والخمرة داء وغوايه
إن تطويعك للعقل بأغراض الهوى حتما جنايه
[٨]

قلت للحنظل: ما بالك كالعلقم مرا وزؤاما؟
غرني لونك والشكل ومذ ذقتك أولاني السقاما
يا ترى هل حل أحشاك جوى مثلي وأصلاك ضراما؟
أسقاك الدهر من أكؤسه والدهر إن جار تعامى
أم سقتك المزن دمع الواله الحيران أم دمع اليتامى؟
[٩]

فانبرى الحنظل في قصته يكشف عن سر ورمز
كنت محبوبا لكل الخلق في طعمي وألواني وبزي
تغبط الأوراد والأثمار أورادي وأثماري وعزي
وفد الريم نديمي بيننا دارت أحاسيس كلغز
فسقى الذئب دماء الإلف أصلي فنفى طعمي وطرزي

(١) لائمي: ناقد الذي ينتقد آرائه.

[١٠]

كيف بات العقل في ميزته المثلى أسير النفس فاشل
فاضلته كما تهواه عن مسعاه في نهج الفضائل
وإذا العالم كالجاهل لا يأبه عن كسب الرذائل
وإذا الأبدان والأذهان مأوى كل مذموم وفاشل
كم أضلت ذا الحجا شر التقاليد وعادات الأسافل

[١١]

هش لما سمع اليوم لدى الأطلال عن كتب نعق
وهوى لون أبي الجعل وما دحرج عذرا وعشق
والتوى مذ سمع البلبل عند الفجر يشدو وحنق
كارها سوسنة الحقل وأزهارا زهت ذات عبق
يا ترى هل خالف الواقع إلا ناقص فيه نزق؟!

[١٢]

حارت الألباب في لغز وأعيائها إلى الحل جواب
كل من تلقاه يدري كلما يسعى له فهو هباب
فرحة تعقبها الأتراح والأعمار يتلوهما خراب
حاصل الجهد لعمر المرء صفر أثبت الحل الحساب
فعلام الحرص والإجهاد والتكتيل والأصل سراب؟!

[١٣]

سبكت ذرات هذا الجسم من تبر وفحم ونحاس
وصنوف ما حوت ذرات هذا الكون ذا لين وقاسي

فيه غث وسمين فيه بخس وثمانين مثل ماس
من خليط جمع الأضداد في كوب وإبريق وكأس
فتراه مرة في الذروة العليا وأخرى في حضيض ومآسي
[١٤]

قلت للاهف لما هب: قد هيجت ما كان دفيناً
لهب أنت من البركان أم من وهج شع قرونا؟
زفرات كنت آهات لمن عانى من العيش شجوناً؟
حسرات الواله المكمود قد أورى الهوى فيه جنونا
أم شعاع من حنان الأم قد فاض من الصدر حنيناً؟
[١٥]

تتداعى بي أفكار لارتاد من الآفاق ركنا
فتراني مرة أهنا بلقيها وأخرى أتعني
في جحيم تنلظاني بلقيها وأخرى أتمنى
أو أراها مزجت منهن آلاماً وأنغاماً ولحناً
تبعث الآلام أو تبعث بالذكرى إلى العيش المهنا
[١٦]

يا ترى من يظلم النفس فتلقى الذل أو تلقى الهواناً؟
كيف يصلها إله الخلق تعذيباً ومنها قد حماناً؟
أتراني أتهنا بعذاب النفس أم نشقى كالنا؟
أفنفسي عين ذاتي ما خطت عنها زماناً ومكاناً؟
قل: بلى من شيمة العدل على الظالم حق أن يهاناً

[١٧]

هام بالتمثال والتمثال ما بادلته بالوجد إحساسا ووجدا
ما الذي يأمله الواله من مصنيه إن جاء بلا روح وصلدا؟
فاعشق الروح لتعطيك لدى الحب حياة وترى في ذاك خلدا
وتحري روح ود وحذار الند أن يعطيك ما ترجوه ضدا
وإذا يوما رماك الدهر بالند تبسم لترى العلقم شهدا

[١٨]

هامت الأحياء أشتاتا على الأرض سلوكا ومساكن
لهم في العيش والمسلك ما يفسد طورا أو يعاون
كلهم يطلب ما تهوى له النفس حياة ومفاتن
هذه فيها حياة وبأخرى الموت مخبوء وكامن
رغبتي أنقضها جهلا وعلما تنقض العلم كوامن

[١٩]

سمك يلتهم الأسماء مذ كانت بماء البحر تمرح
وأسود مزقت ثورا أتى للغاب يفتات ويسرح
وأصاب النسر في مخلبه طيرا وبالمنقار يذبح
قلت: يا للظلم في الأحياء تفتات على المثل وتفرح!
وإذا الإنسان رب العقل بالفتك على الكل تبجح

[٢٠]

هتلر للموت ساق الشيخ والأم وأطفالا بسلم
وألوف الخلق كم قبلة الذرة أفنتها بعلم

وأباحت في شعوب الأرض أمريكا فسادا بعد ظلم
فانظر التاريخ كم سجل للإنسان من قبح وذم
هل سيصحو قط يوما أم سيفنى بالذي شاد لخصم؟
[٢١]

لي هوى أحيا طليق الجسم والفكر وفي الدنيا مخلد
سيذا أدرك ما أهوى من الغايات في العيش بلا عد
لي من في الأرض أصحابا وإخوانا كما شئت وأبعد
كل ما في الأرض ملكي حيثما شئت بها أهوى وأسعد
يا ترى هل تكتفي النفس بهذا؟ هل لأطماعي من حد؟
[٢٢]

نصب الصياد أشباكا بها أودع للطائر طعمه
فبدا الطير طليقا ودنا يطلب للعيشة لقمه
فإذا فيه أسير الفخ في الأصفاد لا يعرف جرمه
يا ترى هل خالجت نفس على الطائر للصياد رحمه
أم تراه بات موفورا من اللذة إذ يأكل لحمه؟
[٢٣]

غنائم من أمه يسأل: ما هذا؟ أجابت هي لحمه
لحمة ماذا تريدن بها؟ قالت: بني للأكل طعمه
من هو المقتول؟ قالت: هو طير قال مدهوشا: وجرمه؟
فأجابت: ما جنى قال: وهل تذبح شاة دون رحمه
فأجابته نعم: قال: هل الضرغام؟ قالت: لا فللضرغام حشمه

[٢٤]

غرد البلبل فافتتر له القداح عن ثغر وعطر
مرسلا للإلف ترنيمة وجد وتباريح صبايات وسحر
لو درى البلبل في تغريده العذب تحدى أي كفر
وأحل العيش في السجن مدى العمر بأقفاص لعمره
قد هوى عمرو لذيد الصوت ينساب من السجن ويسري

[٢٥]

نظر الصعو فألفى قفص البلبل مثل التبر لامع
وشهي الأكل والشرب على جنبه حفته مرافع
وجناحه خفوقان إلى الأطراف كالولهان هالع
ما ألد العيش في مأواك؟ قال الصعو: ما أحلاه جامع
هتف البلبل: عيش الأسر إذلال ولو بالتبر قابع

[٢٦]

وقع اللقلق من علياه حين السرب في الجو يهاجر
فأصابته كسور عوقت مسراه بالخيبة عاثر
فإذا جمعية الرأفة تشفيه وللسرب يبادر
حينما قد صاد بالطلقة صياد شهى اللحم طائر
فإذا لذة لحم الطير بين الناس ذنب فيه ظاهر

[٢٧]

لم أكد أثبت يسراي على الشارع إذ أقصد عبره
وإذا بي كومة أهوى على الأرض كسيرا أي كسره

يا ترى هل طلقة سيارة دراجة مرت مصدرة؟
وإذا راكبها فوقى وفي الساعة يستحضر عذره
طائش قد خالف السير وأبلاني لقد قصرت نظره
[٢٨]

كرة الخيط بها الطفل بمرأى أمه يلهو ويلعب
تارة منها يجر الخيط حيناً منه يسحب
يطلب العودة للبدء ولف الخيط مطلب
عقد الخيط فأعيبى الام مسعاه وخرب
عقد الجاهل كم أعيت حكيماً ومجرب!
[٢٩]

خال فيه الخلق السامي وإنصافاً وعقلاً وإرادة
فتولاه خليل أودع السر وأولاه اعتياده
فأقرا منهجاً للعيش خان الود مذ نال مراده
سره أمسى أسيراً لأناني أسير النفس ساده
فاحذر الخصم حذار الألف من ترجو وداده

متفرقات

إنما تهطل الغيوث دموعا وعصيرا من مهجة الأقسام
وأديم عليه سرنا رفات من رفات الألى مدى الأعوام
ولهبب يزيدنا زفرات من قلوب أنت من الأسقام
ونسيم إن طاب فهو غرور لرجاء أو نشوة الأحلام
فجدير ألا تفر حياة كوميض السراب والأوهام

شنان تسعف تائها في ربعها الخالي بحر تموز ضمنا بكأس
أو جئت تسقيها لريان بسفح النيل تحسبها زكاة أو كنخمس
سيراك هذا منقذا ويراك ذا متحديا في كل جارحة وحس
كأسان كم شطا عن البعض ففي الأولى رجاء عاد والأخرى بيأس!

المتناقضات

إن هذا الإنسان تكتنفه المتناقضات حتى ليحسب نفسه - إذا تأمل وتبصر - أنه مجنون أدواري في مسراه، أو طائش يتبع هواه، أو مقاد مرغم في مسالك دنياه، تلك المتناقضات في الأفكار والأعمال، في القنوط والآمال، في الحياة والآجال، متعب في اللم والضم، كأنه يعمل لحياة باقية، قلما توقظه العبر، وتردعه الحقائق عن الأشباح والصور.

لطالما خامرتني الأفكار، وتجولت في شرقها وغربها، وصعدت ونزلت، فما اهتديت إلى الحقيقة، وما هي الحقيقة ليت شعري؟ فقلت ما قلت، ثم عدت مرة أخرى أبحث في أصل الوجود حتى كللت، وقلت في ذلك حتى مللت، وهيهات. وقد سلمت أمري مقهورا عاجزا أمام القوى اللامتناهية، وإني لأبص بصيصا واجدا أثرا بعيدا، لا أحيط بكنهه، ولا أستطيع سبره، وكم بعد هذه النجمة وما حولها من نجوم؟ وعسى أن تبعد عني وعن بعضها عشرات ومئات وآلاف ملايين السنين الضوئية (١)، فأنى لي بما لا تعد ولا تحصى لمكانها عددا، ولا لزمانها أمدا، تائها في البدء والمنتهى!!

ولولا لفتة الأثر المستبين الواضح، ونصرة العقل الأمين الناصح، لتماديت في الضلال، وساءت الأحوال، فسبحان المبدع الحكيم، وله الحمد، ونسأله

(١) هكذا اصطلاح الفلكيون والفيزيائيون.

السرّاط المسمّقم.
قالها حفن اءاممه مماناممات الحفاة ومزعاامها، وفقءه بعض من فحب،
وهو فحن إلفهم:
هزل ذلك أم آء * أهو ماء أم سراب؟
ألا مالف حفاام * عفشام مومف حساب؟
أصفاح ما أرى أرفوه * طورا أو أهاب
فناقضا هذا وهذا * وأنا ففها مءاب؟

أفن أوهامف طفلا * فف الصبا أفن الشباب؟
أفن أمالف أءلامف * رفائف كفف ذابوا؟
أفن أصحابف؟ من أهوى * وفهوانف فابوا
وأبف أمف أءف * من قء ءعوهم فأجابوا
أفعود الركب أم فف * أهابوهم نهاب؟
أففءفنف وفءف * أففءف الاعمصاب؟
كل سعفف كل مءهوءف * لءف القبض هباب
لمن المفزع قل لف * هل لإفراء فواب؟

أفرف الناس عقول * ذهبوا ففها وآبوا
أءطأوا فف قصءهم حفنا * وفف أءرف أصابوا
ما رعوا طورا وطورا ما و * عوا الأمر وءابوا
فإذا الكره ءواب * وإذا الحب عقاب

وإذا الأهوج مرموق * وذو اللب يعاب
وإذا الليث مهان * وإذا الكلب مهاب
نتمنى ملك فرعون * وينعاه الغراب
وحذار البؤس * بالبؤس نعنى ونصاب

غرد البلبل صداحا: * هلموا يا صحاب
هذه الدنيا لمن شاء * نعيم مستطاب
ولمن يحسبها بؤسا * فبؤس واكتتاب

فعلاها من حمام * الدوح نوح وعتاب
فهل الأضداد سيان * سلام وحراب؟

أفسيان لدى المرء سليم ومصاب
أم تساوت - عونك الله - قشور ولباب؟
تستعيض الجد بالوهم وبالوهم تصاب
كيف أسلوها وفي الخفاق للوجد التهاب؟
أم علي مرقدهم أضحك والقلب مصاب؟

وإذا للصحو ذو الحكمة للفصل خطاب
سيعيه القوم إن شاؤوا وللحسم استجابوا
أنت في الوادي إذا نحت صدى النوح مجاب

وإذا تعبس في المرآة للعبس مآب
أنت في المآثم كالعرس كما شئت تجاب
قلت: يا قوم ألعين سوى المرئي لباب
ولإحساساتي الأخرى سوى الإدراك باب
علمنا المزعوم في أدنى معانيه مشاب
فاتنا ألف صحيح مثلها جاز خراب
تلك أعيتنا كمن يطلب ما لا يستجاب
* * *

قدر موت حياة * وثواب وعقاب
شهوة خير وشر * وحساب وكتاب
زمن فعل مكان * صغر بعد حجاب
منبت الجهل وسر * الناقص فينا لو نثاب
حكمة نظم ترى * هل بها حل صواب؟
* * *

أنا كون ساب في الأكوان والكل مساب
عالم الذرة بحر عاصف الموج عباب
ولنا في ذرة الأزمان أسرار عجاب
أستفنى أم ستبقى إمعاً أم لا تشاب؟
تهت في كليهما كالبهم مذ ظلوا وخابوا
* * *

بين روحي وصراع العقل والنفس عذاب

أصحيح جاء ما ندرك أم ذاك هباب؟
هذه الأفلاك ما فيها خمود وشهاب
هذه الألباب هذا النظم وهم فيه سابوا
كيف ترضى النفس والمجهول يعلوه ارتياب
عمت الأبصار فالحق يواريه نقاب

للجمادات وللأحياء ما قروا وجابوا
مبدع عن ذاته تغنيك آثار رحاب
أحكم الكل فللكل نواميس غلاب
بارئ جل عن النقص كما شاء يجاب
كل أفعالي تناقضن فنقدي مستعاب
كان أحرى بي على نقصي وجهلي الانسحاب
بمآل النفس للحق ذوو الألباب طابوا
وسيلقون بيوم القسط ما حبوا وهابوا

أنا من ندر بالماضي حذارا كنذير * ورأى الأيام للمقبل تنقاد على نفس المسير
وتمنى العود كالهواوي إلى أمر * خطير لحياة ملؤها الإجهاد من عيش مرير

قد تساويت مع الأغيار طبعا ومزايا * بيد أني معلن فعلي وما في من سجايا
ونفاقا مثل غيري لا يرى في خبايا * فاتقى شري ذو اللب وغفال الخطايا

الباب الخامس
الفلسفيات والعقائد

(٢٧٧)

بين مؤمن و كافر
الكافر إما ملحد منكر لوجود خالق مبدع أزلي أبدي صمدي كامل كمالاته
مطلقا، أو مشرك بالله الأحد، ونسب له كفوا واحدا أو أكثر أو نقصا.
ويظهر أن نسبة الشرك ومنشأها البدائي هو إحساس المرء البدائي بالخوف
أو الطمع، وهذا الخوف، إما من عوارض طبيعية من أعاصير أو زلزال أو برق أو
رعد، أو حر أو برد، أو نيران محرقة، كما في البراكين، وسيول جارفة، أو الضواري
المفترسة، والبهائم والحشرات الضارة، أو الظلام الموحش، وكل ما يثير فيه بحكم
الغرائز ذلك الحس الخفي للخطر والرغبة.
ويقابل الخوف بالرجاء والتضرع لرفع ضرر، أو جلب نفع، أو إشباع غريزة،
وذلك الخوف والطمع من أهم النوازع لدفع الإنسان البدائي للبدء بالعقائد النوعية
عقيدة بما يضر وينفع لجلب خير ودفع شر.
وتختلف هذه من حيث المكان والزمان في البحر والبر، وفي الفيافي
والصحارى أو الجبال، في غابات أو أراض قاحلة، أو ما يتوفر فيها من موارد
الرزق، وما تضمنه من تلك الموارد المخفية وينقصها. والشرك هذا أكثر ما يعم
الحياة البشرية الأولى، وبالأخص الجاهلية.
أما الإلحاد، فيكثر بين الطبقات الأكثر تعليما، الخارجين على الأنظمة
والقوانين الحاجزة الحادة من رغباتهم وشهواتهم، سيان منها الدينية وغير الدينية.

وهم يتوسلون توسل الغريق بالحشيش، ويحاولون لبلوغ مأربهم والنزعة للتجرد من كل قيد تفرضه الأنظمة الاجتماعية والسلطات الحاكمة والمذاهب والأديان للعودة القهقري، دون أن يأتوا بالأدلة القانعة الطبيعية وتوجيه العلل النافية للحقائق القائمة على الخلقة والوجود، إذ لكل معلول علة، ولكل مصنوع صانع، وكل الآثار قائمة والبراهين ساطعة على ما نجده من أسرار الكون العميقة، وأنظمتها الحكيمة، وقوانين الطبيعة الحاكمة، والآثار الجملة في كل ناحية، وفي كل كبيرة وصغيرة، من حيوان ونبات وجماد، بل بالنفس الإنسانية، وعقله وإرادته، ومختلف غرائزه.

مصادر الحياة كلها تبرهن على وجود صانع حكيم مبدع عليم كامل الذات والصفات، وذلك الكمال الذي لا ينسب له نقص، فهو الخالق المصور القادر، المسيطر الأزلي الأبدي الصمد، آثاره واضحة، ومعالمه على كونه صادحة، لا تدركه العقول المحدودة، فهي عاجزة عن الوصول إلى كنه دقيقة من دقائقه، وجوهرة من حقائقه، وكيف يستطيع ناقص في علمه، وناقص في حسه، وفي قدرته ناقص، محدود مكانا وزمانا، ناقص في جلب الخير ودفع الشر عن نفسه، جاهل، ضعيف، فقير، لا يعرف سر حياته ومماته، يجهل خبايا وأسرار ذاته ونفسه، فكيف يستطيع الوقوف على مبدع دقائق الكون وأسراره؟! ومتى أدرك هذا الإنسان نواقص علمه متى أقر ووقف على جهله ونقصه، وعجزه أمام الخوارق، أمام عظمة الخلقة، وصم فاه؟! الحياة المنسقة في الكون - في كل جزء من أجزائه ومخلوقاته - تدل على عظمة الموجد المبدع، وعلمه وحكمته وإتقانه، وإرادته وقدرته، وإحاطته وكماله، خذ ما شئت، ولا تذهب بعيدا، وابدأ بنفسك أيها الإنسان، وتأمل في كل جزء من

أجزاء بدنك المنسق من الناحية المادية والروحية، ولا شك أنك كلما أحطت بجزء وسر من أسرار هذا البدن العظيم، ووقفت عليه مشدوها مندهشا لنظامه وترابطه، وعمله الدائب، وكل يوم يكشف لك مبهم مجهول، ويبدو لك سر مكنون، وهذا دأب الإنسان، وكلما انكشفت له واحدة زادت دهشة وتعمقا في الفكر، وعظم في نظره البارئ المصور، وصغر نفسا أمام الله هذا إلى عجزه الدائم عن الصمود للعوارض الجمّة، المرضية والشيخوخة، والحياة والممات.

يا للإنسان من مخلوق غر ضعيف فقير جاهل، حتى ليظن وقد ولد له من زوجته ولد أنه هو الذي صنعه وكونه، وهو الجاهل بما يحويه هذا الناشئ الجديد من الأسرار، وما يحمله من السلالات الإرثية المادية والمعنوية، وهو العاجز عن حفظه حيا صحيحا، ويمنعه من العوارض، ويقيه من الأخطار التي تداهمه من قريب وبعيد، بل العاجز من أن يرد عنه عادية تلك الجرثومة التي هي أدق من أن ترى لصغرها ولو كبرتها العشرات بل المئات وألوف المرات، وذلك الدليل القاطع على عجزه للدفاع عن نفسه. وهل لهذا المغرور أن يتساءل ويجيب نفسه حينما يقول: أنا خلقت ولدي وأولدته؟! فمن أولد ابن الحمار وابن الثور والبهائم والحشرات والنباتات والطفيليات وغيرها، آباؤها أم أمهاتها؟! ومن خلق وأبدع عناصر جسمك وذرات، وجواهر هذه الذرات ومن وضع فيها القوى المتناسبة والمتناسقة وصيرها من بروتونات والكترونات، وجعلها تدور حول بعضها متناسبة متناسقة ذات أنظمة لا تحول، أنت أوجدت ذلك؟! وهل هي أوجدت نفسها كما أوجدت ابنك، وأنت وضعت تلك الأسرار والألغاز والتناسب، والتناسق والقواعد، والحل والربط، والمادة والروح فيها؟! ومن أين جاءت؟! ومن جاء بها؟! وإلى أين؟! وحتى متى؟! وما هو أصل المادة؟! وما هو

أصل الروح؟! وما هي الرابطة بينهما؟!
من الغريب أن الإنسان اليوم وهو يتساءل ويجيب، يسأل صاحبه عن
الساعة وصانعها، أو الراديو وصانعه، أو أية آلة ومصنع، أو يسأل عن الطائرة أو
السيارة أو المركب: من صنع هذا؟ ويقف حائرا أمام الجواب إذا ما سمع أنه صنع
من نفسه، أو أوجده مصنع مثلته كما أوجد الحيوان الحيوان، وما أسرع ما يوصمه
بالجهل والغباوة!

وكلما كان المصنوع أعظم تناسقا وأشد تعقدا وأجل نظما وأدق صنعا، دل
على عظمة صانعه، وجلال مقامه، ولا يثير العجب في المرء إلا التأثير لكل ذلك.
ورغم ذلك عوضا أن ينسب المصنوع لصانعه، ويدقق في عظيم قدرته
وجماله وإتقانه، يتحول للجدل والنقاش في البديهيات، ونكران ما يجهل، والخط
من كرامة المصنوع والصانع. تلك أنانية يريد إبراز نفسه وإظهارها بالمعرفة، أم
استهانة، أم حسد، أم طيش وغرور، أم كلها؟ إنها الجهالة الجهلاء، والغباوة النكراء.
وأمام هذا البحر الزاخر بالقدرة والمعرفة، والأدلة الثابتة، والآثار الجليلة
لبديع السماوات والأرضين، وما تحويه من مآثر وكرامات، وما تضمه من بدائع
الخلقة المنسقة وأدق القوانين الشيقة (١)، يقف كالبهيمة الجامحة لمجرد رعونة

(١) أجلب نظر القارئ الكريم إلى مطالعة كتب تؤيد ما نقول، ككتاب " حوار بين الإلهيين
والماديين " والجزء الأول من " دائرة معارف محمد فريد وجدي " أخص فيما يذكره في
فصل " الإله " وما بحثه عن الإلهيين والماديين، وأشير في الكتاب الأول لثبوت وجود الله
عند علماء الطبيعة وعلماء الكيمياء والفيزياء والرياضيات وعلماء الأحياء، وإجماعهم على
عظم نظم الكون، واستدلّاهم على عدم المصادفة في أية حالة من حالاته، وأن ما نراه هو من
خالق أزلي حكيم قدير مهيمن أبدي.
وليدقق فيما ذكره فرانك إلى ص ١٤، ورسل تشارلز ارنست، وقوله: إن العلم أثبت عدم حصول
الحي من الميت ص ٦٥ وايرفنج وليام، وإثباته أن الكون متغير غير أزلي.
وقول روبرت موريس بيج ص ١١٢: إن المادية ناقصة وقاصرة عن الإحاطة بمبدع الكون الغير
المادي.
ويقول كلودم هاناواي: لقد أنتجنا بالعقل والتصميم المخ الألكتروني، فالعقل أعظم منه، وهيهات
يحصل مصادفة به.
وبالتالي استدلال الأستاذ يوسف محمود رياضيا على وجود الله ص ١٦٥.

نفسية وطيش الهوى، ويقصد أن يتجرد مما يربطه بنفسه وغيرها، برابطة لينطق جزافاً، ويتكلم هذراً، وينسب الشئ دون إدراك للصدف العشواء، وينكر الواقع والدليل والبرهان والبديهية صلفاً، ويماري فيه، وهل يدل ذلك إلا على بلاذته وسخافته، وطيشه ومجونته، رجاء أن يتحرر من القيود، ويطلق عنان هواه بزعمه، وأن لا يستنكر أي قبيح، ولا يستهجن أية رذيلة بحجج واهية، والعود للهمجية؟! فهو كالبهيمة تتبع هواها، ولا تعوقها سوى القوة الرادعة، وعندها يقول:

الحق مع قوة الحلال بها حلال، والحرام بها حرام، فلا منكر إلا بإنكارها، ولا مباح إلا ما أباحته بقواها وسطوتها، قد خلع من قاموسه أشرف ما يتحلى به هذا الإنسان، متناسياً تلك الجوهرة الثمينة، والعقل والمنطق والإرادة والتصميم وموازينها، قد غلب عليه طيش الهوى، ورعونة الغرائز، يريد الحرية بفقدائها، والنظام بنزعه، ناسياً أن الطبيعة لها نوااميسها وأنظمتها، وأشرفها العقل الواعي، وبدون إرشاده فقدان الحرية.

والحرية التي يدعو إليها إنما هي الهمجية حيثما ترتطم بحريات الآخرين، أو تعود بالأضرار الجسيمة على نفسه وغيره، فالحرية الجنسية وما تؤول إليه من

نكبات مادية وروحية له ولغيره، وتشثيت وتضعيف الحياة العائلية النزيهة اللذيذة، وحرية الغرائز كم يتبعها من الاعتداءات على الأغيار، والتجاوزات على العدالة، وما في ذلك من الخروج عن المنطق، أخص نسبه الحق للقوة، وما يلي ذلك من سلب ونهب، وتجاوز واعتداء، وظلم وإرهاق.

ونحن إن دققنا بعين البصيرة والمروءة والحكمة، وجدنا أن المادية نشأت بين أفراد استعملت فيها الغرائز العقل مطية لبلوغ الشهوات، بانية عقائدها على النفي المطلق البعيد عن الدليل المنطقي، تخلصا - بزعمها - من الدوافع والروادع عن إقامة الفضائل التي ينتهجها الربانيون، تلك الدوافع للانصياع إلى العقل السليم بإقامة قواعد وأسس للنظام الطبيعي، ومثلها في النظام الاجتماعي الدالة على عظمة المبدع المكون القدير، والروادع والنواهي عما تأمر به الأهواء والغرائز النفسية، وما تسببه من أضرار للنفس والغير - فردية وجماعية - لإشباع نهمه أو جشعه، يتبعه استهتار بأنظمة الحياة الطبيعية والخلقية والاجتماعية والصحية، روحية كانت أو جسمية، بغية متعة آنية، ونهم ذاتي، وتحكم وتنجد وتكبر وأنانية دون جدوى، تارة: باسم الحرية، وأخرى: باسم التجرد من قيود العرف والنظم والقوانين والقواعد الدينية والاجتماعية، والعودة إلى أحضان الفوضى والهمجية والوحشية، والانحلال الأخلاقي، والتفسخ والتجرد من العقل الواعي والمنطق، كالبهائم.

وحق للرجل المؤمن الموحد أن يخاطب المادي بقوله:

١ - إن كان ما نقول مثبتا فقد أدركنا الغاية وخسرتموها، وإن كان منفيما فما خسرنا.

٢ - إننا مسرورون بالأمل والرجاء، ونحن أعف نفسا، وأطيب قلبا، وأبعد

شرا، وأسمى خلقا، وأصدق لهجة، وأصبر على البلاء، وأقرب للحق، وأبعد عن المنكر، وأوثق عند الناس.

٣ - المؤمنون أقرب إلى الحقيقة حينما يرجون رحمة، ويخشون عذابا، هم يقرون بألوهيته، ذلك هو المبدع المهيمن لهذا الكون، العادل الحكيم.

٤ - هم أسمى رأيا، وأبعد نظرا، وأقوم طريقا، وأنزه نفسا، وأرسخ قدما، وأفضل هدفا، وأثبت دليلا، وأقر عينا، وأحب للغير، وأشد اعتمادا، وأنبل خلقا ممن لا يركن إلى حصن يقيه، ولا يتمسك بركن ينجيه.

٥ - المؤمنون - خلاف غيرهم - يدعون لمكارم الأخلاق، ويرجون - دون سواهم - الأجر على الفضيلة، ويخشون السخط على الرذيلة، لثقتهم أن لله عليهم سلطانا يحيط بنواياهم وأقوالهم وأعمالهم، فهم بينونها على مستند مثبت غير منفي كغيرهم.

٦ - أبناؤهم وذووهم أشد صلة بهم، وأكثر احتراما لهم، وأعظم امتثالا لهم، وأدبا إن ساروا على هداهم، وأثبت قدما في الفضيلة والبر والإحسان، يرجون دائما رحمة الله، ويخشون عقابه، يتصلون بحبل ممدود، ورجاء غير محدود.

محاورة بين مؤمن وملحد
لي حديث عجب يا سامعي ضل به الرأي المسدد
خامر اليافع والكهل وذا الشيب فأضناهم وأجهد
من أشاد الكون؟ ما الكون؟ متى جاء؟ وحتى م يخلد؟
من أنا اليوم؟ ومن قد كنت بالأمس؟ ومن أصبح في غد؟
أصحيح كل هذا أم خيال؟ ما هو الواقع والحد؟

إله أبداع الكون محيطا فيه قد تم كمالا
وأقام القسط واختار له يوما إلى الحق مآلا
عادل بر رؤوف فاض بالحكمة وامتاز جلالا؟
إن يكن هذا فأين العدل أين البر والإحسان دالا
وترى الأحياء في ضيق وقد تاهوا مقالا وفعالا؟

ما جناه البهم والبكم ومن أشبههم بالويل تسرح
هذه تولد في النكبة والأخرى على النعمة تمرح
يتعدى الأمر الظالم ما شاء على الخلق وينجح
ذا مثال ولمن يدرك أن يعتبر الواقع أصلح
إن يكن عدلا فأين العدل أين الحق فالقوة تربح؟!

يا ترى هل عاد من مات فوافانا بأنباء الحقيقة
أو رسول منه قد جاء خبيراً حاملاً منه وثيقه؟!
كيف نبني منها سرنا على التردد والشك طريقه
إن يكن حقاً فما للحس لا يدرك من ذاك بريقه؟!
حرت في الإثبات حتى ثبت النفي على الأمر فريقه

أنت ذا تقبل ما تسمع أو تبصر من صنع وفن
وترى المنكر إياه بجهل مطبق دون تأني
وترى من ينكر الواقع لا يعدوه مس أو تجني
فلمن ينسب هذا الخلق هذا النظم؟ والآثار تغني
هل أتت عفواً؟ فماذا كنت في المصنوع والصانع تعني؟

يا ترى هل يبطل الواقع جهلي عند نكران الحقائق؟
جاهل ما فات ما يأتي وما في وما حولي دقائق
فاطر (١) الأعضاء والأفكار حفنتي صعب ومازق
سيرتني حيث لا أدري كما شاءت يد فوق الخوارق
تائه لا أرتضي الهادي وقد أدركت ما أبدع خالق

أين هذا من إله صمد أبدع ما في الكون نظاماً؟
كل شيء قد أصبنا فيه إتقاناً وناموساً ورسماً
فيه أسرار خبت عنا وأخرى انقشعت عنها لمعنى

(١) فاطر: بادئ الخلق، أي الخالق.

فإذا النور لذي الحكمة ينجاب وقد أدرك علما
وبقى الجاهل يرتاد الدياجي فاقد الرؤية أعمى
* * *

أفهل تنكر أن المرء بالآمال يهنى ويعذب
ويروم الخير للعقبى ويخشى الشر فيها ويهذب؟!
فهو إن أحسن مشكور ويرجو الأجر في الحلم ويرغب
وله في الله سر حافر أو رادع إن هو أذنب
مثل ليس لنا عنها وعن تطبيقها حتم ومأرب
* * *

ما ترى في جاهل قر بنقص وبجهل وتمرد
وبأقوال تناقضن فقد يثبت أمرا ثم يرتد؟
فهو في التردد والجهل وفي الشهوة حيران مبدد
قد بنى مبناه بالنفي فعقباه على النفي مخلد
حكمت شهوته حتى أضلته عن الرأي المسدد
* * *

فهو للشهوة منقاد أسير ومطيع ومسير
لا يرى غير رضاها بانطلاق من قيود الخير والشر
فهي إذ تنكر ربا أنكرت أمرا ونهيا لتحرر
وترى في الأمر والنهي حديثا صادرا من دون مصدر
ومباح كل ما في الكون للنفس وما في العيش منكر
* * *

أفتدري كيف أغواك الهوى فاخترت إنكار الحقيقة

أي شر أنت للعالم قدمت وقد زل طريقه
وجعلت الكذب والخدعة والكيد لدى الفرد سليقه
قلت: إن الحق في القدرة والقدرة للمرء وثيقه
فابحث الظلم ففي ذلك لا عقبى يرى فيها مروقه
* * *

ما هو الويل وما النعمة ما الظلم إذا كنت خصيما؟
من هو المسعود والمنكود هل عن حسهم كنت عليما؟
هل يدوم الظلم والتنكيد والظالم في بهجته أم لن يدوما؟
كم تساوي هي إن دامت وما الآتي صحيحا وسقيما
تزعم الأمر وإذ تجهل ما تزعمه كنت الملوما
* * *

أنت ذا تزعم أن البكم أو أشباههم في العيش تشقى
وذوي الإحساس والمنطق نالت بهجة في ذاك أرقى
قلت ما قلت جزافا والذي محص يلقي فيك نزقا
فلكم من ناقص فاق الورى في سعده غربا وشرقا
ويرى الظالم كالمظلوم ناموسا سيجزى فيه حقا
* * *

ويحها تحسب أن الكون والروح أتت عفوا وتفنئ
عبثا قد جاء ما فيها نظام وأنام دون مبني
من جنى فاز وما للظلم والعدل على ذلك معنى
لا معاد لا قصاص فيه للظالم والمظلوم منا
قد أباحت منكرها ليس به للعقل والحكمة لحنا
* * *

سوف تفنى وستبقى الروح فالروح مع الدهر تخلد
أبدا تبقى على ما كان قد أثبتته العلم وأيد
حكمت الأرواح في الحاضر عن ماضيها والكل يشهد
ولنا في الخالق الباري براهين له الآثار مسند
صمد فرد غني أزلي جل عن مثل فيعبد

تضع القطعة أفرانها فتوليها غذاء وحراسه
تنقل الأفران من ركن إلى ركن لتوقئها التعاسه
وترى الطير تعنى كيف يولي البيض للفقس حواسه
وإذا ما فقست تطعمه حتى يواتيه مراسه
من هدى هذا وهذا باعثا فيه حنانا وكياسه

أفتدري ما بهذا الجسم من نسج حجيرات وذره؟
كم بأعضاه أحاسيس وأسرار وشأن ذات عبره؟
قف تمهل وخذ الذرة هل تدرك عنها بعد فكره
لست ترضى أن ترى المصنع عفوا بانتظام قام أمره
تنكر المبدع للصنعة والمصنوع تأبى فيه نكره

تاھت الألباب في الخلقۃ
تاھت الألباب في الذرة * في الخلقۃ والروح وما في الكون يجري
يا ترى كم جمعت من طاقة * من نواميس وأعلام وسر
ونفى رهط وجود الله جهلا * أو لأغراض ترى نصرا بكفر
وبقت تضرب أحماسا بأسداس * فيا للجهل من نقص وضر
ورأى رهط بهذا النفي إفسادا * وظلما فاق شرا أي شر
وأنت تبحت عن خالقها المبدع * بعد العجز عن إدراك سر
خبط عشواء قضى بحثا عن الرب * زمانا ومكانا وتحري
وترى آثاره واضحة * برهنت قدرته في كل أمر
كيف والخالق لا يدرك بالتحديد * من حس بأبعاد وحصر؟!
جل تحديدا له ذات * مكانا وزمانا مثلما في الخلق تسري؟!
جل عن نقص وعيب صمد * وبديع الكون عصرا بعد عصر
جل عن مثل أب أم وعن * ولد في مزاياه ومبناه وقدر

يا ترى ما ميزة الحي على الميت في * الكون أفي حس وجهد؟
أهي بالروح تجلت ما هي الروح * وهل أدركت منها أي بعد؟
قد جهلناها كلغز مطلق * أهي كل أهي جزء ذات حد؟
يا ترى هل هي ذا في معزل * عن سواها عند تنفيذ لقصد؟
هل تسامت أو تدانت مثلما * بلغ الأحياء من جهل ورشد؟

أي روح جاء في النبات وما * ميزة الحيوان في وصف ونقد؟
أهي أصل وإذا خالطها الأمر * أتى من وصله تجديد عهد؟
مثل روح مع طين بشر * ومع النار ملاك أو كمرد (١)
جمعت خيرا وشرا أينما * خلطت هل مثلها حالة جرد؟
تارة صورة شيطان بدت * وبأخرى جاء جبريل ليهدي
قلت ما قلت جهولا مقصدي * أي وربي تهت كالغير بسردى
تارة أسلم أنى جاهل * وبأخرى زدت جهلا بالتحدي

هذه الشمس ومسراها ومنظومتها في الكون ما بين الكواكب
يستقى منها وللذرة فالكون قياسا وأتت دون محاسب
كم حوت شأنا ونظما ونواميس وأسرا را جاءت دون صاحب!
أسراب هذه الأحياء في خلقتها حين أتت من كل جانب؟
دقت النملة في سيرتها هل صدفة حلت بطيات الحقائق؟
وبنو الإنسان ذو العقل وما ضمت خباياه شؤونا ومكاتب
مثلها الطائر والدائب والسابح كم ضمت خلالا ومواهب
وقوى الكون وما ضمته مرثيا ومخفيا لأسرار عجائب
هذه الذرة في عالمها كم قد حوت نظما قويا دون شائب
أأتت عفوا أو هاما أو حلما سرا با أم لها أصل وواهب؟
قد عجزنا حل بعض السر منها بالذي نملك أو درء النوائب
وجهور هل يجوز الحكم منه يصدر النفي على إسناد خائب؟

(١) مرد: جمع وارد.

شكوى قالها على أثر دهس تحطمت فيها عظام ساقه اليسرى:
وهن الجسم حين رخت عظامي * فاستفزت من سقمها أسقامي
ساق يسراي رحمة يا إلهي * حطمتها الجناة شر حطام
حملوني على الأكف كأني * كومة سيرت من الأكوام
وضعوني في مقعد لا أعاد * الله يومي بها ولا استسلامي
سيروها سيارة نحو مستشفى * لإسعاف صدمتي ورمامي
راقدا لا أكاد فيها حراكا * في سرير كرقدة الأيتام
وإذا بي رهين غم وهم * وأسيرا لمقعدي ومقامي
شاحب الوجه ناحل الجسم ذاو * يائسا لا تعينني أقدامي
لا أرى متعة الحياة بغير المشي * فالمشي متعتي وسلامي
ليس لي بالسكون والوقف عيش * ان في الوقف ذلتي وسؤامي
كدت لولا تصبري وثبات * النفس ألقى منيتي وحمامي
جبرتنني يد المجبر لولا * زمرة طاب معضلي وهيامي
زمرة تستبد بي بعد تجبيري * مغمى لساحة الأفلام (١)
طائش كل حامل لا يبالي * ساعة الحمل واضح الرسام
أكسير يرجون فيه شفاء * أم قضى النحب ميتا دون حامي
فأعادوا ما أصلحوه خرابا * بحراك للكسر دون نظام
أثقلوها بما أنوء حراكا * منهكا في تمددي وقيامي
كفنها قبل الممات بأكفان * ولحدا مشدد الإحكام

(١) كان قبل التجبير أجري له تبيج عمومي وبعد إنهاء عملية التجبير سيق على يد مضمند جاهل إلى غرفة الأفلام لأخذ تصوير وهو لازال مغمى عليه فكان بسبب هذا المضمند وموظف الأفلام أن عاد عليه انحراف الكسر في المرة الثانية حيث كان في الأولى جيدا.

زمرة تستشير في شجوني * وسواها لا ترتضي أقدامي
يا أطباء نههوا عن فؤادي * واقطعوا بالوفاق سوء الخصام
عدت من بعدها كئيبا جفاني * كل عذب من يقظتي ومنامي
زارني صفوة الأخلاء فيها * من شيوخ وسادة الأقسام
بينهم نسوة قذفن دموع * العطف حين استشارهم أصدامي
فهتفنا لباسم (١) فدعانا * بعد فحص الآراء والاحكام
طرت منها لجر من (٢) مستغيثا * فأقروا بنا قرارا سامي
فأقمنا بها على الوجد دهرًا * لفراق الأبناء والأعمام
وصحاب كم ذبت شوقا إليهم * ما وعى ذكرهم فؤادي الدامي
هان بالزوجة الوفية ما بي * وبير الأولاد خف حزامي
زوجة تبعت السلو لنفسي * وتقيني مضاضة الآلام
فشقاها كشقوتي وأسأها * كان مر الأسى على الاحجام
إيه يا أم باسم يا نجاتي (٣) * وحياتي وبهجتي ومرامي
بك أحرى فانت من نسل طه * منبع الخير والعلا في الأنام
بسمت لي بباسم حيث ضاقت * عابساتا مريرة الأيام
لا أراك الإله باسم عبسا * وأراك الهنا مدى الأعوام

-
- (١) باسم هو ابن الشاعر، طبيب أخصائي ورئيس قسم الجراحة النسائية في مستشفى
دويرگ في ألمانيا الغربية حيث كلموه من طهران فأصر على نقل أبيه إلى ألمانيا.
(٢) وحينما وصل المصدوم إلى ألمانيا أقر أطباءه الأخصائيين عدم إجراء عملية جراحية أو
غير جراحية وإبقاء البناء الأول على ما كان.
(٣) زوجة المصدوم وأم الدكتور باسم ابن المصدوم.

جوابا على رسالة عن لسان زوجته لإحدى معارفها وصديقاتها
كتابك بعد نأي مذ أتاني * علقت به وزاد به حناني
فبت أكرر الجملات منه * فينعم من تلفظها لساني
أقلب صفحة وأمس أخرى * فيظرف من تلمسها بناني
أكرر كلما نفدت وأهوى * المزيد فلا أرى فأعود ثاني
تلوناه بهمس ثم عدنا * بصوت رن أطراف المكان
ففي الأولى تल्पف في خيالي * كأبدع ما يشاهد في العيان
وفي الثاني تلذذ فيه سمعي * فكان ألد من نغم الكمان
أقول لها لقد نظمتك كف * تحلت بالعفاف على الغواني
وجالت في سطورك خير طرف * ومرت عن ثنا اقحوان
فضاء قد حواك وفيه كنا * بشمل فرقته يد الزمان
به قد طاب لي عيشي وأنسي * به أحسن وأحسن بالمكان
ألا فاقصص علينا بعد فهم * فعلك ان تقلل من هواني
أبتك يا كتاب بطول وجدي * فعد واقصص لهم حالي وشاني
وسلهم أين وعدهم بري * أنستهم مباحج أم مباني
أقول لها وقد ذابت هياما * وشوقا للأحبة لا القيان
وحولي صبيتي ألفوا سقامي * فهم في غفلة عما شجاني
ودونهم أباهم أرهقته السهور * وقد وهى قبل الأوان
وباحث باللواعج عن ذويها * وحاشاها التشبب لافتنان
وجئت كلما ذكر هناء * وظافر بعد أحمد أو حنان (١)
وقوما شاطروني في سهادي * وعز عليهم ما قد عراني

(١) هم أولاد أخ وأخت الكاتبة.

ألا مهلا نجات نجات صبيرا * فما نيل الوصال مع التفاني
وعودي للتجلد والتسلي * ظلام الليل مهما طال فاني
ألا يا أخت من نفثات قلبي * أثبك لاعجا أو هي كياني
أخية يا ابنة الأمجاد عودي * فحيينا بقلب أو لساني
وجودي مرة أخرى بنظم * فنهديك جزيل الامتنان
فلي فيه التصبر والتسلي * ولي فيه المسرة والتهاني
أراك وقد حباك الله رأيا * تفرد بين أنواع الحسان
وأهل من كرام الناس خلقا * ألا عاشوا جميعا في أمان
وفيك تجمعت حسن السجايا * وحبكم تسيطر في جناني
فإحسان وحسن وانبساط * بشعرك لاح لي حتى لساني
إذا ما شئت أشرح بعض ما بي * من الأشواق خان به لساني
فعدرا فالفؤاد أشد وجدا * وأعظم أن يعبر في بيان
قضيت بجنبكم وطرا سعيدا * وطابت لي بوعدكم الأمان
فوعدكم أعلل فيه نفسي * سأحضى عن قريب بالتداني
وتجمعنا بزوراء الليالي * أقص لكم امساي وما دهاني
بهذا الشوق كم أبقى وأضوى * بهذا الانتظار وكم أعاني
فلست وحقكم أنسى زمانا * بقربكم انقضى مثل الثواني
مقامي قربكم وبقرب أهلي * أعز علي من سكنى الجنان
إليك تحيتي ولكل ود * وكل أحبتي في كل آن

ختاما لعهد الشباب
يرعان الشباب بالله عد لي * فلقد ضاق بي لمنناك ذرعا
ما اغتتمنا من عهدك الرحب ذحرا * آه لو عدت لي ورممت صدعا
قد مضى عهدك المؤمل طيفا * ليته عاد كالربيع مشعا
ليته عاد كالربيع لأرضي * كل عام وكان للحول فرعا
ليته عاد كالربيع لجسمي * وقضى الله أوبه لي شرعا
والأمني تعود تخفق وجدا * ويلى جذبها صفاء ومرعا
وأرى الماضيات عادت ونفسي * من لقاها أهني قرارا وأوعى
أمنيات لو حققت فزت عهدا * ونزعت الأسي من النفس نرعا
*

قال لي صاحبي تنكرت طيشا * أنت لقتتها بما جئت طوعا
لك ما كان كالشباب صفاء * الجو لو شئت نلت من ذاك وسعا
غرة الفرقدين مر الجديدين * ما حوى الجو من مباحج جمعا
وأحاسيس أو مشاعر في القلب * خلجت منه أو به جئن دعا
*

قلت لو صح ذك ما كان أهني * بي مما تقول مرأى وسمعا
بيد ان الحياة تبدأ طفلا * فصبيا فيافعا ضل يرعى
فشبابا يليه كهلا ويتلوه * عهد شيخ يموت فيه وينعى
*

قال مهلا مهلا فكل مصاب * حين عم الورى فقد طاب جرعا

ربما وافت المنون بنينا * وأبوهم حي وقد عز وضعا
قد أتتك الحياة صفوا فعكر * ت ذلك الصفو بالهواجس صنعا
انما النفس بالقناعة والحلم * تدرك الخير والمسرة طبعا
وحياة إن شئت نلقى هناء * بنواميسها فخذهن ذرعا
فالهنا في مسيرها أين حلت * والشقا في خلافها حيث تسعى
إن تعاكس تيارها في مسير * أتعبتك الحياة ردعا وقمعا
فخصام في نقضها وحروب * وصفاء من قال سمعا وطوعا
*

قلت حد التلقين فيه نصاب * لا يرى الفحم يانعا عاد زرعا
أيعود الذبول نفسا وجسما * وغضون قد أبدل الغض جذعا
رب حس خادعته لحظات * ثم شعت حقيقة الأمر تسعا
لا بكاء ولا ترنم يجديك * سوق تذوي غصنا وتخمد شمعا
للشرب الفضاء أسلمت نفسا * أنت ذو الطول قاطع الحكم قطعا
مبدع الكون منهل الخير جد لي * منك لطفًا قد طبق الكون وسعا
أمل ذلك أن تيقنت منه * ناجعا جاء في شفائك نجعا
قد أطعت القضا وسلمت عجزا * كدواء وكأن للداء مرعى
سر كما سارت الجموع وهيهات * أن ترى خالدا سوى الله يدعى
فتحرى روح الحقيقة واسلك * جانب لحق وانزع الشك نزعا

مع صديق وعد وتخلف
واعدتني فحضرت وعدك * ويأست حين أطلت صدك
ورجعت أطلب حاجتي * فأبذل رعاك الله جهدك
لو كنت تعلم أي اخلاص * أكن إليك وحدك
أو كنت تعلم ما أنوء * به لهز العطف وجدك
وردي تعكر صفوه * لا عكر الرحمن وردك
أمر أهاب بي الأسي * ورواه يا مولاي عندك
أنا لست أرجو غير حق * فيه قد ألفت قصدك
فاعطف علي بما عهدت * فيا رعى الرحمن عهدك
*

عن لسان صديق: نعت وطلب من الوزير لطفي (وزير العدالة)
يطلب نقله إلى العاصمة:

فيك العدالة لاذت * فصنتها بعد حيف
علم وعزم ورأي * وخبرة دون ضعف
تجمعت واستحالت * فصيرت منه لطفي
أبدعت كل طريف * ما بين لحظة طرف
وجئت أمرا عظيما * يجعل عن كل وصف
اني لأرجوك أمرا * ضاقت للقياه كفي
قربي إليك وعطفا * أحضاه من بعد عطف
سعادتي بين كفيك * فهل تجود بحرف
*

أبيات أتركها بعد زيارة صديق تأخر عن مواعده (في مدينة طهران)
وهو يريد العودة للعراق:

واعدتني فحضرت وعدك * ويأست حين أطلت صدك
وقلقت من بعد الرجاء * وحررت كيف أبين قصدك
لولا رجوعك للعراق * وما أرى في البعد بعدك
ما كنت أبعث قط شعرا * أو أعكر فيه وردك
تلقى لنا بعد الرجوع * عساه تسعف فيه ودك
*

في اهداء تصويري لأخي الأكبر (أحمد):
لك عن منظري نضير حكاة * وإذا اشتقت أن تراني تراه
زره يوما هزتك فيه العواطف * وتذكرت عهدنا في صباه
*

قلت للصحب ذا كتابي لديكم * فارحموا لوعتي به وحدادي
فهفه الجمع من شقائي لما * أدركوا ما أنوء من أكماذ
أنت لا تدرك الأمانى بجهد * أو برأى مسدد وقاد
أنت لا تدرك الأمانى بجهد * دون علم يقيك شر العادي
إنما تلك لعبة الدهر فيها * نكبات تحض في الأكباد
هاك خذها واتلو الصحائف جمعا * لترى ما حوت من الأضداد

لوم النفس (خطاب الشخص لنفسه ولومه إياها)
لم تنزل أنت في هوى وعناد * وخصام ووثبة وجهاد
لم تنزل تركب المخاطر ترجو * مأربا، أي مأرب ومراد؟
كلما تبتغي من السير مسعى * قد تساوى الجميع في الأبعاد
تتمنى سعادة لست تدري * أهى في ربوة ترى أم بوادي
عند قارون في الثرا أم بعالم * كابن سينا أم خلوة العباد
كم جهاد جاهدته ثم أصررت * فلم يجد جهدك المتماذي
ولكم سالمك عفوا بلا نصب * فأعرضت دون أي سداد
أنت تسعى وللمقادير سعي * أيكم نال بغية الصياد
ما المقادير غير جهل لادراكي * فيها حقائق الأسعاد
أنا ارتاد جاهلا * في نواميسها وعقبى المعاد
تركنتي في معرض النقص * في مهب فقدت فيه قيادي
حسب الجمع في السعيد لباسا * والشقي المسكين دون رشاد
يا لها من مهازل تتوالى * من قديم الزمان والآباد
ما لهذي النفوس تحكم جهلا * مذ تعيها مدارك الرواد
ما لهذي النفوس تحكم يوما * ما تدك الأعضاء في الأجساد
قمت يوما لأستعيد كتابي * وتصفحت ما به من سواد
فإذا بي خبطت خبطا لعشواء * دون وعي لها ومن دون هادي
وإذا بي صرفت شرخ شبابي * بين وهم وغفلة وفساد
وإذا بي أجد سعيا إليها * وهي جنبي أتت لكسب ودادي

لم أكن أرتضي العناق بغير * الوجد أو دون لوعة وسهاد
وإذا صبية تعانق من شاءت * ولا زلت هائما في داري
فشدت الرحيل والجسم خاو * وعناء الصدود دك فؤادي

إنتقاد لإدارة المدرسة

ونظرا لأن أساتذتنا كانوا دكاترة ومن أعمالهم هو المواظبة على التدريس
وتحضير ما يلزم، كانت أشغالهم الأخرى وقلة المراقبة بسبب إهمالهم ومواظبتهم
على المناهج الدراسية في هذا العهد مما ألهب بي وقمت بنظم أبيات نقدية
وأحررها أذناه. وقد نهيت من قبل أصدقائي الخلص من نشرها لأنها قد تسبب
عداء منهم لي لذا كتمتها حتى أكملت الدراسة:
عودنا على الكسل * يوم جئنا ولم نزل
فمدير وكاتب * ذو صدود وذو خبل
انتظام مبعثر * ما لاصلاحه أمل
حرروا جدولاً وما * حققوه لدى العمل
كم شكونا فلم نجد * بعد هذا سوى الفشل
فتراهم براحة * وترانا على وجل
كل يوم لنا أسا * حادث خطبه جلل
رفضوا العقد مرة * فذعرنا مما نزل
وبأخرى إذا انتهى * الدور كالجند نستغل
فبيوم نشقى من * الدرس والجد بالعلل
يسم الطرف ناظرا * من تحاريره الجمل

أو ترى اليوم تلوه * اليوم نقضيه بالجدل
فحديث أحلاه ما * مازج الحب والغزل
نبعث الطرف للمهى * ما أحيلى هذي المقل
ومحيا لفارة شبهها * الشمس في الطفل
ملك القلب حبها * فانسبى القلب وانذهل
وعلى هذه فقس * كلما ضل وانتقل
مثلا مر سائرا * ما أحيلاه من مثل
لا سليم فيرتجى * أو قضى العمر وارتحل

تحيتي الأخيرة لطلاب صفي بعد النجاح الأخير:
حيثك يا جمع هذا نفحة السحر * وجارك السعد بعد الجهد والكدر
بشرى فقد آن أن يستطاب به * وغرسكم عاد بعد السقي بالثمر
أقمت صرح الهني في الجسم منبته * فالفرع عم الحشي والقلب للجذر
يهزه الشوق بالذكري أعاد لنا * عن سالف يا رعاه الله من وطر
خيال طيف مضى كالبرق وامضه * حياك طيفا فما أحلاك في الفكر
عشنا بأحضانها اما ونحن لها * كرضع درها نجني من الدرر
قلبي رهين هواكم أينما ضعنت * رحالكم وعيوني تلك بالأثر
فإن تنائيموا عني فان لكم * بين الضلوع مقر راسخ الجذر
كانت لنا أملا هذي نراقبها * وما تولى فعهد الجهد والضجر
فأصبحت تلك أحلام يعاودنا * منهن ذكري وهذي غاية البشر
عشتم كراما كذاك العلم طالبه * هو الكريم وإن أرداه بالضرر

عشتم لريعتكم غرا ودام بكم * الحي هذا قرين النصر والظفر

وبعدها كتب لي محمود الجليبي رسالة يقول فيها انها آخر
رسالة يرسلها لي فأجبتة بالمقطوعة أدناه:
لا لا تقاطع مدنفا * قلقا لحبك في سقم
يهديك الف تحية * قلبي المكسد بالألم
آواه من قول خشيت * أصير منه في عدم
حبي تفاقم لا أطيق * تصبرا كلا ولم
صب وقد أفضاك من * أسراره ما قد كتم
نفسى تكاد تذوب * بالحسرات من حر الغرم
دعني أقر فقد هوت * منى العزائم والهمم
قد كنت أرجو منك وصلا * لا تحارير القلم
كم قد دعوتك لم تجب * يوما ندائي كم وكم
الله كيف أطيق سمعا * صوت هجرك قد قدم
رحماك قلبي لا يطيق * وانه لحم ودم
دع عنك أفكار الفلا * سفة الأوائل بالقدم
واعد لنفسك منهجا * تلقي به العز الأشم
جدد شعورك والزمان * لكل آونة أمم
لا تلق بالتفكير ملكا * لا يطاول أو شمم
فارسم لنفسك منهجا * واعمل إذا ما النهج تم

جوابي على رسالته

سلام أرق من روحك تسعه نفسك الطاهرة، قلبي الخفوق، وفكرتي المضطربة، ونفسي الذائبة، وأعضائي المرتعشة جميعها لا تكاد تقر لسكينتها حتى تحمل عليها حملة عشواء عاصفة عائية من ذكريات الشوق المبرح فتدكني دكا، ولولا التجلد بالأمل، والتصبر على سعادة المستقبل لوقعت منها صعقا يا محمود. فالسماء الصافية والنسيم العليل عند ابتسامة الصبح لدى الفجر، واحمرار الشفق عند الغروب إلا لتذكرني صفائك وجمالك.

أعود ثانية إلى بغداد، وتقر عيني برؤيتك، أنجتمع سوية مرة أخرى أصحيح ان هذه الأيام والليالي القلائل ستنقضي بالله ما أطولها على عزيزي تسلمت كتابك وتلوت أسطره العذبة، وفكرت في التفكير فرأيت من الصعب أن أحلل الشئ بالشئ نفسه فإنني استملك ان ترشدني لغير التفكير لافتر لك به التفكير. وهذه أبيات المح بها على تلميحائك في صورك الطريفة:

صاح هذى مكائد الدهر فينا * ولنا فيه عبرة أي عبرة
كم أتى منه محيا جميلا * وبأخرى وجهها نفاقم شره
معبسا مرة وأخرى ضحوكا * هازلا أو أقام بالجد أمره
يملاً القلب بهجة وسرورا * أو يزيد المحزون سقما وحسرة
نحن أبناءه سنصبح أن نحن * نهجنا سبيله بمسرة
وسنلقى من الهوان إذا نحن * نبذنا رسومه غير مرة
فتنسك ما دمت في ساحة الدير * وارثشفها في حانة الخمر حمرة

وتصنع بعد الرؤية تلقى * منه خيرا وتامن منه عشرة
وتباكى مع الثواكل وأرسل * ساعة النوح عبرة بعد عبرة
وتهلل بين العروسين بسترا * ما تصنعتة سيوفيك اجره
واترك الخيط ما توتر واصحب * ما تراخى منه لحفظ بتره

دع جنون الشباب في كل يوم * لك رأى ما تم أعددت غيره
وتأمل وخذ لنفسك رأيا * واسع في نيله خفاء وجهه
واطلب العز منتهاه وحاول * نيله فوق شامخات المجره
فسترقى لربوة أنت إن لم * تحض منها بشامخ بعد فتره
هي كوفية (١) أتتك كسرب * للقطا والقطاة أصدق طيره
نصائح

وا حسرة لشباب مضى لغير إياب * حسبت منه خليلا باق فخاب حسابي
كم خليل وثقنا به ولم يمض عهد * إلا تنائي لعذر أو مزر يا بعتابي
يا ليته ضل باق يا ليته عاد أخرى * أوفقت طي زمان لأستعيد شبابي
يا ليت لي ملك نفسي مكانها والزمان * ولي زمام حياتي ومالكا لمآبي
درجت عهدا فعهدا ازداد حسا وجنسا * ومذ طويت شبابي بالنكس بان مصابي
عهد الطفولة أمني تضميني بحنان * وتسقني فيه درا حوى أعز لباب
وعهد شرخ شبابي وكم حضى بنعيم * منعما بخليل نجوب شتى الرحاب
ويوم عرسي وانسي وزوجتي وبنيني * أدركت فيهم هناء. أفيه ثم نصابي؟

(١) كان صاحب القصيدة آنذاك يسكن الكوفة.

مجالس جامعات في غربتي وبلادي * ما بين قومي وأهلي أو زمرة من صحابي
هناك عند حبيب أو صاحب أو قريب * في سهرة جمعتنا أو ندوة لشباب
في الحقل فوق الشواطئ لدجلة أو فرات * أو زورق ضم حفلي وأنساب نعم انسياب *

يا عيشة وحياة زهت لعيني حتى * هممت جهدا إليها فأفصحت عن حباب
خواطر بارقات أحلام وهم خيال * حقائق أم ظنون مرت كبرق السحاب
ترى نعود وألقى أحبة قد تناؤوا * واستعيد عهودا تقوضت كالسراب *

وا حسرة لزمان مهدهما ما بناه * ومنهكا لنشاطي مجففا لرضابي
رب السماء أغثني مهدها بعد وصل * لا تقطعني وزدني برحمة وثواب *

قيل الأنام نيام وبالمامات يفيقوا * والموت يتلوه صحو يدوم دون ارتياب
والكل يقطع دربا مكلا بصعاب * يفضي لدار نعيم أو وحشة وعذاب
رب السماء أجرني من عائبات الرقاد * أجر سلبيا رماه الهوى إلى كل باب
رحماك فيها سلبيا من كل رشد وعزم * أبلغه مأمن صدق بلطف ذاك الجناب
رحماك فيها سلبيا من كل رشد وعزم * أبلغه مأمن صدق بلطفك المستطاب
يا سائلي لو تسلني إن عاد عهد تولى * دأب بالصلح يسعى وانهار دور الخراب
وعاودتني الأمانى بها وقد جئن طوعا * والشيب ولى وعاد الشباب بعد الغياب
ما كان مهجك بعد الضنى وطول التجارب * وحكمة لقتك الأيام؟ هاك جوابي!
إن دام عهدي فيها أو بان رهن الزوال * حقائق تتجلى بها رموز الصواب
إن شئت تحيى سعيدا فثق كأنك فيها * ترى الإله ويرعى خطاك دون حجاب

* فمن توخى لوجه الإله ما قد أتاه * حضى بأكرم ما يرتجى من الاحتساب *

بالعدل والبر حل لمعضلات الحياة * والوعي والسعي والعزم رموز فك الصعاب
وحسن ظنك يسر وسوء ظنك عسر * فاملاً فؤادك رفقا تكون للخير جابي
وباب دينك عقل يهدي لكل صواب * والعلم والحلم صحب هداة خير صحاب
يا حاصدا لست تجني سوى الذي قد زرعت * فازرع متى شئت خيرا تحصد ألد لباب
واخضع لربك دوما في كل أمر ونهي * فلا يضيع مطيعا إليه ما دام صابي
وابشر إذا رمت بشرا في الكون فالكون * مرآة يرد في كل أمر نضيره في المآب
تحكيك إن شئت فابسم تبسم نواميس تجري * تعيه ثغرا بثغر ترد نابا بناب
نصائح لو يعيها الشباب كان سعيدا * لو حس مثلي نواها لا لمحة بكتاب
تلك نفثات نفثت مني منذ بضعة أيام ترددت في إرسالها لكم، حتى
غلب الهوى فأرجو أن تقع موضع الرضا.

في الرثاء

(٣٠٩)

رثاء للأم
أنا ما عن خاطر لي إلا * وتداعت خواطر الأحزان
ذكريات تشابكت فهي تصبو * حين هبت لكامن أضناني
إيه يا أمي والهواجس عممتني * فهل تدركين ما أعياني
أوما كنت منك جزء ومالي * أمل العيش عنك بضع ثواني
كنت إن مس جسمك الطهر داء * مس جسمي وما عراك عراني
عجب للحياة ما فات منها * كان طيفا والقادماات أمانني
شابته بعضها وأعظم خطب * فرقة الموت بالمجيب الفاني
إن يكن جسمي المعذب قاسي * من أليم الفراق والهجران
ان روعي ما بارحت روعي قط * ولا شط عن هواك حناني
ان قلبا غذاه قلبك دهرا * بحنان ورأفة بلبان
قد عراه الذبول من بعد يأس * للقي فهو في أسي وهوان
أتراني أنساك يا أم يوما * كيف أنسى من قام فيه كياني
أفأنسى دور الطفولة والجد * وحنانا قد فاق كل حنان
وبعهد الصبا وعهد شبابي * ويح نفسي كم منك قد أولاني

كنت مأواي في الكروب واني * فيك أدركت كامل الإنسان
صادق العطف والرعاية والود * لم نجدها من بعد بعدك ثاني
قبر الحب مذقبرت وحاشا * أن تري ذاك بعد في الأكوان
كم وكم قد سهرت طول الليالي * وبذلت النفيس من أزمان
كم لعمرى شقيت دهرأ لأحيي * وتكبدت في من أشجان
كم تهللت مذ تبسمت فيها * وتنكدت من وعاك عراني
أتراني أنساك لا ألف كلا * كيف أنسى روعي وسر مكاني

رثاء للعم محمد صالح الخليلي
قيل إن الآباء ثلاثة: أب ولدك وأب علمك وأب زوجك.
أما أنا فلم تؤتيني الأقدار لأذكر أبا ولدني حيث استشهد وأنا دون سنتي
الأولى وشاء الله أن أحض بأب رؤوف تربيت في عهد الصبا في كنفه ولمست فيه
حنان الأبوة حتى بلغت مبلغ الرجال فاختر لي فتاة من أعز البيوتات وأجلها
وأنزها وبلغت بزواجي زوجة أدركت بها أمانبي وآمالي، واما هو فما بارح ذلك
الأب الناصح العطوف لا أقاطعه ولا يقاطعني ويملاً قلبي إكبارا وإجلالا ومحبة
و شاءت الظروف أن أفارقه و كلي شوق ولهفة للاستقرار في قربه ولا تبارحني
تداعي الخواطر أن أذكره سرا وعلانية وأدعو له من أعماق قلبي حتى وافاه القدر
المحتوم وأفجعني أيما فجيعة وكأني قد فقدت بفقده أمي وأخي وأعز أهلي.
وانطلقت دموعي ساخنة دون إرادتي وضافت بي وسعة الحياة وكأني في اللحظة
أشعر باليتم والمصاب الجلل حتى أنشدت فيه قائلا:

ألهدفا ووجدا على الماضيات * أم البعد أجدى بها من حياة
حنانا إلى النخبة الصالحين * فصالحها بات رهن الرفات
حللنا فلم تجد أحلامنا * وآمالنا قد غدت واهيات
فعهد الطفولة عهد الصبي * وشرخ الشباب مضت سالفات
حقائق مرت قاست خيال * ومازجت الفكر في الخاطرات
تمر الكوارث والمبهجات * سرايا ولم نلق منها ثبات
على شاشة الدهر أفلامها * لها مبكيات بها مضحكات
تولت تولوا على أثرها * ولم يبق لكل منها حتاة
فأين الصحيح وأين الحبيب * وآباؤنا أين والأمهات
إليك أبا النخبة الطيبين * حليف الفضيلة والطيبات
فقدناك يا صالح الصالحين * أبا لا يقاس به الأبهات
لعمري انما مت أبقيت ما * يخلد ذكراك في الكائنات
سلام عليك بمر الدهور * تحيي معاليك والمكرمات
سلام جواد رأى في ثواك * وبعذك ما يوهن الصامدات
تغمذك الله في رحمة * بجناته الصفوة الخالدات

رثاء الأستاذ عباس الخليلي
هذه القصيدة قالها في رثاء ابن عمه الأديب المؤرخ الباحثة الأستاذ عباس
الخليلي. أحد زعماء الثورة العراقية الذي حكم عليه من قبل السلطات المحتلة
لبلاد الرافدين بالإعدام ففر منها إلى إيران وهناك أبدى كفاءات أدبية وسياسية
فأصبح صاحب جريدة (اقدام) من الصحف السياسية المرموقة، وكتب كثيرا من
الكتب، كما ترجم من العربية إلى الفارسية وإلى جانب ذلك فقد كان شاعرا فحلا
نال نصيب السبق في كثير من المبارات الشعرية في البلاد العربية وفي مجال
السياسة فقد عين سفيراً للحكومة الإيرانية منها في الحيشة وغيرها.
خليلي إلى من أشتكى ألم البعد * أتجديني الشكوى؟ ألا ليتها تجدي
أنعاك لا بعدا ليومك لا أرى * كيومك أمسى بالفراق على وقد
فقدناك لا صدا فنجوك عودة * ويا ليته قد كان فقدك عن صد
فقدنا بمنئك الحبيب وضيغما * فدينك مغبوط البسالة والود
فقدناك فقدان الملاحم ليتها * ومثلك يغدى بالليوث وبالأسد
أبو السيف كم جردته أنت في الوغى * على الخصم يوم الكر والطحن والقد
سيبك مغمورا مدى الدهر مغمدا * أسيرا على منئك في محبس الغمد
وكنت فتى النادي إذا جد جده * فأنى له من بعد بعدك بالرشد
فديتك نبراس الفصاحة في الورى * خطيبا هزبرا في الخطوب على الند
بكتك عيون العارفين ذوي الحجى * فمثلك مفقود عزيز لدى فقد
ستندبك الأقدام في عبراتها * بأسطر من نور تشق عن الوجد

بقيت وإياها اليقين ولا يرى * لكم فرقة تروى لضائها من الورد
وخلفت فيها من علاك مفاخرًا * ستبقى مدى الأخطاب شامخة المجد
ولم تنس ذكراك الخواطر ما دعى * لنا خاطر يحكيك بالمثل والضد
وما أكثر الذكرى إليك تداعيا * لطبعك للإحساس للذوق للجد
وأكثرها فينا ماثرا وحافزا * بما عن للعينين والسمع والجلد
كفاحك في أرض الغري مع العدى * تصون حياض المسلمين من الوغد
تصول بها في الرافدين عليهم * فتوسد منهم من تشاء إلى اللحد
ولولا أخو ود يصونك غدرها * لبث قتيل الخائنين من الحقد
فتستودع الرحمن فيها أحبة * وأهلا إلى أهل وصحب ذوي عهد
لتدرك فيها مآربا جل قصده * فتدرك فيك القصد بالشكر والحمد
فخط لك التاريخ في صفحاته * مآثر تلقاها على لوحة الخلد
إليك بلاد العرب مني سلوة * بمن ذب عن أمجادك الأمس بالهندي
وسلوى بلاد الفرس من زاد رفعة * وفخرًا إلى عليك بالجد والكد

في رثاء الأخ

وليت شعري من هو أعز من الأخ وأية كلمة محبوبة للقلب مثلها ولقد حق
للأعرابية حينما خيرها الأمير أن تطلب أحد ثلاث قبض عليهم وهو مصمم على
قتلهم زوجها وابنها وأخاها، قائلا انتحبي أحد هؤلاء أمنحه إجابة لتضرعك وأنفذ
بالآخرين القتل فقالت:

الولد مولود، والزوج موجود والأخ مفقود.
وطلبت إطلاق سراح أخيها، فكان لسحر بيانها وقوة حجتها وصراحتها

الفذة أثر هز مشاعر الأمير حتى قال:
عفونا عن الثلاثة لحسن اختيارك وسمو أفكارك
وقد مرت الأيام على رحلة الأخ الكريم الودود الأوحده وتطلع الربيع
بأزهاره ورياحينه وإذا بالخواطر تتداعى والنفس تجود قائلة:
أشقيق نفسي يا أعز مصاحب * يا مهجتي بين الورى نبراسي
يا أكرم الأحباب يا أصفاهم * يا خير من ألقاه من جلاسي
أأخي حاشا أن أرى منك الجفا * يكفي الهجوع بمحبس الأنفاس
هذا الربيع تطلعت أزهاره * من ثرية غمرته بالأكداس
من بعد هجعتها أتت مختالة * وكأنها سخرت بطول اليأس
تنسى النفوس تختلا وتحفظا * وأليم برد صك بالأضراس
بسم الأفاح من الشقائق فاكتوت * خداه من خجل بجنب اليأس
أسقيك من دمعي الهتون بوابل * وأعيدهن لواعجا ومآسي
كي تنهضن كالياسمين لفلها * مثل الأفاح ورجس الأعراس
أفهل برزن إلى الأنام بمظهر * أزكى وأنقى روعة وأساس
أبرزت مرتد يا برود زهورها * بعبيرها ودلالها المياسي
تالله أنت أجل منها شيمة * وأعز إن قسناه بالمقياس
فيك العواطف والندى ومآثر * الايثار قد جمعت بجنب البأس
مهلا إذا عز الوصال سأقتفي * فيها خطاك معزيا ومواسي
سرتم كما سار الأولى وسنقتفي * وسيقتفون السير كل الناس
ذكراك خالدة تفوح مكارما * شمخت كشم للجبال رواسي
يا عين جوذي بالدموع فر بما * عادت تخفف من لظى الأنفاس

وتبل رمسا تستلين قساتها * وأديمها ما ضم من احساسي
فانهض كما نهضت أزاهير الثرى * من بعد رقدتها من الأرماس
أو زيرير روحك طائفا أرواحنا * وأزح بوصلك طائف الأرجاس

في رثاء السيد كاظم السيد أحمد الحسيني
هو احس تصلي مهجتي شر إضرام * وتهدم مبني جامحاتي والهامي
أذلك طيف؟ أم خيال! حقيقة! * سراب به تحيي مهازل أوهام
من الترب أخطو السير قهرا وبعدها * أعود ترابا مرغما أي ارغام
تري نزعات الروح كيف تقوضت * وكيف ستبدو بعد نأي وإحجام
خطوت خطى الماضين لا علم قبلها * ولا بعدها عندي ولا عند أقوامي
تولت سرايا ليت ولت بجنبها * مكاره قد ضمت مآثر آثامي
ويا لهفة للشمل كيف تبددت * أواصر أحبابي وأهلي وأرحامي
تراها لنا يوما تعود نقيه * بلا شائب يعلو نقاها وأسقام
أبو أحمد يا منهل الخير والصفاء * ومنبع إحسان وبر سمي نامي
ملاذ ذوي الحاجات في العوز والضمنى * قريبا بعيدا جدت وصلا له حامي
أبو أحمد بعدا ليومك انه * أحال فؤادي بالأسى كمدا دامي
بفقدك فقدي كل أهلي وصفوتي * وخيرة أصحابي ونخبة اعلامي
إلى الله أشكو رزء فقدك انه * مغيث خبير من مصابي وآلامي
تغمذك الرحمن رحب جناحه * جوار النبي المصطفى جدك السامي

والهمنا السلوان للبعد والنوى * وألهمنا صبيرا وأجرا لكظام (١)

ذكرى تأبين السنة الثانية للمرحوم جعفر الخليلي للكاتب المبدع
مت! لا قط لم تمت يا خليلي * أنت حي في كل عصر وجيل
أنت حي في كل حفل ونادي * بمقام ومؤنس برحيل
أنت في مهبط القلوب لأهل * الذوق والفن قمت خير نزيل
بك يهنى الأديب قولاً وفعلاً * وله ما نشرت خير مقيل
عشت ما دامت الحياة رفيقا * رفعة في السمو والتبجيل
كنت دهرًا حبس جسم أسيرا * وتحررت من قيود وقيل
إن تكن وسدت رفاتك أرضا * غدت من محبس ومن تكبيل
نلت روحا طلبته من أسار * الجسم أمست حرا لدا التحويل
تجلى بعزة وإباء * في قلوب نأت عن التذليل
ولك الأرض والسماء مقرا * تتهادى في الحل والترحيل
لا ترى للخنوع فيها لزاما * لرقيب منافق وعميل
ذكريات؟ تترى لحين * سنوافيك في الخطى والسبيل

خطوات خطت علينا أشئنا * أو أبينا تعج بالتأويل
أتراها أتت وتذهب عفوا * أم ترى علة لدى التعليل

(١) قيلت هذه القصيدة في ١٤ / ١١ / ١٩٨٨ م، وكانت وفاته في ٨ / ١١ / ١٩٨٨ م

أترى صدق ما أتى الدين حقا * وحسابا عدلا لرب جليل
أم ترى عكسها! وذا مكمّن * الظلم ومأوى الفساد والتدجيل
لحظات ويا لها لحظات * كم حوت عبرة ومن كليل
إن تعد خفت اللواعج والشوق * وإلا إلى لقاك رحيل
رثاء الأستاذ جعفر الخليلي في ذكرى التأبين للسنة الثالثة
أهل حل خطب مثل فقدك مروع * وهل لي إلى ما قد دهاني مفزع
فديتك لو تفدى الخطوب ولي يد * بذلت الذي أبقى عليك وأرفع
رعى الله أياما بضلك انقضت * رعى الله ذاك العهد لو كان يرجع
فريدة أختي وابتسام شقيقتي * وأختي امتثال فيهم الشمل يجمع
أبا هاتف يا منهل الفضل والعلی * وينبوع منه العلم والفن ينبع
أيا نفس صبيرا ما أتى الموت قاطعا * وما مات من ذكراه بالعلم تشفع
وما مات معروف وعلم وحكمة * وفن ومن قد بات فيهن يرتع
أبوك أبي حي وربى قائم * فمن خلف العرفان حي مرفع
براعيك كم أيقظت من رقدة الكرى * نفوسا فكانت بالهداية توسع
وهاتفك الصداح كم بات حافزا * ومأوى بأنواع الفضيلة ينصع (١)
كفاحك في الآداب من كل حكمة * يهيب نفوس العارفين ويمنع (٢)
عزاء إلى أرض الغري بفقده * أبو بنيتها في الحياة وأرفع (٣)

(١) جريدة الهاتف التي أسسها المرحوم في النحف الأشرف.

(٢) مؤلفاته ومنشوراته الأدبية.

(٣) هو ابن الغري ومن موالدها بل مثله أبوه وجدّه.

وسلوى لأرض الرافدين فمثله * عزيز على أم لمنثاه تجزع (١)
بنوك الأولى غديتهم وملأتهم * بوعيك قد كادت لفقدك تصرع
عزاء لإخوان وأبناء مثلها * لشكلاك من أخت و بنت تفجع
لعمرى حمى أنت فى كل مشهد * يضم معاليك الحسان ويجمع
عليك من الرحمن ألف تحية * ومن كل عشاق المعالي ترفع
فى ذكرى التأبين للسنة الثالثة للمرحوم جعفر الخليلي
أهاب ناىك فىنا * لواعجا جئن شبقا
إن عدت خفت وإلا * سرنا للقيك شوقا
فالىوم بعد سنين ثلاث * ولين برقا
يومى ليومك يدنو * يا ما أحيلاه ملقى
رحماك ربي حلما * قد مر أم جاء صدقا
هناؤها وشقاها * خواطر رحن سبقا
جهلى لحل رموز * الحياة يا ربي رفقا
رحماك ربي زدنى * علما لأدرك حقا
سقىت جعفر كأسا * متى جواد سىسقى
وذاك حتم يقين * فارحم لنا من تبقى
حياة دنيا تولى * أهلا بأخرى ستبقى
فجد لنا بنعيم * يدوم طيبا وملقى

(١) أرض الرافدين وما تضمه من نهري دجلة والفرات وتضم مسكنه ومساكن قبيلته وذويه.

رسالة تعزية وتسلية
تحية الأعمام أم ظافر. حنان، ظافر، حازم، عادل، علي.
السلام عليكم مني ومن خالتكم والأولاد والبنات.
في الحين الذي أبعث لكم برسالتي هذه تعزية وتسلية وأقدم لكم الأبيات
الشعرية الدالة على عمق تأثري من هذا الحادث المؤلم الذي لم أفجع بمثله وكأن
قلبي كان على خلاف عادته وحبه لمشاهد ألمانيا يأبى في هذه السفرة الذهاب
والاجتماع في ألمانيا.
ولقد خذلت أم باسم مرارا ومثلها باسم أن يكون اجتماعهم عندنا في كندا
فأبوا علي وشاء الله أن أطاوعهم عند رغبتهم فاصطدمت بالحادث المؤلم الذي
أذهلني حقا وإذا بين عشية وضحاها ينقلب الفرح ترحا بيد لو تعمقنا في هذه
الحياة بعين البصيرة لوجدناها بنيت منذ بدء خلقها على هذا المنوال.
* (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) *
وهذا وقع طبيعي لا بد منه من فقدان تدريجي وقوله تعالى: * (وإذا جاء
أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) *
وكأننا وإذا يبلغ منا الألم مبلغه لم يجر علينا الأمر.
ولهذا ان شئنا حياة هائلة أن نتقبل المجرى الطبيعي والاستسلام للأمر
الواقع الذي لا مفر منه. والبليّة إذا عمت طابت.
وإني أتكلم هذا أعتقد بأني أحمل التمر إلى هجر، وأعتقد بأن أم ظافر من
النساء المثاليات اللواتي يندر وجود أمثالهن من بعد النظر وسدادة الرأي ونقاء

البصيرة والحكمة.
والله أعتقد ذلك من أعماق قلبي، وإذا كان هناك من هو في غنى عن الوعظ
والنصيحة فهي.
وأنتم أيها الأعماء لتربيتكم الراقية وأفكاركم الوقادة، بيد ان الوصية
والوعظ تذكرة للغافل ومعوونة للعاقل.
وما الفائدة من تحمل الهموم والآلام أمام الأمر الواقع والقضاء الحتمي
وإرادة الله، فالإرادة والتصميم وأداء الواجب الواحد تجاه الآخر وكلمة أود قوله
أن تزيد الألفة وأن تكون أم ظافر بما تجمعهم من ذكاء وحكمة ينبوعا كما كانت
للإدارة الصالحة ومنبعها لهناء العائلة الكريمة والعظة بالماضي والسيرة الصالحة
على منوال الفقيد السعيد، ولا تنسوا سيرته في أعمال البر والإحسان والسلوك
المجيد من إيقاعها.
ختاما تقبلوا منا أحر التعازي وسدد الله خطاكم ولا أراكم بعدها مكروها
ومدكم بالحياة السعيدة آمين.
الذي يشاركم بالإحساس ويرجو لكم كل خير
أبو باسم وأم باسم
سأرثيك ان يجدي الرثاء وينجع * ودمعي دما أجريه إن كان ينفع
إذا جزع يجدي دواء سأجزع * وإن فزع يجلي كروبي سأفزع
أبا ظافر يا صادق القول ذو الحجى * وأطيب قلبا في الحياة وأورع
أيا خير خل وابن عم وصاحب * أعف أخ في النائبات ومرجع
بموتك هزنتي الخطوب أشدها * فياليت لي من قبرك الطهر مهجع
أتجديني الآلام والهم والأسى * لعمرك أم ماذا سيجدي لترجع

نداء بما قد عز أو جل يا منى * فؤادي سأفدي بالعزير وأصنع
فديتك قد جل العزاء فسلوتي * بعود وإلا لا عزاء ومقنع
إلى الله أشكو ما أنوء بوجده * عساه يزيل الكرب فالله مبدع
دعى الله أياما سرايا تقشعت * فياليت ما ألقاه طيفا سيقشع
عسى الله يرعاني بصبر وسلوة * وأجر جزيل بالذي يتجرع
هناك لعمرى سلوة لو رعيتها * ودان لها غيري لهان التوجع
حديث إمام المتقين مسافر * يعود وإلا زاره الكل أجمع
عسى الله يرعاني بسلوان بعدها * ونسيان يمحو الماضيات وينزع
عسى الله يرعاني بسلوان بعدها * إلى يوم يأوانا سوية مخدع
سلام حبيب لا جفا وملاعة * لبعد، فحكم الله فهو المشرع
سيجمعنا والله أصدق موعدا * وأرعى فما أحلى لقاءك وأبدع
فتلك لعمرى الماضيات كلحظة * مضت ثم تتلوا الباقيات وتسرع
لسوف أرى من وجهك الغر بسمة * ويسعدنا بعد الفراق التجمع
إليك إله الخلق فاملاً حشاشتي * وقلبي سلوى بالذي فيه أطمع

قصيدة قدمها الشاعر لأحد زملائه المرموقين المتحمسين في الأدب
والشعر والفقہ والأصول ومن السلالة الهاشمية (فضيلة السيد الدكتور محمد ابن
السيد علي آل بحر العلوم) وأعرقها في العلم والأدب والحسب والنسب.

كعبة أنت للفؤاد وقطب * كم سباني وجد لبعذك صعب
لك أهدي تحيتي ومن الشوق * بارقات يأن منها المحب
يا سمي النبي يا فرع طه * وكفاك المجد الأثيل وحسب
لك منه إبراهيم جدا وابنا * ولكم في صلاتنا الخمس ندب
انا سلم لمن يواليكم السلم * ولأعدائكم خصيم وحرب
لك في مهجتي من الوجد نار * لست صبا وأين مني صب
أجمال وأين منك جمال الوجه * والقدر من له كان يصبو
ومليح وما الملاحه إلا * سانحات تبين حيننا وتخبو
جمعت روحك الملاحه والحسن * فهي تنمو دوما لديك وتربو
ملعب مهجة المحبين فيها * مسرح فيه للأحباء خصب
وفؤادي ألعوبة لك فارحم * من تولاك أن يواتيه كرب

يا طيبي وللقلوب طيب * وله في علا جهن مطب
أنا يوما إن داهمتني خطوب * أسعفاني منكم حديث وقرب
غصبتنا لذاتنا في حماكم * من له الغضب مستباح ودأب
لا لذنوب فعادة الذنب تقضي * فهي في عرفه العدالة ذنب
إن تكن قبلها سلبت فصبرا * جدكم قبلها تحداه غصب
لا تقوم الحياة إلا بعدل * وقصاص على الظلوم يصب
لا تطيب الحياة إلا بنار * وعذاب فيه الشقي يعب
لا تلد الحياة إلا بعز * فيه للحر ما هوى ويحب
غربتنا عنكم كما غربتكم * سانحات من الزمان تهب
سيعود الزمان خصبا ويمحي * نكبات أحلها فيه جذب
ينجلي الليل ما استطال * ويتلوه نهار والروح يتلوه أوب
كل جهد فيه المضاضة والسقم * على مذهب الهوى فهو عذب
موتة لا يرى الشجاع سواها * ويموت الجبان ما حل خطب
ليس من مذهبي الأسارة والرق * خنوعا لكارثات تشب
إن تكن حطمت عظاما لساقي * أقعدتني مشيا فرحفا أدب (١)
طلق الكف واللسان وقلبي * في الهوى مزعم وعيني تربو
كل يوم استعرض الغيد في الحي * معيظا عن نظرتي ما أحب
تتهادى لناظري بين سرب (٢) * وفرادى لها القلوب منخب
نشوتي في رشيقة من لماها * ما أصيلي اللمي إذا جاء نخب

(١) قال القصيدة وهو كسير عظام الساق في مستشفى ألمانيا.

(٢) يقصد الممرضات.

زد حديث الهوى فقد زاد وجددي * فالتداعي لدى الهوى مستحب
أنت مثلي تحرقا وفسو * ق القول يشفي الغرام حين يشب
قم معي نكشف المكس في القلب * لنلقي الشفاء فالكشف طب
ما حديثي عن السياسة مجد * فحديث عن الجنايات نكب
منبع الشر بؤرة الظلم والجور * فيه ظلم قتل وهتك وغصب
أنهكتنا هاذي السياسات حتى * لا ترى الأمن رافها فيه شعب
وطني كم أراه ألعوبة الغير * والرزايا عليه مصب
أسأحطي برحبه ما تولى * من هناء وأمنه يستتب
زفرات من الفؤاد تحدث * مهبط الكبت حين ضاق المعب
لك من فكرك الطليق رحاب * وجمال وملجأ ومذب
سر لتستعرض الأمانى والآمال * في صفحة الرجا فهو نصب
إن يكن خانك الزمان بأرض * فلك الكون مسرحا فهو رحب

تاريخ سنان الخليلي
سنان فيك فصل الحيف للظالم والوغد * وفي كنهك بالطبع نقاء بالغ الحد
رعاك الله في الدارين بالتوفيق والجد * وهنا أبويك الطيب من طيبك بالسعد
وراعانا بألطفك من قرب ومن بعد * ووافانا بما تحويه في جنبك بالود
فخذها لك تاريخا * ستلقى يافع الرغد
وأیضا:

يا سنانا قد طيف فيها وليدا * وأنيسا وعشت فيها سديدا
وشفاء لكل صدر كئيب * وسنانا على الخصوم عنيدا
لك أرختها فخذها جمانا * دمت في رغبة مليكا سعيدا
تاريخ علي بن فائق حفيد المرحوم محمد صالح الخليلي
المولود سنة ١٩٨٧ م وقد أرختها بالبيتين التاليين:
يا وليدا لفائق ونضال * أنت فخرا وللوالدين مبین
لعلي أرخه: عيدا رغيدا * بحياة سعد بها وحنين